أنيس منصور

شمعة في كل طريق



أنيس منصور

شمعة في كل طريق

العنـــوان:
شمعـــة فـي كـل طريـــق

المؤلـــف:
أنيـــس منصـــور

إشـراف عـــام:
داليـا محمـــد إبراهيـــم

الترقيم الدولي: 0-2562-14-977
رقـم الإيـــداع: 21137 / 2009
الطبعـة الأولى: ينايـر 2010



تليفـــون: 33466434 - 33472864 02
فاكـــس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

يسقط كولومبس

الأستاذ الكبير

ذكرتم في عمودكم اليومي الجميل الفكر والأسلوب يوم 16 ديسمبر عن ثورة الهنود الحمر والسود على البلاد الأوروبية بمناسبة احتفالاتها بذكرى كولومبس الذي كان فاتحة للجشع الاستعماري الذي نزل عليهم منذ قرابة 500 عام.. وأود أن أؤكد لكم أن هذا الشعور قد انتشر في القارة الأمريكية اللاتينية أيضًا التي أتشرف بتمثيل مصر في إحدى دولها في الوقت الحالي -ليس لكبرها أو لفضل ما على غيرها، ولكن لما يجريه فيها زعيمها الوطني هوجو شافيز من تغيرات لأوضاع متردية نتجت عن تحالف طويل الأمد في الماضي مع قوى تنظر إلى الدول باعتبارها ساحات حرة لها يمكنها أن تصول وتجول فيها دون قيود..

وقد قام أفراد من الشعب الفنزويلي في الاحتفال بذكرى كولومبس بتحطيم تمثاله الذي كان مقامًا في أحد أهم الميادين بالعاصمة كراكاس ووصموه بما وصفتموه سيادتكم بأنه السفاح الذي جلب الشؤم على شعوب القارة الأمريكية في شمالها وجنوبها بدعوى نشر السلام والحضارة!

فاضل القاضي

سفير مصر في فنزويلا

ومع ذلك لا يزال الهنود الحمر أقل حرية من السود.. أما السكان الأصليون في أستراليا الذين كانوا يحبسونهم في الحظائر ليتفرجوا عليهم كمخلوقات نادرة، وكانوا يمنعونهم من التزاوج مع البيض. ولكن الثورة على التفرقة العنصرية والتفرقة اللونية والدينية قد مهدت الطريق إلى التسامح العام. فأقامت لهم أستراليا المدارس وفتحت لهم أبواب العمل حتى لا تكون تفرقة من أي نوع.. وأتذكر أنني عندما ذهبت إلى أستراليا سنة 1959 وتوقفت بنا الطائرة في مدينة دارون قال لي جاري إن عندنا متسعًا من الوقت لكي نتفرج على السكان الأصليين. وقال لي إن هؤلاء السكان قد انقرضوا؛ لأن من عاداتهم أن يمشي الواحد في طريق مستقيم، ومهما صادفه من عقبات فإنه لا يدور حولها. وإنما يظل واقفًا في انتظار أن يتحرك الجبل ويفسح له الطريق!! ولأن الجبال لا تفعل ذلك فإنه يموت..

وواضح أنها قصة رمزية؛ فالذي لا مرونة له يموت.. فالإنسان والحيوانات قد عاشت لأن لديها قدرة على المرونة والتكيف وخلق بيئات جديدة!

اســـم مامـــا!

انشغلت طوال هذا الأسبوع بقضية غريبة. الأب مهندس من فرنسا. والأم من أسرة معروفة في محافظة الدقهلية. والابن تخرج في الجامعة. ووجد أن اسمه ليس موسيقيًا. فلماذا لا يغيره وهو مازال صغيرًا.. لا أحدَ يعرفه. فلا هو مؤلف معروف ولا طبيب ولا مهندس. ثم إن الكثيرين من نجوم السينما غيروا أسماءهم، ابتداءً من عبد الحليم حافظ وعمر الشريف ونور الشريف ومديحة يسري وكاريوكا. الأب وافق على ذلك. أما الوالد فاسمه: صاروفيم عجايبي تادرس. فعلًا الاسم صعب. والابن على حق. وجلسنا نختار له الاسم المناسب. وتناقشنا صباحًا ومساءً. وحاولنا والأب يقاوم.

ولما كان الابن هو الولد الوحيد فالأب عنده إحساس أن تغيير الاسم نهاية لسلسلة نسبه السعيد!

ولكن هناك مشكلة أصعب، هي أن الابن يريد أن يأخذ اسم والدته –عائلة والدته– وأن يكون اسمه هكذا: ماجد جندي.. وأن هذا الاسم سهل النطق.. وإذا كتبه بأية لغة أجنبية فلن تتغير حروفه ولا نطقه!

ووجدت أن عددًا كبيرًا من العظماء العباقرة قد اتخذوا اسم عائلة الأم: شكسبير وجيته والموسيقار باخ وبونابرت وبيتهوفن وداروين وديكنز والموسيقار فردي والفيلسوف ماركس والعالم فرويد

وهمنجواي والفنان شارلي شابلن والرسام العظيم بيكاسو. فشكسبير كان اسمه وليام أردو وبيتهوفن اسمه ديسكوف والشاعر جيته اسمه تكستور ونابليون اسمه رامبوليو، وداروِن اسمه ودجود. وفردي اسمه أوتيتي وبرنارد شو اسمه جري، وهمنجواي اسمه هول... إلخ.

والرئيس كلينتون ليس اسمه كذلك وإنما قد اتخذ اسم زوج أمه؛ لأن والده مات قبل أن يولد.. وكلينتون أفضل من اسم أبيه.

وظل الابن الشاب حائرًا حتى توفيت والدته. هنا فقط وافق الأب على اسم ابنه؛ تمجيدًا لأمه العظيمة التي ساعدت الأب والابن على أن يكون لهما وزن وظل في هذه الدنيا!

حتى لا يجف الماء!

جاءتني هذه الصرخة:

شكر الله اهتمامكم بنا وبهذا الشعب المغلوب على أمره، وقد قرأت لكم ما كتب بالنسبة للمحافظة على المياه، أود أن أحيط علم سيادتكم بأن المثل القائل «الوقاية خير من العلاج» ليس معمولاً به في مصر، كما أن العلاج أصبح الآن هو التدمير المتعمد لصحة المواطن، أرجو أن تستمروا في الكتابة في هذا الشأن حتى يعلم من يهمه الأمر الغائبة ضمائرهم أن هناك مواطنين بكلماتهم الصادقة يحيون الأمل في نفوس المواطن من خلال كتابتكم.

المستشار مصطفى شعلان وكيل وزارة التموين سابقًا

المحامي بالجيزة.

ومن د. إجلال حسني الغمراوي من كندا: تقول: واضح جدًا في كل الصحف المصرية أن القراء يلقون اهتمامًا واضحًا. فشكواهم منشورة مهما كانت لاذعة، وهذا يدل على أن القارئ له حق على الكاتب. وأن الكاتب يفسح له صدره، وصدر الصحف. ولكن لم ألاحظ ردًا رسميًا على رسائل القراء.. فكأن القارئ ذهب إلى قسيس وراح يعترف له، وانتهى الأمر.

ومن أ. د. البروفيسور حسن أكرم ناجي من المنصورة ومقيم الآن في لوس أنجيليس: إنني منزعج على حال الماء في مصر، مقالات

وأبحاث تقول إن ماء الشرب اختلط بماء الصرف وكلها تصب في معدة المواطن المصري، إن هذه الحال تطيّر النوم من العين، وفي مصر بلدنا الحبيب ألوف الأطباء والعلماء والأساتذة والمربين والوعاظ.. ومن د. إيمان سرور المطراوي من بروجه في إيطاليا: إذن هو الكسل واللامبالاة؛ لأن في مصر علماء وأساتذة، وفي الكتب التي ندرسها أسماء لأساتذة مصريين في البيولوجيا والمكروبيولوجيا.. ولهم أقدار عظيمة هنا كيف يسكتون ولا يفعلون شيئًا في مأساة شعب يموت بيديه.

شكرًا جزيلاً ولا أراكم الله مكروهًا في عزيز لديكم!

مأســــاة حــــرف!

تظاهر مئات من سكان مستعمرة (ياميت) القديمة بمناسبة ذكرى هدم تجربة ياميت! وكانت هذه القرية سببًا في أول خناقة بيني وبين السيد مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل. فقد أجريت حديثًا مع الرئيس السادات لمجلة أكتوبر نشرته في نفس الوقت كل الصحف. ووقع خطأ في نص الحديث في (الأهرام) فالسادات قال: أنا لا أريد قرية ياميت احرثوها! ولكن وقع خطأ مطبعي فبدلا من (احرثوها) ظهرت كلمة (أحرقوها) واحتج مناحم بيجين؛ فكلمة الحرق والحريق تحرك مواجع اليهود على الذين ماتوا في محارق هتلر.. واعتذرت عن الخطأ. وطلب مني الرئيس السادات أن أذهب لأرى قرية (ياميت) قبل انسحاب إسرائيل منها. ووجدتها قرية صغيرة نظيفة وبيوتها محندقة. والشقة بها غرفة معيشة وبلكونة يلعب فيها الأطفال ومطبخ وغرفة نوم. والمطبخ ليست به ثلاجة. وسألت، قالوا لا داعي مادامت في السوبر ماركت ثلاجة كبرى لكل الناس. ووسط القرية توجد حديقة عامة يلعب فيها الأطفال. وكل السيارات تدور حول القرية ولا تدخلها حرصًا على نظافتها وعلى سلامة الأطفال. ثم حرثوها.

ورأيتها في العام الماضي. وجدت أكثر القرية تحول إلى حقول وحدائق. ولم يبق منها إلا المعبد. وعلى جدران المعبد عبارات من عندنا: شتيمة.. وعبارات من عندهم لإغاظتنا: سوف نعود.. ردًّا على عبارتنا: في ستين داهية!

وكان الرئيس السادات سعيدًا عندما ارتدى أحفاده قمصانًا مكتوبًا عليها: ياميت. وداعبت الرئيس قائلاً: يا ميت أبو الكوم.. ولكنه لم يستحسن هذه النكتة!

وفي القاهرة جاءتني سيدة وابنتها وهي تريد أن تقابل الرئيس باعتبارها من سكان ياميت فوافق الرئيس. وبعد أن التقطت لهم صورة تذكارية قالت السيدة: فخامة الرئيس، أنت لا تعرف مدى الألم الذي عانيناه عندما طردنا من ياميت ولكن إذا كانت هذه القرية عقبة في طريق السلام، فهي فداؤك! وكان الرئيس السادات يروي ذلك ليهود أمريكا سعيدًا جدًّا!

تـوت عنـخ آمـون

من نيوزيلندا أول بلد تشرق عليها الشمس في كوكب الأرض تلقيت هذه الرسالة من المهندس أنور شحاتة: عند تصفحي إحدى المجلات وجدت إعلانًا لشركة بويات للدعاية عن منتجاتها، وفي الإعلان صورة لبعض الرسومات والنقوش والزخارف الفرعونية ذات ألوان جذابة على أساس أن ألوان الشركة مشابهة للألوان الفرعونية الزاهية الثابتة الأبدية.

ومن المهندس ثروت أحمد الزهيري من مارسيليا (فرنسا) وفي مقال طويل يتحدث عن السعادة التي عاشها مع ألوف المصريين والفرنسيين وهم يتابعون أخبار الملك توت عنخ آمون الذي ظل التاريخ يذكره على أنه الملك الصغير الذي مات قتيلاً.. وقالوا منافسوه.. وقالوا الكهنة وقالوا زوجته هي التي غرزت السكين في دماغه.. ثم جاء البحث العلمي الحديث يؤكد أنه مات شابًا صغيرًا ولم يقتله أحد.. بمنتهى الصراحة كان الحديث كله حبًا في حب وإعجابًا لانهائيًا بأجدادنا الفراعنة.. وإعجابًا أيضًا بعشق الفرنسيين لبلادنا.

ومن المهندس أيمن عبد الفتاح أبو راس من سالزبورج بالنمسا قال: لماذا لا نجد أثرًا للحضارة الفرعونية في المعمار المصري والحياة المصرية والأسماء المصرية؟ فقد لاحظوا أن معظم الأسماء

إما عربية وإما تركية ولكن الأسماء الفرعونية نادرة جدًّا.. لم أجد ما أرد به عليهم. فهل لديك رد؟!

وتقول د. نفرتيتي داود تكلا من كندا: أمي إيطالية وقد أصرت على أن يكون اسمي مرجريتا. ولكن عندما كبرت وعرفت أننى مصرية صميمة وأبي رجل صعيدي من الأقصر، اتفقنا وغيرت اسمي فأنا الآن نفرتيتي. وغضبت أمي. ولم نفلح في إرضائها. يرحمها الله!

شكرًا لكم أبناء وطني وأهلي. سعداء بكم ويحبكم لمصر.

من باريس:

في تقرير رسمي لمنظمة مرضى الكبد أن الـدول الأوروبيـة لا تتعاون فـي التوعية ولا في تبادل المعلومات ولا في عرض تجاريبها بعضها على بعض.

فحتى الآن ليس لمرضى الكبد علاج سريع ـ كاللقاح مثلاً. ثم إننا لا نلتفت إلى المريض إلا بعد أن يكون المرض قد استفحل واستقر.

وهـذا المرض ينتقل عن طريق الـدم.. بسبب الجهل أو الإهمال أو اللامبالاة.. فنحن نعتقد أن الحقن إذا وضعت في الماء المغلي، كان ذلك تعقيمًا كافيًا. غلط؛ ولذلك اخترعوا الحقن البلاستيك التي نستعملها مرة واحـدة، وعن طريق الحقن المستعملة أكثر من مرة ينتقل الفيروس الوبـائي. وكذلك بـأمواس الحلاقة وفرش الأسنان والوشم وثقب الأذن بـأدوات غير معقمة تمامًـا!

والمرض الوبـائـي لا ينتقل عن طريق الجنس. هذا ما يقال حتى الآن..

وإن كانت هناك حالات غامضة للإصابة، ربما كانت عن طريق الجنس..

وأقـول (ربما)؛ لأنـه ليست هناك معلومات متبادلة بين الدول ولا مجالات لتبادل الخبرات بين العلماء. وأسباب الإصابة بأمراض

الكبد هي الفيروس سي أو بي.. والإسراف في الخمر والبدانة –أي الإسراف في الطعام. وهذان هما أهم أسباب الإصابة في أوروبا كلها.. وهناك مرض آخر يؤدي إلى انقلاب الكبد بعضه على بعضه.. فيصفي نفسه.. يأكل بعضه بعضًا اسمه (المناعة الذاتية)..

وإذا كانت الإصابة في مصر هي 14٪ من السكان ففي هولندا 1٪ وفي بريطانيا 4٪ وفي فرنسا 6٪ وفي إيطاليا 10٪ ولم تستطع هذه الدول معالجة المصابين. لم تستطع لأنه مستحيل.. ففي العام الماضي عالجت كرواتيا 100 من 76 ألفًا، وبريطانيا عالجت 3 آلاف من نصف مليون، وفرنسا عالجت عشرين ألفًا من نصف مليون وليست لدينا، ولا لدى أي أحد، أرقام عن عدد الذين زرعت لهم أكباد.. سواء بعد الإصابة بالتليف أو التهاب الجهاز الهضمي أو السرطان..

اندهشت جدًا عندما سمعت بعض الأطباء يعارضون التوعية الشديدة المكثفة.. وحجتهم أن هذا من شأنه أن يصيب الناس بالرعب وأرى أن هذا أفضل؛ فالأمر خطير ويجب أن يلقى اهتمامًا خطيرًا أيضًا!

مش عارف أقول إيه، هذه هي قرية نموذجية، لا عرفنا مثلها ولا واحدًا على ألف منها عندما كنا صغارًا. رأيت وحاولت أن أتوازن، فالذي رأيته في قرية (بطرة) خرافة معاصرة؛ أطفال في الخامسة أمام الكمبيوتر يحركون ويغيرون ويبدلون ويقرأون، المدرسة أنيقة نظيفة، الأطفال بزي موحد، ويتكلمون العربية والإنجليزية في أي البلاد؟ في الدقهلية!

تذكرت أيام كنت في كُتاب الشيخ سيد في قرية توب ظريف مركز السنبلاوين، الكُتاب أو المدرسة الريفية لا هو فوق الأرض ولا هو تحت الأرض.. أسود زي الطين. بل من الطين والنافذة ضيقة ونحن جالسون على القش المليء بالبراغيث.. وإذا شكونا إلى أهالينا قالوا: اخرسوا.. من علمني حرفًا صرت له عبدًا.. والشيخ سيد يعلمكم القرآن الكريم، اخرس يا كلب إنت وهوه!

ولم نكن نحفظ القرآن فقط بل كانت علينا أعباء أخرى: هذا يخرط الملوخية، وهذا يقمع البامية، وأنا أدخل برأسي في قلب الظلام أحاول أن أعرف عدد البيض الذي وضعه الدجاج، ولا شكوى! فإذا عدنا بملابسنا، وقد تلوثت من الطين وهباب الفرن ضربونا، ولا نجرؤ أن نقول إنها زوجة سيدنا هي التي مرمغتنا في الطين وهباب الفرن وزبالة الحمام والفراخ!

والمعجزة هي أننا خرجنا من أكوام الزبالة والوحل والطين أحياء!

أتذكر صديقي د. صبري الشبراوي الذي تعلم في أمريكا، وكان يباهي الأمريكان بقرية بارموت -وكان ينطقها كالأمريكان ولا ينطقها كما نفعل فنقول البرامون.. ولما عاد مع زوجته الأمريكية إلى مصر، وكانت قد زهقت وقرفت من مقارنة لكل ما هو جميل وعلمي وقانوني في أمريكا عما يجري في بارمون قالت له: أشوف بارمون وبعدها أموت، وحاول أن يمنعها فلم يستطع، وذهبت إلى القرية ورأت ما لا عين أمريكية رأت ولا أذن مصرية سمعت، ولم تنطق بكلمة واحدة، ولما خرجت منها التفتت إلى زوجها قائلة: معجزة أن خرجت منها حيًّا!

إن رجلاً ثريًّا طيبًا خيِّرًا اسمه (محمد بسيوني) هو الذي نظف ورصف وأقام المدارس لوجه الله في قرية بطرة بلد الإمام الأكبر جاد الحق.. ما أسعد أطفال اليوم، وأتعسنا أطفال الأمس!

هـذه المرتبـات الهزيلـة!

من باريس:

سألت عددًا من الأطباء المصريين، جلسوا على راحتهم: قل لي من فضلك: لماذا لم يظهر اسم قصر العيني ضمن الجامعات الـ500 التي نشرتها الصحف على أنها أحسن المستشفيات والمؤسسات العلمية في الدنيا؟

لماذا دول أصغر منا كثيرًا في العدد وأحدث في التاريخ ظهرت فيها جامعات ثلاث؟ لماذا بعض الدول الإفريقية؟ ولماذا مصر بكل الطبل والزمر والأفراح والليالي الملاح والمصريين أهمه.. إلى آخر الدروشة الإعلامية، لم تظهر الحروف الأولى من اسمها في لوحة الشرف العالمية؟

واحد قال: ولن تظهر.

وواحد آخر قال: أعطنا خمسين عامًا..

وثالث قال: معلوماتي وملاحظاتي وتجاربي تقول: ولا يوم القيامة.

أقول: لماذا؟

وقال: المعيار هو الأبحاث العلمية التي ينشرها الأساتذة في المجلات العالمية والعلمية المحترمة، ولا بحث! ولا يمكن أن يصدر

عنا بحث. فكلنا نجري من الجامعة إلى اللجان إلى المشاركة في الزفة اليومية لأي أحد –فمن أين يجيء التفكير ومن أين نضيف شيئًا جديدًا إذا كنا لا نتابع القديم؟

وكما أن هناك دروسًا خصوصية فهناك مثلها عند الأطباء الذين ينامون في سياراتهم جريًا وراء لقمة العيش أو الكيك بين القاهرة والإسكندرية!

وأمام الأطباء الذين يهزون رءوسهم بالموافقة على كل كلمة أيقنت أنه فعلًا لا أمل. وأن الأمل نوع من الترف الذي لا نقدر عليه: والحل يا أطباء؟

قالوا: مادام المدرس الجامعي والأستاذ الجامعي يتقاضى مرتبًا هزيلاً فلا أمل لا عنده ولا عندنا في أن يبلع ريقه، ويفكر بعيدًا عن لقمة العيش، ويفكر في الذي يتلقاه من أبحاث وفي الذي سوف يكمله والذي سوف ينشره.. ومن غير هيئات أهلية لا أمل في أي حل –إن البحث العلمي في مصر مريض وفي الإنعاش ولن يطول عمره بالدعاء له وبالدعاء على الدول التي تقدمتنا.. والتي سوف تمضي في طريقها إلى الأمام ونحن إلى الخلف!

المحاولة لا تكفي!

من باريس:

قرأت عن العدوى في كتاب صدر حديثًا عنوانه (حال الدنيا ـ إعادة تعريف العولمة الأمنية) وقد قدم لهذا الكتاب الزعيم السوفيتي السابق جورباتشوف.. والكتاب صدر عن (معهد الرقابة الدولية من أجل تقديم مساعدات للمجتمع).. وفي 250 صفحة يقول الكاتب: كما أن المرض سريع الانتقال بين الناس، فكذلك الموت.. وكما أن العلم سريع فالجهل أسرع.. وكما أن العلاج صعب فالوقاية أصعب. وكما أن المرض قاسٍ فالعلاج أقسى.. وفي كل الأحوال يحاول الأطباء وإذا لم ينجحوا، فالمحاولة تكفي.. ولكن الطب الحديث يرى أن المحاولة ليست شرفًا.. وإنما هي واجب وكل المحاولات لا تكفي؛ ولذلك لا يستطيع طبيب واحد مهما كان عبقريًّا، ولا معهد واحد مهما كان غنيًّا أن يكشف ويشفي.

وقد اعتاد العلماء والأطباء على مراوغة الفيروسات لهم؛ فهي ليست طيعة كالمرض، وإنما هي شريرة، وترويضها صعب، وقتلها أصعب، وما يفعله العلماء هو محاولة مستمرة لعقد صلح منفرد بين فيروس ونظام المناعة في الجسم الإنساني.. والله الذي خلق الداء خلق الدواء.. وخلق الجسم الإنساني قادرًا على علاج وشفاء نفسه.. هذا واضح في الحيوانات التي لا تعرف الدواء وفي الشعوب البدائية

منذ مئات ألوف السنين.. وقرأت أن المرضى قد عانوا العجب من العلاجات والخزعبلات. وإذا كان علاج الأمراض قد أصبح سهلاً وميسورًا الآن فإنه لم يكن كذلك قبل اكتشاف سير ألكسندر فليمنج للبنسلين وقبل ذلك كانت له اكتشافات في علاج الزهري والبرد.. واكتشاف المواد المضادة والمضادات الحيوية.. وقد بلغت اكتشافاته أوجها سنة 1928 وكان طبيبًا في الجيش أثناء الحرب العالمية الأولى.. وفي مذكراته يقول: أعترف بأنني كنت المريض الحقيقي وكان مرضي أنني أريد الشفاء الذي يخفف المرض.. وأننى كنت على وشك الإصابة بمرض السكر؛ ولذلك أستطيع أن أقول إننى الوحيد الذي كان مريضًا وقد تم شفائي باكتشافي لعلاج كل المرضى.. وإذا كانت من كلمة أقولها للعلماء فإننى أقول: اصبروا وثابروا..

نصيحة صادقة من طبيب عظيم.

مشكلـة توعيـة النـاس

من باريس:

وقد قرأت في مجلة (لانست) الطبية عظيمة الاحترام، أن الأطباء والعلماء عندهم مشكلة، هذه المشكلة أن توعية الناس برغم وسائل الإعلام الهائلة مازالت قليلة، كما أن المرضى لا يزالون يؤمنون بالطب الطبيعي وبالعلاج الديني ومن الصعب اقتلاع إيمان الناس بتجارب شعوبهم وبدينهم.. ولكن يجب أن تتعارف كل وسائل الإعلام على أن الطب الحديث مهم وخطير، وأنه أصبح أقرب إلى معرفة العلاج في كل مراحل المرض.

ولذلك فالوقاية خير من العلاج. ولكي تكون وقاية يجب أن يكون هناك وعي.. ولكي يكون هناك وعي. يجب أن تنشط كل وسائل الإعلام إلى جوار الأطباء والمرضى.

ويشكو الأطباء أيضًا من أن المنظمات العلاجية لا تتوافر لها كل الأرقام عن كل البلاد. ثم إن هذه المنظمات لا تتبادل المعلومات، وإنما هي في حالة تنافس لحساب شركات الأدوية.. وشركات الأدوية تساعد بعض المنظمات في كلٍّ الدول لكي تعمل لحسابها، وتبادر بإعطاء المعلومات التي تساعد على استخلاص وتركيبة الأدوية.

وقد جاء في مجلة (العالم الأمريكي) أن السير إيان فليمنج عندما اكتشف البنسلين لم يكن هكذا وحده.. نام وقام فوجد الدواء تحت

المخدة، وأن الذي وضعه هو بابا نويل! وإنما كانت لديه تجارب ومعلومات ومحاولات.. واستطاع هو وآخرون بعبقرية أن يقفز إلى العلاج الناجح الذي هو نموذج لكل شفاء.. وهو أمل كل المشتغلين بعلاج التهابات الكبد وخصوصًا الكبد الوبائي!

ومن رأي أ. د. سامية حواس رئيس جهاز المناعة وعميدة كلية التمريض: إننا يجب أن ننظر إلى الخطوات الناجحة التي حققناها بكثير من الحذر والتحفظ، فنحن مازلنا في أول الطريق.. ولكن بدأنا.. وإذا خطا عالم مصري خطوة فهو وحده.. وليس كالعالم البلجيكي أو الأمريكي الذي إذا خطا خطوة واحدة فأمامه ووراءه جيش من العلماء والباحثين وجبال من الدولارات.

رجـــــوع الشيـــــخ!

من باريس:

لا الذي جاء في الطب الفرعوني ولا ما جاء في كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) يبعث على الضحك، فهم ينصحون بما لا نهاية له من الأعشاب وريش الطيور وغدد الحيوانات لعلاج كل الأمراض. ففي كل الحضارات القديمة لجأ الطبيب إلى تعاطي الأعشاب مع خلطها بكثير من الدهون والدماء.. وفي العصور الحديثة استخلص العلماء مواد نقية من هذه الأعشاب.. ثم سخر الأطباء من الطب الطبيعي أي المأخوذ من حقول وحدائق الطبيعة، وكذلك الطب البديل: مثل الكي والوخز والمغناطيس. وتسلطن على عرش العلاج كل ما هو كيميائي سريع المفعول، وفي أحيان كثيرة شديدة الضرر. حتى مادة (الإنترفيرون) التي يفرزها الجسم الإنساني للتدخل بين الجسم وبين الفيروسات والدفاع عنها، حتى هذه المادة يرى الأطباء أنها تساعد على المرض وليس على إضعافه والقضاء عليه. فالعلاج الوحيد الآن لمرض الكبد الوبائي هو هذه المادة الفادحة الثمن هي الأخرى من الممكن أن تساعد على (تليف) الكبد بدلًا من الدفاع عنها.. وهي غالية الثمن.. فالمريض الواحد يحتاج إلى خمسين ألف جنيه –وفي مصر عشرة ملايين من المرضى.. إديني عقلك، من يدفع كل هذا المبلغ – لا حكومة ولا منظمات أهلية تستطيع، ولا معونة من أي بلد آخر!

ولذلك عاد الأطباء إلى الطب الطبيعي بصورة أخرى. ومنذ ثلاث سنوات حاول اثنان من العلماء في المنصورة هما: أ. د. سامية حواس أستاذ المناعة وعميدة كلية التمريض، وأ. د. فريد أبو درية ــ حاولا واستخرجا من نبات الكركم مادة تقوم بتنشيط وتحفيز إفراز الإنترفيرون وأجريا تجارب على ألف مريض ونجحت التجربة بنسبة 60٪. واستخدام الكركم من ألوف السنين في الصين واستخدام العرقسوس قديم في اليابان. والعالمان المصريان استخدما المادتين معًا على شكل حبوب! وسجَّلا هذا الاختراع. ولا تزال المحاولات مستمرة.. ولأن الفيروس الذي يصيب الكبد خامل فإنه يكمن عشرة أو عشرين عامًا ــقاتلاً صامتًاــ فإن أحدًا لا يدري كيف الوقاية. وإنما كل المحاولات للعلاج إذن لا يزال الطريق طويلاً حتى يصبح استخدام الإنترفيرون في قوة وسهولة مادة الإنسولين لعلاج مرضى السكر ــوهو أمل عظيم!

أقول ما قولش –على رأي عبد الحليم حافظ– أنا لا طلبت إليه ولا توسلت إليه.. هو إللي قال يا امه –على رأي صباح.. إيه الحكاية؟

الحكاية أن الكاتب السياسي عباس الطرابيلي هو الذي تبرع وألح في الطلب وقد ندمت على ذلك.. كنا على مائدة الأمير الشاعر خالد الفيصل في إمارة عسير عندما صرخ الأستاذ الطرابيلي قائلاً: أعطني مليون جنيه وأنا أعيدها لك عشرة عند نهاية العام، وكان الكلام موجهًا لكل الناس مادام قد رفع صوته، يعني أي واحد عنده مليون جنيه، فالأستاذ الطرابيلي سيرده عشر مرات كيف؟ هو يقول إن الجنيه يدور في دمياط 365 مرة في السنة، أما هذه الصناعة المريحة فهي الحلويات –المشبِّك وغيره!

وتساءل الناس إذا كان هذا ما سوف يفعله لنا، فكم من الملايين عند الطرابيلي؟

ولا يزال يقول جادًّا، فهو لا يطلب عشرة آلاف وهي ممكنة.. أو مائة ألف وهي صعبة.. وإنما يطلب المستحيل لتحقيق المستحيل؛ ولذلك بقي نداء الأستاذ الطرابيلي سيفًا على رقاب الأغنياء لا يعرفه إلا الفقراء!

وأخيرًا كنت في زيارة للأستاذ الطرابيلي.. فأعاد النداء الذي هو أقرب إلى الهجاء، وكما تقول أم كلثوم: قد أعرتك أذنًا غير واعية

وربما تسمع والقلب في صمم.. والمعدة في صمم. قال إننى لا أعرف حلويات دمياط لأنني دقهلاوي متعصب، ولا أعرف معنى الجبنة الدمياطية.

ولكنه -ولا أعلم لماذا- وعدني على مسمع من محرري جريدة «الوفد» أنه سوف يبعث لي بالحلويات والجبنة قبل أن أصل إلى البيت.. ولما كان بيتنا في القطب الشمالي وإننى في طريقي ماشيًا على قدمي.. فلا أنا وصلت ولا الحلويات ولا الجبنة، ومن النظر إلى وجوه المحررين لم أقرأ سطرًا ولا كلمة تدل على أن الرجل جاد، فقد سمعوا ذلك كثيرًا، وكأنه لا قال ولا وعد!

وقد مضى من الزمن على هذا الموعد الدمياطي -اللهم صلِّ على النبي- نحو أربعين يومًا.. أي أننا في الأربعين ولابد أنه ينتظر الذكرى السنوية، ويكفي أنه وعد، وهذه حالة نادرة في دمياط، فشكرًا له ما وعد وما توهم أنه سوف يعطي بالشمال ليمسحه باليمين.

وليست مفاجأة، فكلنا نتوقع ذلك من ابن دمياط المخلص لمبادئها النبيلة!

أعظم سباح

تلقيت من الصديق بطل أبطال السباحة في الدنيا عبد اللطيف أبوهيف: قرأت مقالكم وكان ممتعًا بخصوص الآنسة مكارثر التي دارت حول العالم في 71 يومًا بمفردها وفعلاً أنها عظمة وإرادة. ولقد ذكرتني بسباحتي أنا 60 ساعة في الماء الساقع من بلد إلى بلد لمسافة 250 كيلومترًا بالأرجنتين، كما ذكرتني حين سبحت في ماء مثلج بكندا لمدة 30 ساعة في سباق تتابع وخرج زميلي المرافق. وكان المفروض أن أسبح أنا ساعة وهو ساعة. وكل الفرق الأخرى بنفس الطريق. كلهم أبطال عالم. بعد نصف ساعة من سباحة زميلي خرج من الماء وكنت مضطرًا لتكملة الـ30 ساعة بمفردي في حين أن كل الفرق الأخرى تسبح ساعة ثم تخرج من الماء ليستريح ويأكل ومساج وتدفئة ثم يستمر وينزل إلى الماء ويخرج زميله لينام هو، والآخر يستريح ساعة ثم ينزل إلى الماء وهكذا. إلا أنني أنا المصري حبيبك كمل السباق بمفرده لمدة 29,5 ساعة وينتصر ويفوز بالمركز الأول. وقد أصدر الاتحاد الدولي بعد هذا السباق «تقريرًا» قال فيه إنه (يعتبر أبوهيف أعظم سباح في التاريخ) ولم يقل في العالم. ثم تنتخبني قائمة مشاهير السباحين العالميين (سباحًا للقرن).

كما تذكرني بسباح إنجليزي حاول أن يسبح بمفرده بدون مركب مرافق في المانش وهي محاولة فريدة كما حاولت مكارثر. واختفى. وهاجمته الصحف لأن له سبعة أولاد فمن يتولاهم بعده! فما كان

مني إلا أن تنازلت عن جائزتي بالمركز الأول في بطولة العالم بالمانش سنة 1955 لأولاده؛ مما جعل الصحف الإنجليزية تشيد وتقول (أي مكرمة مصرية) وأشادت بها عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

ولكن أبوهيف العظيم هذا وعدني وأخلف ووعدني وهرب وقال لي: أعطني من وقتك ساعة، وبعد ذلك حاسبني افضحني بهدلني. وكان المطلوب أن يعلمني العوم. ووضع يده في الماء الدافئ. ثم وضعها في الماء البارد.. وملأوا الحمام وأفرغوه ألف مرة. ولا علمني ولا انتظرت، وسألت إن كان أبوهيف قد محا أمية أحد مثلي، فقالوا لي: أبدًا.

شكرًا لبطلنا الكبير.. ولا أمل عندي لا منك ولا من غيرك.. ولم ينقصني شيء.. يكفي أن أتفرج عليك وأسمع عن بطولاتك، رغم أنني لا أعرف ولن أعرف السباحة!

فاطمة عبد الله

عندما كتب الأستاذ العقاد كتابه عن (الله) ثم (عبقرية المسيح) قال لنا إنه أراد أن يجرب عقله في مواجهة مثل هذه الموضوعات الفلسفية الدينية الصعبة. وجرب عقله. ونجحت التجربة..

فإن كانت السيدة فاطمة عبد الله هي الأخرى أرادت أن تجرب قدرتها العقلية ولغتها الفرنسية وكذلك العربية في مواجهة الموضوعات الشاقة في الثقافة الفرعونية، فقد نجحت أكثر من مرة؛ ولذلك تستحق عظيم الإعجاب والاحترام.. فهي أحبت الثقافة الفرنسية التي عشقت الثقافة الفرعونية. وليس كتابها الأخير (موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية) من تأليف روبير جاك تيبو إلا دليلاً بارزًا على هذا الاقتدار. والكتاب في 370 صفحة ومن منشورات المجلس الأعلى للثقافة.. وقد راجعه الأستاذ محمود ماهر طه.. تقول الموسوعة إن (تاريخ مصر) يبدأ مع سنة 4241 مع أول ظهور نجم الشعرى اليمانية والفيضان وهو مرجع لكل التاريخ المصري.

وتقول عن الفيلسوف الإغريقي العظيم أفلاطون إنه أقام في مصر ثلاث سنوات التقى الكهنة فعلموه أسرار الكون..

ولم تذكر النصوص المصرية كلمة (إسرائيل) إلا مرة واحدة.. بينما نجد أن كلمة مصر قد وردت في التوراة 700 مرة. وقد جاء في

لوحة الملك مرنبتاح أنه استولى على فلسطين وغزا إسرائيل. وقد تزامن ذلك مع سفر الخروج من مصر..

وتحكي الموسوعة عن (أم أربعة وأربعين) تلك الحشرة السامة التي داسها حورس بقدميه فلسعته فكاد يموت لولا أن إيزيس قد سحقتها وبللتها بريقها وعجنتها فابتلعها حورس ونجا من الموت!

مـات رئيـس إسرائيـل

مـات رئيس إسرائيل عيزرا فـايتسمـان، فقد كان أقوى المتحمسين وأكثرهم فـهمًا لطبيعة العلاقات بين مصر وإسرائيل. وكـان الرئيس السادات يشعر تجاهه بمودة خاصة. وكان الرئيس السادات معجبًا بسلاح الطيران. ويرى أن الذي لديه سلاح طيران قوي، عنده غطاء وجيش قوي وربما كان هذا من بين أسباب إعجاب الرئيس السادات بالرئيس حسني مبارك. لقد سمعتها منه شخصيًّا..

وعيزرا فـايتسمـان في غاية اللباقة وابن نكتة. ومن يقرأ كتابه (معركة السلام) يجده مسليًا مفيدًا.. وهو يتحدث عن أول لقاء مع السادات ومع المشير الجمسي.. وكيف رأى مصر بعين الصديق الذي كان عدوًّا.. ففي الحرب العالمية الثانية كان ضابطًا في الطيران الإنجليزي وأقام في القاهرة بعض الوقت.

ولكنه في عبارة أدبية يتحدث عن القاهرة من الطائرة.. ويعرف طبيعة الأرض ومواقع الصواريخ. فقد كانت لديه صور من الجو لكل ذلك، وفي كتابه يقول: إنه في 89 دقيقة من تل أبيب إلى القاهرة اختصر ثلاثين عامًا من الحروب الخمس وما لا نهاية له من المعارك في المعلومات والطلعات الجوية والتربص اليومي. كل ذلك أنهاه السادات..

ولقد حضرت عدة لقاءات بين السادات وفايتسمان ورأيت في إحدى المرات د. مصطفى خليل رئيس الوزراء آنذاك داخلًا خارجًا معترضًا تمامًا على صفقة البترول مع إسرائيل.

وكان د. مصطفى خليل رجلاً شجاعًا عظيم الاحترام ـشفاه اللهـ وبعد أن سافر عيزرا فايتسمان قال لي الرئيس السادات: مصطفى خليل على حق وأنا غلطان.. وسوف أجد حلاً ووجد حلًّا وألغيت الصفقة!

ولم تنقطع صلة عيزرا فايتسمان بمصر، فكان يوفد من يقول ومن ينبه ـقبل أن يصبح رئيسًا لإسرائيل وبعد ذلك. وكثيرًا ما لفت أنظارنا إلى حقائق مهمة وأخطاء نوشك أن نقع فيها. وفي يوم اتصل بي وقال لي: قل للمشير أبوغزالة أن إسرائيليًّا يعمل في شركة (العال) قد استدعاه للتجنيد ـهاها.. وضج المشير أبوغزالة من الضحك وألغى استدعاءه!

وفي كامب ديفيد كان أكثر الناس حرصًا على السلام الدائم معنا: موشى ديان وعيزرا فايتسمان!

أيــن أبــي وأمــي!

أنت ساعدت كثيرات في العثور على آبائهن وأقاربهن؛ ولذلك أعتقد أنك سوف تساعدني. أما عنوانك الإلكتروني فقد عرفته من المكتب التجاري المصري هنا في لاجوس. أنا يا سيدي ابنة الطبيب محمد عبد الحكم عبد الله الذي عمل هنا من 1971 إلى 1976. وبعد ذلك لم أعد أسمع عنه شيئًا. وأمي من نيجيريا. وأنا لا أريد من والدي أي شيء فقط إلا أن أراه.. أن أتعرف إليه وإلى أهلي.. لا أكثر ولا أقل فكما ترى أنها مسألة عاطفية بحتة.. وكل ما عندي هو بضع صور تذكارية، أما أنا فأعمل محامية في شركة شل. وأريد أن أؤكد مرة أخرى أنه الشعور بالحنين إلى الجذور. ولابد أن يكون أبي في السابعة والستين من عمره. ومازلت أذكر أنَّ له ڤيللا في حدائق شبرا.. وأسرته تعرف أنني قد ولدت سنة 1970. ولا أريد أن أسبب له ولأسرته أية متاعب. فقط أن أراه.. أن تكون هناك هذه الصلة الإنسانية التي أفتقدها. فهل تساعدني؟

نادية عبد الحكم عبد الله

أنا أولجا فريدريش أكهارت (38 سنة).. سمعت من أمي قبل وفاتها أن والدي مصري من أصل تركي. وأنني صورة طبق الأصل منه.. شقراء زرقاء العينين كبيرة الرأس طويلة. عريضة. وأنا أعمل مهندسة إلكترونيات وزوجة لمهندس وأم لثلاثة من الأولاد. الأول اسمه شاكر والثاني عبد الله والثالث مهدي. لأن أبي بعد أن أسلم قد جعل اسمه:

شاكر عبد الله مهدي (73 عـامًـا) وقيل لـي إن والـدي يعيش في الإسكندرية وإنـه تزوج سيدة مصرية وأنجبت لـه ثلاثة أولاد وهو متقاعد لم أره من ثلاثين عـامًـا.. واحتفظ لـه ببعض الصور وقد حاولت أن أهتدي إليه. وأملي في الله كبير ولك الثواب عند الله.

أولجا شاكر مهدي.

إن كان أحد من السادة القراء يعرف أو في استطاعته أن يدلنا فشكرًا له. فلا واحدة من السيدتين تريد شيئًا.. فقط: حضن الأبوة المفقود في زمن لا يعرف لا الأحضان ولا البنوة ولا الأبوة!

مليارات للبحث العلمي

كنا نزور أحد المصانع اليابانية في مدينة كيوتو مع الرئيس مبارك.

هناك إجراءات مشددة، بعض هذه الإجراءات أنه لا يحق لأي إنسان أن يدخل القاعات دون أن يخلع ملابسه ويستحم حتى لا تتعلق بملابسه أو بجسمه ذرة تراب. وهي إجراءات صارمة ملزمة لكل الناس؛ ولذلك اختاروا لنا أن نتفرج على بعض المراكز الاستعراضية. أي التي نرى فيها العاملات وأن نمشي بينهن. أما الغرف الأخرى فلا نستطيع أن نراها إلا من الخارج. ولو فرضنا أن عاملة أو مهندسًا خرج ودخل عشرين مرة فلابد من الاستحمام في جميع المرات!

ومما بهرنا إلى جوار قاعات العرض مبنى ضخم ممنوع علينا. وهذا المبنى مخصص للبحث العلمي. وأن كل مصنع له مراكزه الخاصة في البحث. وأن عشر ميزانية كل شركة مخصص للبحث العلمي.. وأن الشركات اليابانية تنفق أكثر من أربعين مليار دولار للبحث العلمي.. أما الحكومة فلها أيضًا مراكزها وأن مثل هذا المبلغ تنفقه الدولة على الأبحاث العلمية. وأن أكثر الباحثين من الشبان.

وأن جانبًا كبيرًا من طلبة المعاهد والجامعات يراسلون هذه المراكز ويبعثون بأفكارهم ويتقاضون أجرًا على ذلك.

أهم من كل ذلك أن في هذه المصانع مركزًا خاصًا لتلقي أفكار واختراعات الشباب في كل موضوع. وليس من الضروري أن تكون أفكارهم لها علاقة بمنتجات هذه المصانع.

مثلاً: شركة الساعات السويسرية رولكس لها كتاب سنوي.. هذا الكتاب فيه تلخيص لكل الأبحاث التي تنفق عليها الشركة. هذه الأبحاث لا علاقة لها بصناعة الساعات، بعضها من مصر.

فالبحث العلمي يلقى تشجيعًا جادًا مهما يكن موضوعه. فكل تقدم علمي هو خطوة لكل الإنسانية. ويلقى عظيم الاحترام!

ذهبت أتفرج على أحد معاهد الأبحاث العلمية. وكان الموضوع أنني كتبت كثيرًا أحذر من مادة اللون التي تستخدم في عروس المولد.

اللون أحمر شديد الاحمرار. ضار بصحة الأطفال. ومن المؤكد أنه يسبب السرطان. فهناك مقاييس دولية للون لاستخدام الورق الملون لتغليف الحلوى والشيكولاتة.

وعندما ذهبت إلى أحد معاهد البحوث لاحظت أنهم كنسوا الأرض ورشوها بالماء. وهي أرض عريانة من البلاط. أو بلاطها صار كالأرض ترابًا فوق طين، أو طينًا من تحته رماد.. والمكان كئيب وليس فيه شيء أبيض إلا البلاطي التي يرتديها الباحثون ثم وجدت التجارب في (الطشوت).. وأوراقًا متناثرة أعدت أخيرًا تقول إن عروس المولد مجرمة ولا علاقة لها إلا بمولد أحد المشايخ، ومن المؤكد أنها عروس الموت.. موت ما لا عدد له من الأطفال.. وفوجئت بأنهم أرسلوا مذكرات عديدة لوزارة الصحة ولوزارة التموين وللشئون الاجتماعية تحذر وتنذر. واستقرت هذه المذكرات في سلة الزبالة!

وفي كتاب (وصف مصر) الذي ألفه شباب الحملة الفرنسية على مصر أن الفرنسيين كان لهم مكتب في روض الفرج لقياس جودة السلع الفرنسية. فإذا جاءت سلعة من فرنسا غير مطابقة للمقاييس والموازين العلمية أعادوها إلى فرنسا.. رغم أن المواطن المصري

لا يدري ولا يهمه كثيرًا أن تكون السلعة مطابقة أو غير مطابقة. ولكنَّ الفرنسيين يهمهم ويلزمون التاجر الفرنسي بأن يحترم القواعد تمامًا كأنه يبيع للفرنسيين وليس للمصريين ولم يحدث أن اعترض أحد على هذه الإجراءات الدقيقة؛ لأن هذا هو القانون.. ملزم لهم جميعًا. ونحن في مصر لا ندري. وإذا درينا فلا يهمنا الأمر.. ولكنَّ هناك علمًا وأخلاقيات للعلم والعلماء أيضًا.

سـوف يحـدث غـدًا

من روما:

أن تعطي صوتك هذا واجب وطني، أن تقول نعم أو تقول لا هذا حقك. ولكن يجب أن تسأل من الذي يستحق أن تعطيه صوتك.. فهل هناك أحد غير الرئيس مبارك؟ لا أحد ولكن من المؤكد أنه سوف يكون هناك آخرون. بعد عشر سنوات بعد عشرين سنة. فقد عاشت الأحزاب الصغيرة بلا أمل. وهذا حالها من 35 عامًا فلم يظهر أحد لأنه لا معنى لظهور أحد ما دام الحزب الحاكم سيظل حاكمًا إلى الأبد.. حتى جاء هذا التعديل الدستوري.. ولن يكون الأول والأخير. وإنما خطوة في طريق. هذا الطريق نجعله قصيرًا أو طويلاً. هذا حق الأجيال القادمة. ولكننا بدأنا، فيجب ألا نفسد ما بدأناه. ويجب ألا نجعل حسني مبارك يندم على أنه اتخذ هذه المبادرة.. وأنا مستعد أن أدافع عن حرية أي إنسان، وإن كنت أختلف معه في الرأي. ولكن سوف يجيء وقت تتهذب فيه الأقلام وتحتشم الألسنة ونكتفي بالإشارة. وليس من حق الرئيس مبارك ألا يرشح نفسه. ليس من حقه. إنه قائد طائرة. قبطان سفينة يجب ألا يقفز منها بعيدًا ويتركنا وحدنا.

وإذا تردد في أن يرشح نفسه فرضنا عليه ذلك؛ لأنه لا بديل عنه.. ولكن سوف يجيء اليوم الذي يشعر فيه زعيم الحزب الوطني بأن هناك من يستطيع أن يجلس إلى جواره.. وأن يرتفع بقامته إلى

مستواه ليس اليوم ولا غدًا وإنما بعد غد.. وسوف تجيء حكومات ائتلافية كثيرة -عندما تتقارب الأحزاب في شعبيتها.. إن الرئيس مبارك لم يكن في حاجة إلى هذا العدد الهائل من المحامين والدعاة يترافعون عنه ويدعون إليه.. فنحن نعرفه ونحترمه ونقدر ما قدم لبلاده.. وإذا خسر الرئيس بعض الأصوات فليست غلطته وإنما غلطة بعض الذين يترافعون عنه ويدافعون مع أنهم يحتاجون إلى من يدافع عنهم أمام الشعب!

العالـــم والفيلســوف

الفرق بين الفلسفة والعلم، أن كل فيلسوف يجب أن يجد حلاً لعدد من المشاكل.. هذه المشاكل محلولة.. ولكن يجب أن يكون له رأي خاص فيها.. هذه المشاكل هي: وجود الله، ونشأة الكون، والقيم الأخلاقية، والقيم الجمالية، والسلوك الإنساني، والحياة بعد الموت..

أما في العلم فهو أن يتابع العالم ما سبقه من الأبحاث، وأن يضيف إلى ما حققه الآخرون.. أو بعبارة أخرى: الفلسفة هي أنه إذا كانت لديك سيارة فإن الفيلسوف يتساءل إن كانت موجودة أصلاً.. ثم يفككها من أولها لآخرها ويعيد ربطها أو يلقي بها في البحر ويدعوك إلى المشي على قدميك.. أما العالم والمخترع فإنه يغير شكلها ويغير موتورها ويوفر في الوقود وفي اللون والحجم والشكل.

والعالم لا يكون مخترعًا.. والمخترع قد لا يكون عالمًا.. فنيوتن أعظم عقلية خلقها الله لا يستطيع أن يدق مسمارًا.. فقد كانت له كلبة.. وكانت تضايقه، ففتح لها فجوة في الحائط لكي تدخل وتخرج دون أن تشغله.. فلما ولدت فتح فجوة صغيرة لأولادها!

أذكر أنني كنت في جزيرة تايوان.. وهناك رأيت عجائب الهندسة الوراثية، وكيف أنهم يغيرون أحجام الأسماك.. فكانت عندهم مأساة هي أن الجمبري يتكاثر بالملايين، ثم ينطلق إلى المياه الدولية حيث يجد الزوارق اليابانية في انتظاره.. فأدخلوا تعديلاً على سلوك

الجمبري فأصبح يخرج من الجزيرة ليعود إليها.. وقالوا لي: لماذا لا ترسل لنا مصر عددًا من علمائها يقومون بنفس التجارب على أسماك النيل؟

وتقلت للرئيس مبارك هذه الرغبة.. فطلب مني أن أبلغ د. يوسف والي.. وفعلاً أرسل د. والي عددًا من العلماء المصريين.. وعادوا.. وذهبت أسأل ماذا حققوا ومشروعاتهم لمصر؟ فكأنهم لا راحوا ولا جاءوا.. ولا رأوا.. وبس!

أعطوني القمر!

ماذا يحدث للعامل المصري في بنك مصري وفي بنك أجنبي.. في شركة مصرية وفي شركة أجنبية؟ ماذا يحدث للعامل وللطالب وللطبيب في أي دولة أجنبية؟ لسنا في حاجة إلى أن نسافر إلى كل الدنيا لنعرف سلوكيات المصريين في عملهم وفي بيوتهم.. وإنما يكفي جدًّا أن تذهب إلى بنك أجنبي وبنك مصري في نفس الشارع ونفس العملاء. إن السلوك مختلف تمامًا.. هناك انضباط.. هناك ثواب وعقاب. لا توجد كلمة معلهش.. لا توجد عبارة خلاص حبكت يعني!

اسأل العلماء المصريين الذين لم يجدوا أنفسهم في مصر.. وكيف وجدوها هناك في أمريكا مثل د. فاروق الباز، وفي بريطانيا مثل د. مجدي يعقوب.. وعشرات غيرهما من الرجال والنساء، لم يغيروا جلد فاروق الباز ولا لون شعر مجدي يعقوب.. وإنما أعطوهم الفرصة لكي تظهر مواهبهم التي عجزنا عن اكتشافها في مصر، سألت فاروق الباز: قل لي يا بلدياتي ماذا حصل لك في أمريكا؟

وكان رده سهلاً بسيطًا: أعطوني القمر وقالوا لي: عندك كل الإمكانيات. فكر وقل لنا.. ثم ارسم لنا سطح القمر لكي تهبط عليه سفن الفضاء، والفلوس من دولار لمائة مليون والمساعدون العلماء من واحد لألف، ولسنا مستعجلين.. تفضًل!

وقد تفضل.. وتفضلوا وكان العالم المصري الذي لم نعرف كيف نجعله كذلك!

وأذكر أنني ذهبت مع فاروق الباز لزيارة متحف الفضاء في واشنطن.. وكانت متعة علمية مؤكدة، زيارة فريدة مع الرجل الذي يعرف. وفي عودتنا إلى الفندق وتحت الأمطار الغزيرة ضللنا الطريق إلى الفندق.. نكتة! الرجل الذي رسم طريق سفن الفضاء إلى القمر وعلى أرض القمر قد شغله واستغرقه البحث فلم يعرف أسماء شوارع الأرض وفنادقها.. ونزلنا من سيارته نضحك.. وهو مكسوف أن يسأل الناس عن أين يوجد الفندق، ولم أخجل وسألت وتشكك الناس في جديتنا وظنوا أننا سكارى؛ فقد كنا أمام الفندق ونسأل عنه.. عجبي!

انتعاش بعد الفشل

عندما وصف الرئيس جمال عبد الناصر رئيس وزراء بريطانيا إيدين بأنه رجل (خرع) كان بالفعل، كذلك أيضًا كل القوالب السياسية، فإيدين كان مريضًا منهارًا، وازداد انهيارًا بعد فشل العدوان الثلاثي.. وقد أصيب الرأي العام في بريطانيا بالعار؛ إذ أوقعته الحكومة في مستنقع الفشل والندم.

وفي سنة 1957 استقال إيدين من الحكومة وهرب يستشفى في نيوزيلندا.. ولم يفلح.

ولم تسقط بريطانيا كلها مع رئيس الوزراء. وإنما اتجهت حيوية الشعب البريطاني وإبداعاته إلى مجالات أخرى.. في الفكر والأدب والفن والأناقة.. ففي ذلك الوقت، ظهر الشبان الخنافس الذين زلزلوا عرش الأغنية الأمريكية.. واتجهت الآذان والعيون إلى بريطانيا.. وتسلطنت موضة (الميني) في لندن.. واستطاعت مصممة الأزياء ماري كوانت أن تفتح الخزانة البريطانية وتودع فيها المليارات بسبب هذه الموضة.. وانتهزتها جميلات ورشيقات بريطانيا فأقمن معرضًا دائمًا للسيقان الجميلة.. ولم تستطع كل محاولات دور الأزياء أن تقتلع موضة (الميني والميكرو) حتى اليوم.. وظهرت فرق (الرولنج ستونز) الموسيقية أيضًا تأكيدًا لثورة الشباب وقدرتهم على أن يأتوا بجديد بعد أن عجز الشيوخ عن إنعاش الفكر والروح البريطانية.

وتوالت أعمال (الأدباء الساخطين) مثل كولن ويلسون وشيلا ديلاني وغيرهما، وقد استطاع كتاب كولن ويلسون (اللامنتمي) أن يحفر عميقًا في الآداب الأوروبية والعربية أيضًا.

وانتشرت كلمة (اللامنتمي) وهي من ترجمة الأديب العراقي أنيس زكي حسن وأدب الساخطين كان على حافة الفلسفة الوجودية والرومانسية.. ولم يكن غريبًا بعد ذلك أن يتحول كولن ويلسون إلى الفلسفة الوجودية؛ ولذلك كانت أهمية الكتاب الذي أصدره روبرت برودويك (سنوات بلا هزيمة) تحفة أدبية، وعلامة إرشادية للروح إذا أصرت على ألا تموت.. وأن تتخلى عن جزء من جسمها: رجل.. ساق.. عين.. لتكمل تقدمها فتندفع بعيدًا عن خيبة أمل السياسيين.. خيبة أملهم هم، وخيبة أمل الشعب فيهم!

كما أن الكون قد بدأ بانفجار كبير.. بوقود هائل.. بإشعال مروع من العدم إلى الوجود.. ومن الفوضى إلى النظام.. ومن زلزال إلى طاقة علمية منظمة، فكذلك كل محاولة للخروج.. كل محاولة للخروج من أزمة إلى انفراج نفسي وعقلي..

أو بعبارة أخرى لا بد من وجود أزمة.. لا بد من وجود صدمة؛ هذه الصدمة هي التي تجعلنا نفيق من دوخة الناس أو القناعة في العلم.. أو الرضا والسعادة بأنفسنا..

والأزمة وحدها لا تكفي.. وإنما لا بد من أن نتعلم فن امتصاص الأزمات أو إدارتها. والأزمة قد حدثت ويبدو –والله أعلم– أننا بما فينا من قدرة هائلة على امتصاص الأزمات قد ابتلعنا هذه المصيبة، وكأن شيئًا لم يكن. ليست شجاعة ولا هي نعمة كبرى وإنما هي مأساة أن نكون على هذه الدرجة من البلادة واللامبالاة!

أمريكا نفسها عندما سبقتها روسيا في إطلاق أول قمر حول الأرض وأول كلبة وأول إنسان وأول امرأة.. كانت هي الصدمة! الصفعة، الركلة، الشلوت؛ إذ كيف تستطيع دولة فقيرة لا فيها حرية ولا فيها رأسمال أن تسبقها إلى السماء؟ هذه هي الصدمة فماذا فعلت أمريكا؟ قررت أن تشكل لجنة من كبرائها وعظمائها وعباقرتها وأن تظل هذه اللجنة منعقدة إلى نهاية القرن لتعرف وتعالج الفضيحة

التي حاقت بالعظمة الأمريكية والأبهة والحرية. وبسرعة عالجت وقررت ونفذت وتقدمت على روسيا في السماء، كما تقدمت عليها في الأرض، واليابان صاحبة الثورة البيضاء الوحيدة في التاريخ كانت لها صدمة.. أزمة.. دوخة. فعندما وقفت بارجة أمريكية في ميناء طوكيو في منتصف القرن الـ19. ولأول مرة ترى اليابان سفينة حربية عليها مدافع.. وترى البحارة وقد ارتدوا بدلاً بيضاء، جاءوا يطلبون الماء والدواء لم يفق اليابانيون من الصدمة. فكروا وقرروا أنهم جهلة لابد أن يتعلموا وأن يستوردوا خبراء من فرنسا يضعون لهم الدستور ومن بريطانيا ليبنوا لهم السكك الحديدية، ومن إيطاليا يعلمونهم الرسم والموسيقى، ومن ألمانيا لبناء المستشفيات، ومن أمريكا لبناء المدارس.. ثم أقفلوا الأبواب والنوافذ سنوات. وكانت المفاجأة: خرجت اليابان دولة عصرية كاملة الأوصاف!

مفيـــــش فايــــدة!

سعد زغلول قال إيه؟ قال مفيش فايدة.. فأنا أرى أنه لا يزال بدري علينا جدًا أن نقترب من الجامعات الـ500 التي اختاروها كأعلى مستوى علمي. لماذا؟ لأنني وقد تعلمت في مصر ثم سافرت إلى كندا وإلى فرنسا، رأيت العجب ولا أجد شيئًا من ذلك في بلادي.. ولو كان المكان يتسع لحكيت تجربتي أنا بالذات.. مع علاج أمراض النباتات.. وكيف تقدموا وسوف يتقدمون.. لا قيل لي إن المرتبات هي السبب، فهناك أطباء ومهندسون يتقاضون الكثير جدًا. ولم يتقدموا خطوة واحدة، لا في علمهم ولا حتى في حياتهم. إن المشوار طويل، ولابد من ثورة سلوكية علمية. وبغير ذلك لا فائدة..

د. سري الدين الشربيني

ليــــــون ـ فــرنســـــا

يا سيدي، لم يقل سعد زغلول مفيش فايدة. وحتى لو قالها، فليست شعارًا قوميًا. وممكن أن يكون قد قالها تعليقًا على حالته الصحية ومحاولة الأطباء إنقاذه أو تأخير موته ساعة أو ساعتين. وهو محق في ذلك.. أو أنه ندم على ما قيل، ووجد أن الندم لم يعد له فائدة. أو أن الذي قدمه لبلاده لم يكن له ثمرة في أية شجرة. ولكن ليس كلامًا علميًا أن نقول: مفيش فايدة..

فلو قالها أحد العلماء في مراحل الكشف عن جديد، ما تقدمت الإنسانية في كل المحاولات. لو قالها مكتشف البنسلين وهو يبحث

في النباتات والحشرات والأمعاء والبنكرياس.. لو قالها إديسون مخترع المصباح الكهربي، وكان بائعًا للصحف. وكان أصم؛ لو قالها ما كان أعظم مخترع في التاريخ، فقد قدم لنا أكثر من 500 اختراع.

كلها تدل على أنه قال دائمًا إن هناك فايدة في البحث والسهر والتعب..

وهذه الجامعات التي تفوقت على كل جامعاتنا الرسمية والأهلية لا بد أنها كانت صغيرة، لا يذكرها أحد وقد أحست من البداية أنها ولا حاجة. ولكن استطاعت أن تكون شيئًا وأن تتقدم؛ لأنها رفضت عبارة مفيش فايدة.. أو مستحيل.. فهناك فائدة حتى من كلامك ومن تجربتك هذه!

الميـــــاه مشكلــــــة

استوقفني كمتخصص ومحترف موضوع تصدير الأعلاف إلى دولتي الكويت والإمـارات. وقد ثبت بـالتجربة خطورة هذا المشروع؛ لأنه يعتبر تصديرًا لمياهنـا الجوفية الغالية بسعر بخس، حيث يصل الاستهلاك المائي لفدان الأعلاف لنحو عشرين ألف متر مكعب سنويًا وتكفي تلك الكمية لزراعة خمسة أفدنة من محصول القمح.. ولما كانت تلك الكمية من مياه الري يقابلها إنتاج علف أخضر عشرة أطنان سنويًا من عشر حشات، وتتحول تلك الكمية إلى دريس جاف لا يزيد على طنين ونصف الطن.. وبالحساب نجد أن إنتاج طن من الدريس يستهلك حوالي ثمانية آلاف متر مكعب من المياه وتكفي تلك الكمية لإنتاج أربعة أطنان من الأرز..

وقد تنبهت المملكة العربية السعودية أخيرًا إلى هذا الخطر الذي هدد فعلاً الخزان الجوفي، ومنعت تصدير الأعلاف إلى دول الخليج المجاورة. كما منعت سلطنة عمان بالقانون زراعة الأعلاف في المناطق التي تعاني تدهور المخزون الجوفي.. ليتنا نبدأ من حيث انتهى إخواننا بدول الخليج، ولا نفرح بتصدير المياه..

إن قرار السيد بكر الرشيدي محافظ الوادي الجديد تجريم زراعة الأرز وتحويل المخالفين إلى النيابة – قرار يستحق التقدير والتحية وخطوة على طريق الإصلاح المائي..

حسنــــــي عطيـــــوة

خبير استصلاح الأراضي وإدارة موارد المياه

أتابع –طبعًا– كل ما تنشره الصحف المصرية وقلبي معكم. وأعرف كل الصعوبات التي نواجهها. ولا أدعي العلم بالسياسة والاقتصاد. ولكني تخصصت في الزراعات البستانية في أجمل الولايات المتحدة الأمريكية.

أريد أن أعرف كم المساحة المزروعة للاستهلاك، وكم للتصدير.. وأرى مراعاة استهلاك المياه.. وحسابها بالورقة والقلم.. هل نكسب كثيرًا من إهدار المياه على المحاصيل التصديرية؟ هل التصدير شرف مهما تكن خسارتنا فادحة؟!

د. آمال نور الدين

فرجينيا –أمريكا

شكرًا.. هذه وجهات نظر من يعرف أكثر ويخاف علينا أكثر؛ فهي رأي من يمارسون عن قرب وهم أيضًا مثلنا يحبون بلادنا.

أوليمبياد البحث العلمي

بعد أيام سوف تنقلب جامعات مصر على رءوسها، تبحث في معاني البحث العلمي وجدواه، وهل بقي هناك أمل في التقدم خطوة إلى الأمام.. وهل هذه نهاية النظر إلى الوراء.. أو هل نعود إلى اللحن الجنائزي الذي نبكي فيه، ولا نلوم إلا أنفسنا أو نلوم أمريكا وإسرائيل؟

والمؤامرة العالمية على مصر لكي تبقى في آخر الصف.. كلها كام يوم وننكشف أمام أنفسنا. ونتساءل: هل آن الأوان لكي نكون جادين ولو مرة واحدة؟ ألا يكفينا عارًا أننا سقطنا في أوليمبياد البحث العلمي؟ فلم يكن لنا وضع بين الجامعات الـ500 التي يراها العالم جديرة بهذا الاسم! فإن رأينا أن الموقف خطير وأنه لابد من تشكيل لجنة من سبعة من الوزراء وسبعة من رؤساء الجامعات وسبعة من العمداء وضعف هذا العدد من مجلسي الشعب والشورى، فنحن هجاصون مهرجون. لماذا؟ لأننا نحاول أن نبدأ من حيث انتهت الناس. مثلاً: نحن لا نفعل كذلك في صناعة السيارات. نحن لا نبدأ من الصفر، وإنما نبدأ من حيث انتهت الشركات العالمية، فنقوم بتجميع أجزاء السيارة؛ لأننا لا نملك ولا نستطيع ولا نجرؤ على أن نحلم بتصنيع سيارة من أول مسمار إلى آخر صمولة! والقاعدة التي لم تخطئ قطُّ هي أنه إذا أردنا لمشروع أن ينجح فإننا نكون له لجنة.. أي أن (التلجين) مقبرة لكل حلم وأمل وطموح إنساني، فالتلجين هو

التلجيم أيضًا.. لقد سألت عددًا كثيرًا من أساتذة وعلماء جامعة المنصورة فكان رأيهم أن لديهم الكثير مما يقال ومما يقدمونه كأبحاث علمية محترمة. إذن أين المشكلة؟ أين المأساة؟ الجواب: إن أحدًا لا يهتم بكل الجهود العلمية التي تبذل وإن اللامبالاة الرسمية هي مقبرة كل هموم علمية.. بينما شركات عالمية تطلب من العلماء المصريين أن يبحثوا وأن يقدموا أبحاثهم. هل المعنى أن أحدًا في مصر لن يرحب ولن يتحمس ولن يجد معنى ولا جدوى لأي بحث علمي؟!

تنافيـــذ الإمـــام!

مددت يدي في درج إلى جوار سرير آخر ملوك اليمن الإمـام أحمد حميد الدين، وجدت لفافات كثيرة، هذه اللفافات يسمونها (التنافيذ) لأنها تبدأ بهذه الكلمة. ينفذ العسكري فلان الفلاني إلى علان ليجمع منه حق الإمام.. تفسير هذا المرسوم الملكي أن الجندي فلانًا الفلاني (ينفذ) كالسهم إلى فلان الذي تأخر في دفع الضرائب التي هي حق للإمام.

ويظل هذا الجندي في بيت هذا الرجل حتى يدفع الضرائب.. وقد يستدعي زوجته وأولاده، يأكلون ويشربون عقابًا له حتى يقول: حق الإمام برقبتي..

ويفعل كل ما يستطيع ويعرض أو يبيع ما في بيته حتى يرحل هذا الرجل وأولاده عن البيت!

ولكنهم في الهند وجدوا علاجًا وعقابًا مزعجًا، فالذين يهربون من دفع الضرائب أو يتكاسلون عن دفعها، يبعثون إليه بمجموعة من الطبالين والزمارين لإزعاجه ليلاً ونهارًا حتى يدفع.. وهم يزعجون الذين حوله أيضًا، فيضغطون عليه ليسارع في الخلاص منهم.

فقد حدث أن تجاهل عدد من سكان مدينة (حيدر آباد) النداءات المتكررة من الدولة: ادفعوا ما عليكم وإلا...

وإلا أرسلت لهم من يجعل نهارهم ليلاً عذابًا، فلا نوم ولا راحة وإنما فضيحة وأرق وقلق، وقد استعانت المدينة بعشرين فرقة لدق

الطبول يومًا.. وأسبوعًا حتى استسلم الناس تمامًا، وبعضهم نقلوه إلى المستشفى منهارًا.

ولم تتوقف الطبول حتى أتوا بما يقطع أنهم قد دفعوا الضرائب..

ولم تلجأ الحكومة إلى هذه الوسيلة المزعجة إلا بعد أن وجدت أن الضرائب المستحقة على بعض المواطنين قد بلغت مئات الملايين.

وقد حاولت الحكومة إغراء المتهربين بأنها سوف تخفض المقرر عليهم تشجيعًا لهم، ولكنَّ أحدًا لم يهتم.. وذهبت في الإغراء لدرجة أنها قررت تخفيضها إلى النصف وإلى الربع.. ولكن لا حياة لمن تنادي. فكان هذا الحل الصارخ المدوي الذي واجهه الناس بوضع القطن في آذانهم وقطرات الماء في عيونهم.

ولكن الطبول كانت أقوى!

ليس رأيًا أن تصفق في كل زفة، وترقص على أي موسيقى.. وأن تكون أعلى الناس صوتًا.. والزمارون الطبالون لا يخدمون نظامًا ولا يرشدون شعبًا، ولا يضيفون جديدًا. فالبحر أمواجه تصفق، ورياحه تزمجر، ولكنه لم يفلح في أن يزحزح الشاطئ ولا أن يبني ولا أن يزرع.

وربما كان من يعارض ويقول رأيًا، أفضل كثيرًا؛ ولذلك استفدنا من الذين قالوا «لا» ولم نستفد كثيرًا من الذين قالوا نعم يا حبيبي نعم.. أنا بين شفايفك نغم وحياتي قبلك عدم وحياتي بعدك ندم.. قالوها وغنوها ورقصوها في كل المناسبات، عمال على بطال.

ولولا النقد من كل لون ما تقدمت الإنسانية.. لولا الخصوم، لولا الأعداء ما كان للحب أي معنى، وما كان للحب قيمة، وكما أن الحب الأعمى هو فعلاً أعمى، فالعداوة عمياء أيضًا. أما الذي يستاهل الاحترام وعظيم التقدير، فهو الغضب المضيء.. السخط المثير.. وكل حركات الإصلاح في التاريخ قام بها أناس شجعان.. وقفوا وقالوا، ومن أقوالهم تناثرت الحكمة اللامعة. فأنا لا يسعدني أن يتزايد عدد الذين يقولون: نحن معك ووراءك إلى جهنم.. فنحن لا نريد أن نذهب إلى جهنم، لا أفرادًا ولا حكامًا ولا شعبًا. إننا نريد أن نكون بعيدين عن هذه النهاية المهلكة.

نريد من يفتح عيني بالقوة على الواقع.. على الحقيقة.. نريد من يشد أذني لكي أسمع، حتى ما لا يعجبني.. أما الذي يضع المخدر في عيني والقطن في أذني والحناء في يدي وقدمي. ويزفني إلى النهاية الحزينة، فليس صديقًا ولا مخلصًا ولا محبًّا.. وإنما هو منافق كذاب جبان، ولست في حاجة إلى أن أدلك عليهم، فما أكثرهم وأحقرهم!

نحن لا خلاف بيننا على أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.. ولا على أن نرعى الله في السر والعلن، فكلنا مؤمنون ووطنيون أيضًا. ولا أحد يحجر على قلب أو عقل أحد. ولكن...

رفقًا ببلادنا وناسنا وظروفنا القاسية.. إنني أخشى علينا منا، وأخاف على بلادنا من ناسنا. وأخاف من دراويش (نعم) ولا أخاف من متظاهري (لا).

النكتــــة ســـلاح

كنت قد اندهشت للعدد الهائل من النكت التي بعث بها الأصدقاء، وكلها ذات لغة شامية أو لبنانية وأحيانًا سعودية، كيف؟ ونحن أكبر مصنع للنكت، والنكت سلاح مقاومة ضد القهر والملل، فكيف انقرضت النكتة المصرية، حاولت أن أفهم، وتفضل عدد كبير من (أولاد النكتة) وأرسلوا عشرات من النكت المصرية بعضها جديد، ولكن كانت المفاجأة الكبرى أن تلقيت مائة نكتة من د. نادر نور الذي كان مستشارنا الثقافي الناجح في الكويت، وهو الآن مستشار لوزير التموين.

وقد كتب يقول: قرأت بالأمس مقالك حول النكتة المصرية وقرب اختفائها في وقت تزامن فيه وصول مجموعة من النكت من أحد الأصدقاء.. والغريب أنه من الجماعات الإسلامية.. وهذا يدل على بدء تحليهم بروح النكتة والدعابة.. وتخليهم عن العبوس والجدية الزائدة. وبعض هذه النكت ظريف، وبعضها سخيف.. المهم أن تجد فيها ما يجعلك تبتسم!

ولما قابلت د. حسن خضر وزير التموين أشرت عليه أن يطلب من مستشاره د. نادر نور نسخة من المائة نكتة لعله يضحك هو أيضًا.

أما الصديق لواء محمد فريد حجاج ورجل الأعمال ريمون إسكندر والمستشار فؤاد الغمراوي، فأنا أنتهز هذه الفرصة لأشكرهم على

النكت التي يبعثون بها بكل اللغات، صحيح أن نكت سيادة اللواء حجاج مش ولا بد، ولكن كتر خيره فهو يحاول أن يأتي بالجديد، ولا أعرف كيف.. وأنا لا أندهش لما قاله د. نادر نور، فلا علاقة للدين بالنكت، ولكن النكتة لها علاقة بالهم والتعب والملل، وقد يصاب رجل الدين ورجل الدنيا والعالم والجاهل بما يجعله في حاجة إلى الابتسام والضحك والقهقهة.. وقد نشرت أن بابا الفاتيكان كان ينكت مع الصحفيين، ونشرت أن الشيخ الشعراوي كان إلى جانب علمه، أحد آباء النكتة في مصر. وقد سمعت من قداسة الأنبا شنودة بعض النكت وسمعت أن الإمام الأكبر مستمع إلى النكت ويرويها أيضًا، والسبب واحد: التعب والعناء والملل والهم والرغبة في التفريج عن النفس وعن الآخرين!

مشكلة الجامعات

مشكلة الجامعات تكمن في نظم التعيين؛ حيث تبنى على أسس شخصية واجتماعية، والتزام غالبية الأقسام بتعيين المتفوقين سنويًا، ونظام الترقي، حيث أصبح شبه وجوبي عند انقضاء خمس سنوات في الوظيفة، وأصبحت اللجان العلمية لمنح اللقب العلمي شكلية؛ مما أدى إلى تضخم عدد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات لدرجة أن بعض الأقسام أصبح فيها مئات الأساتذة ومثلهم من الأساتذة المساعدين والمدرسين وأعوانهم لدرجة أنهم لو حضروا جميعًا فلن يجدوا كراسي ليجلسوا عليها، وأصبح الكثير من الأساتذة لا يحضرون إلى كلياتهم إلا لمامًا ويعهدون بمحاضراتهم ودروسهم إلى المعيدين والمدرسين المساعدين الذين لا يتأخرون عن أداء العملية التعليمية وهم غير مؤهلين لها، واضعين نصب أعينهم سطوة الأساتذة عليهم في منحهم درجة الدكتوراه.. والحل أن تنشيط البحث العلمي وانضباط العملية التعليمية لا يكمن في زيادة رواتب أعضاء هيئة التدريس، بل في العودة إلى نظام أستاذ كرسي واحد لكل قسم يعاونه أستاذان مساعدان وأربعة مدرسين مثلاً، يعينون بناءً على إعلان يتقدم إليه من يرى في نفسه الصلاحية، ويتقبلون التفرغ التام والوجود طوال الوقت بالكلية نظير أجر مجزٍ محدد، ولا يتلقون رواتبهم إلا على ما يؤدونه من أعمال بالفعل.

أ. د. حاتم الإبياري

أستاذ غير متفرغ الروماتيزم والتأهيل بكلية الطب عين شمس

أذكر سيادتك بأنك أول من كتب عن ثورة التعليم في أمريكا بعد أن سبقت روسيا أمريكا إلى الفضاء الخارجي. وترتب على ذلك عقد لجنة من كبار أساتذة التربية والعلوم في أمريكا. وقرر رئيس الجمهورية أن تظل منعقدة إلى نهاية القرن الماضي، ومن أهم التوصيات إصلاح حال المدرسين والأساتذة بأن يكونوا مؤهلين.

أ. د. شوقي نصر الله سليم

مصـري مقيـم بألمانيـا

شكرًا، فكل السبل مفتوحة لمن يريد أن يكون شيئًا مهمًا لنفسه ولبلده!

القلـــب أقـــوى

والله هذا زمن الحب..

مهما اسودت السماء وولولت الريح، واقتربت الشمس من الأرض، وجفت المياه والأشجار، فلا يزال القلب قادرًا على أن يروي النفس ويبهر العقل، ويسدل ستائر الحرير على النائمين في أرق، إن فينا ينبوعًا أبدًا لا يجف، وفي عقولنا شموسًا وأقمارًا لا تنطفئ.

فقد عرفت البشرية ألوف السنين من الحروب ولم تعرف إلا عشرات السنين من السلام، ولكن السلام كان أقوى من الحرب، والحياة أقوى من الموت، والحب أعمق من الكراهية، والأمل أعظم دواء وشفاء أيضًا..

وكما أن المستشفيات أشهر من الحدائق، فالمرضى والدواء والأطباء تتصدر صورهم كل الصفحات والشاشات؛ لأننا نخاف المرض ونخاف الموت.. والأطباء حراس الحياة. ولا نجد في الصحف ولا على الشاشات صور الفلاحين والجنايني ولا تجار الورد والعطور ولا زفاف العروسين.. ولم تنشر الصحف صورة لرجل أنه صحيح البدن سليم العقل.. وإنما تسارع كل الشاشات والقنوات والصفحات إلى نشر صور المجرمين والمجانين واللصوص، والوزراء والقادة الذين هم نماذج ناجحة يخافون أن يضحكوا أو يبتسموا أو يعلنوا أنهم يشكرون الله على ما آتاهم؛ فهم يخافون أن تقول الأغلبية

الفقيرة إنـه ولا على بـالهم.. إنـهم نـائمون في العسل.. إنهم ولدوا وملاعق الذهب في أفواههم.. إنهم فوق والنـاس تحت.. مع أنـهم مطالبون بـأن يعطوا النـاس أمـلاً فـي الأحسن والأفضل والأبقى والأجمل.. والنـاس يستلهمون الرضا من وجوهـهم.. وحتى إذا سخط عليهم النـاس، فهذا شرط من شروط اللعبة السياسية، أن يستعجلهم النـاس في قضـاء حوائجهم وحل عقدهم وهدايتهم إلى سواء السبيل: إلى المدرسة والمستشفى والشقة الجديدة.

ولو تراجعت الآن في مقعدك.. ووضعت ذراعيك إلى جـانبك وأخذت نفسًا عميقًا وتطلعت إلى فوق.. أو حتى إلى وجهك فـي المرآة.. ألست الآن أفضل، واليوم أحسن؟ ألست تريد أن تقول: أحبك يا من أراه.. أحبك يا أي إنسان.. يا بلدي.. يا مستقبل كل النـاس!

كنت أظن أن تعبير (كلام فارغ) خاص بالذين صناعتهم الكلام أو الكتابة. ولكن فوجئت بعشرات الرسائل من أطباء كبار يقولون إن الكلام عن (فيروس. سي) الخاص بأمراض الكبد كلام فارغ.. فلا شيء اسمه فيروس (سي). فلا أحد رآه ولا صوره. وإنما هو كلام فارغ بالاتفاق بين الأطباء وشركات الأدوية.. وقال كثيرون إن الذي قاله د. عوض تاج الدين وزير الصحة صحيح مائة في المائة. فهو قد قال إن المؤتمرات الدولية تقام بالاتفاق مع شركات الأدوية، فالشركة تنشر الرعب بين المرضى في كل مكان بالحديث عن مرض من الأمراض تمهيدًا لدواء جديد سوف تعرضه في الأسواق!

وقد تلقيت خطابًا وبحثًا من د. عمران البشلاوي أستاذ طب المناطق الحارة بجامعة القاهرة عن أنه لا يوجد هذا الفيروس. وقد تعب في إقناع الأطباء هنا وفي الخارج. وكان من نتيجة ذلك أن تجاهلته كل المؤتمرات الدولية. ويهاجم د. البشلاوي أيضًا كل الذين يزرعون الكبد.. ويرى أنها مغامرة خطيرة وانتحار نصفي... إلخ.

ومن د. إدمون سولي جندي من أبناء المنصورة ويعيش في كندا يقول: تابعت باهتمام شديد ما كتبتم عن مرض الكبد وانتشاره بهذه الصورة البشعة في مصر، ولا أعرف سر الانتشار، وفي نفس الوقت لا أعرف سر السكوت عن ذلك، ولا أظن أن أحدًا قد رأى أن ينتشر

المرض لتخويف الدولة فتلتفت إلى علاجه أو التصريح ببناء معاهد لعلاجه أو طلب معونة من أمريكا أو من أوروبا. إن هذا موقف خطير، والسكوت عليه أخطر.

وتلقيت من د. فيوليت حمدي سماحة من ميونيخ تقول: أنا أعلم بحال مصر منذ وقت طويل. فأنا من أسرة من الأطباء، أبي وأمي وإخوتي وكان لنا قريب مصاب في كبده وزرع كبدًا هنا في ألمانيا.. وهو الآن في صحة جيدة. ولا أظن أن تكاليف علاجه فادحة الثمن.

ــوأنا لست طبيبًا. وكل ما أتمناه أن نجد علاجًا لهذا المرض ولا يهمنا إن كان اسمه (س) أو (ص) أو اللي ما يتسماش!

المرأة أمٌّ بالغريزة، والرجل أب بالمصادفة؛ ولذلك كانت علاقة المرأة بالطفل أقوى وأعمق -وأنثى الحيوان أيضًا- وبعض ذكور الحيوان يهجم على الصغار فيأكلها، لولا شراسة الأم في دفاعها عن صغارها..

والفيلسوف الأندلسي ابن طفيل له حكاية ممتعة هي (حي ابن يقظان).. وهي حكاية طفل ألقي به في الماء، فاستقر عند إحدى الجزر فأرضعته غزالة. ويبدأ (الطفل الغزال) يكتشف نفسه أولاً بأول. فتغطى بأوراق الشجر ثم بجلود النسور ثم بجلود الحيوانات. وبدأ يدرك الفرق بينه وبين الحيوان والجماد.. درجة درجة أدرك كل معاني الكون والحياة والموت والإيمان بالله.

وقد حدث كثيرًا في التاريخ أن أرضعت الغزلان الأطفال.. وأنثى الذئاب أيضًا.. وهؤلاء الأطفال كبروا يمشون على أربع، ولا يعرفون الكلام..

والمعنى أن الأنثى أمٌّ في كل الظروف.

وليس غريبًا ما أذاعته وكالات الأنباء عن حكاية نمرة بنغالية ولدت ثلاثة، قتلت واحدًا ورفضت إطعام الآخرين؛ ولذلك فكرت حديقة حيوان ميانمار أن تأتي بأم ترضع الصغيرين. وأفلحت في إشباعهما ثلاث مرات يوميًا. واعتاد النمران الصغيران على هذه الأم. ولم تشعر

هذه الأم بحرج أو بضيق. وليس غريبًا أن تشعر بأنهما ولداها. تحبهما وتدللهما وتشتاق إليهما.. ولم تفلح حديقة الحيوان في إطعام الصغيرين عن طريق الزجاجة.

فقد رفض النمران.. وظلا كل يوم في انتظار الأم. وسوف تتوقف هذه السيدة عن إرضاع الصغيرين عندما تنبت لهما أنياب في الأسابيع القليلة القادمة..

والعجيب أن هذه السيدة أصبحت تنادي الصغيرين بصوت مماثل لصوتهما عندما يشعران بالجوع.. وعندما يشعران بالامتلاء، فهي التي تعلمت لغة النمور.. وكان أطفال الغزلان والذئاب يصرخون ويمشون على أربع كالأمهات اللاتي ترضعهم. بل إن بعض هؤلاء الأطفال كان يقف على ساقيه، فإذا خاف هرب على أربع..

إنها حكمة الله في استمرار الحياة، أن جعل كل أم هكذا.. ولو جلس إبليس نفسه إلى صدر المرأة فإنها لن تتردد في إرضاعه!

هناك لغة تربط الكون بعضه ببعض..فكل كائن حي: حيوانًا كان أو نباتًا أو إنسانًا يتكلم، والكون كله يتكلم بلغات مختلفة. وهناك إحساس عام.. فكيف نشعر ببعضنا البعض. وكما أن الجاذبية تمسك كل شيء.. فكذلك المنطق واللغة.. ليس هذا رأيي وحدي.. وإنما رأي علماء الفيزياء والكيمياء. وإذا كنا لم نكتشف هذه اللغة أو مفرداتها، فليس معنى ذلك أننا لن نفعل في المستقبل..

ومن النظريات التي اكتشفها الفرنسيون أن أشجار الحديقة تحادث بعضها بعضًا. وأنه إذا دخلت فراشة أخطرت الزهور بعضها بعضًا وإذا دخل حيوان أو إنسان تغيرت لهجة الخطاب بينها..

وفي الحضارات القديمة كانوا يضعون آذانهم على الأشجار.. وكانوا يقولون إنها تتكلم.. ربما لم تكن تكلم كل الناس وإنما حكماؤها والسحرة فقط..

وفي الأسبوع الماضي زوجوا في الهند شجرة من شجرة أخرى.

فهذا الزفاف يمنع عنهم الحسد. فقد أحسوا بأن عينًا أصابتهم. فمات ومرض وأحرق كثيرون. وكان المعنى أن شجرتين عليهما الأمل يجب تزويجهما.. وفي مصر كانوا يلقون في النيل بعذراء من أجل أن يفيض النيل ماء وخيرًا على مصر. حتى لو كان الفراعنة لم يفعلوا ذلك حقيقة، فإنهم كانوا يلقون بما يشبه العروس في النيل.

وفي كثير من الحضارات القديمة كانوا يفعلون ذلك بصور مختلفة..

أما هاتان الشجرتان فقد سمعهما أحد السحرة وعرف أنهما في حاجة إلى التزاوج. وتم التزاوج وانكشفت الغمة عن القرية. وشفي المريض وعاد الغائب وارتاحت كل النفوس.

ومن الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ حديث معناه: ترفقوا بعماتكم أو بخالاتكم النخل.. ويقال إن سبب هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قد لاحظهم يقطعون النخيل بعنف. وأن هذا العنف يؤلم النخل..

ومن العجيب أن هذه نظرية فرنسية حديثة. فكل شيء يشعر ويتألم ويبكي أيضًا والصور الإلكترونية تؤكد ذلك!

مرتبات الأساتذة

عشرات من رسائل أساتذة الجامعة تلقيتها تؤيد أ. د. محمود يوسف الذى رأى أنه لا أمل في أن تشغل جامعاتنا كلها بريطة المعلم أي مكان محترم في العالم ما دامت.. أي ما دامت تنظر إلى الأساتذة وترى أنهم يجب أن يتسولوا خبزهم. وما داموا كذلك فلا بحث ولا علم..

أي أنه من رأي أ. د. محمود يوسف أن نلتفت إلى راتب الأستاذ الجامعي وهو تافه جدًّا لإطعامه. وإذا كان كافيًا لإطعامه، فلا يستطيع أن يشتري كتبًا، وإذا اشترى وبحث فلا أحد يهتم بالبحث العلمي. وهناك مئات الأساتذة بحثوا ونشرت المجلات العالمية أبحاثهم، أما جامعاتهم فلا يهمها كثيرًا ماذا قدموا.. وإذا كانوا قد قدموا شيئًا، فأكثره لا يستحق الاحترام.. وكلام كثير من أساتذة من كل جامعات مصر الرسمية والأهلية.. وكلها تؤكد أن الباحث المصري لا يلقى اهتمامًا ولا احترامًا من أحد.. قال د. عبد السلام مؤمن بدوي: مرتبات إيه يا سيدي! إن الدولة لا تستطيع، ولن تفعل إذا استطاعت، أن تعطي لهيئات التدريس ما يحتاجونه.. ولكن أؤكد لك أن هناك أساتذة على استعداد لأن يجوعوا ويتعروا إذا وجدوا تشجيعًا علميًّا لأبحاثهم.. أو إذا وفرت لهم الدولة السندوتش والمعامل.. ولكن المصيبة التي نعرفها جميعًا أن (الجو) لا يشجع على البحث العلمي. إن لي زملاء في جامعات أمريكا أدهشوني عندما أجلس إليهم

وأستمع عن متابعة مراكز الأبحاث في الدنيا لنشاطهم، وكيف يساعدون بعضهم بعضًا، إنها ليست الفلوس.. إن هناك شيئًا أهم وأخطر وأعظم من ذلك هو اهتمام الدولة والهيئات الأهلية بكل من حاول أن يضيف شيئًا!

يقول د. أرمان سوركينان المصري الذي يعيش في لوس أنجلوس: والله وحشتني مصر ومشاكل مصر، أحكي لك حكاية. مرة كنت أداعب أحد أقاربي الأرمن في أمريكا، وقلت له إنني اكتشفت أن ألياف البطيخ تطيل الشعر.. فبسرعة أخرج من جيبه ورقة وقال لي: ما الاسم العلمي لهذا الاكتشاف؟ وسألته: لماذا؟

قال: أساعدك عن طريق شركات كذا وكذا.. وقد كنت أداعبه..

ولكن هنا إيمان بأنه يمكن لأي إنسان أن يهتدي إلى أي شيء إذا شجعناه!

كلهم يضحكون

هل يضحك البابا؟ هل يضحك الشيخ طنطاوي؟ هل يضحك الأنبا شنودة؟ نعم. كلهم يضحكون، فهم بشر!

بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قال للصحفيين حوله: لقد طلبت من الله ألا أكون بابا الفاتيكان.. ولكن الله لم يستجب لدعائي! فضحك وضحكوا.. وقد كان الشيخ الشعراوي ابن نكتة. وكانت نكت الشيخ الشعراوي اللي هيّه! وكان الشيخ الباقوري ظريفًا محبًّا للنكتة ويقولها وبسرعة. فعندما كنا نصلي في المسجد الأقصى سنة 1955 وفرغنا من الصلاة ذهبت أبحث عن حذائي فلم أجده. وعدت إلى اللوكاندة حافيًا. فارتجل الشيخ الباقوري قصيدة ساخرة بديعة!

وكنت إذا رويت نكتة للدكتور أحمد عمر هاشم يقول لي إنه سوف ينقلها للإمام الأكبر طنطاوي. وقد سمعت من الأنبا شنودة أنه يتبادل النكت مع شيخ الأزهر. هذه النكتة مثلاً: إنه في لقاء مع الرئيس مبارك كان الإمام الأكبر وبطريرك الأقباط وبينهما منضدة عليها موبايل. وكان البطريرك يرد على المكالمات قائلاً: مشغول.. عندي اجتماع.. غدًا.. ليس الآن.. فسأله الشيخ طنطاوي: يا قداسة البابا أليست لي مكالمة؟ فقال الأنبا: يا سيدي، التليفون بيضرب جرس.. ولما يؤذن حديه لك!

وكان أستاذنا العقاد يتبارى مع مريديه في النكت وكان يتفوق علينا. ونندهش من أين يأتي بهذه النكت. سألته فقال: يا مولانا إن الذي نحن فيه وعليه يجعل الحجر يتدفق بالضحك!

وكان توفيق الحكيم يصنع النكت.. إن حياة البحث شاقة وحياة الرهبانية أشق. وكل رجال الدين يحاولون أن يكونوا أقرب إلى الناس، فلا يجلسون على مقاعد الإفتاء طوال الوقت يحذرون وينذرون ويخيفون الناس!

وعندما زرت الأديب السويسري ديرنمات في بيته في سويسرا سألته: ولماذا اخترت الفكاهة والسخرية في مسرحياتك؟ فقال: إن أنسب وقت للضحك هو هذا الزمان المليء بالمتناقضات والكذب والفساد.. وكلها مادة مناسبة للمفكر والأديب. ومنها تتولد شرارة الضحك!

قلـــــــة ذوق

في التليفون كان مندوب إحدى شركات الإلكترونيات يسألني متى يجيء فغضبت وقلت لـه: لا تقـل لـي أنـت.. قـل لـي حضرتك أو سيادتك! واندهشت لهذه الغضبة التي لا مبـرر لها.. ولكـن ضيقـي بقلـة الـذوق عندنـا وقلـة الأدب أيضًا.. وأذكـر أنـه في برنامـج تلفزيوني من زمـان وكـانت كل البرامج على الهواء أن قالت لي المذيعة: أنت.. قلت لها: لا تقولي أنت.. يجب أن تقولـي: حضرتـك.. ولزوجـك إذا ظهـر في هذا البرنـامـج.. لابد أن تكون هنـاك مسافة بينك وبين أي أحد –وكـان ذلك على الهواء ولم يضايقني احمرارها وتصبب العرق. فلم أستطع أن أتحمل هذه الجليطة في التلفزيون ومن غير تلفزيون.. يضايقني جدًّا أن تعطي بقشيشًا لواحد فيقول لك: ماشي! مـاشي معنـاهـا: زي بعضـه.. أي أنـه كان يتوقـع أكثر فأنت أعطيته أقل.. ولم يقل لك شكرًا.. وقد حاولت كثيرًا هكذا: أنت لما تقول مـاشي معنـاه أنك قبلت هذا البقشيش على مضض وكنت تتوقع أن يكون أكبر.. مع أن هذا تفضُّل مني «لازم تقول لي وتقول لغيري: شكرًا» –مـاشي!

ومـا هو أسخف من ذلك.. تسأل هل فلان موجود في مكتبه: فيرد عليك: إن شاء الله.. وتندهش: يعني إيه إن شاء الله.. هل هو موجود؟ فيقول موجود إن شاء الله.. فتقول بل الله قد شاء أن يكون موجودًا.. فهو موجود.. وإذا أردت أن تقول إنه لم يأت بعد تقول إن شاء الله

سوف يكون موجودًا! أو تسأل: فلان موجود؟ ويكون الجواب: تقريبًا.. وتضرب دماغك في الحائط.. تقريبًا يعني إيه.. رجل بره ورجل جوه.. يعني إيه تقريبًا؟ يا موجود يا مش موجود! ومثلها أن تقول: ساعتين ثلاثة.. رغيفين ثلاثة.. هيصة لغوية وكبشة ألفاظ غير دقيقة، لا عند الجهلاء وإنما عند المتعلمين أيضًا!

حاكـــم ومحبـــوب؟

من فرانكفورت:

ضوضاء وشكوى في كل مكان.. فالذين يسكنون الطابق الأرضي يشكون من السيارات والذين يسكنون في الطابق الخمسين يشكون من أزيز الطائرات ولا أحد لا يشكو من أحد. ولا أحد لا يتوعد أحدًا. ويحلم بالانتقام من الشخص أو من النظام أو من البشرية.

ففي ألمانيا وجدتهم يشكون من ارتفاع الأسعار ومن الضرائب الثقيلة وأن الحكومات المتعاقبة وعدتهم ولم تفِ بما وعدت.. ولا توقفت الحكومات ولا جفت الدموع ولا سكتت الحناجر.. والحياة مستمرة والناس يجدون كل شيء ولكن بأسعار مرتفعة تزداد ارتفاعًا تسأل: هل أحد يموت من الجوع هنا؟ الجواب: لا.. ولا أحد عندنا أيضًا يموت من الجوع!

وفي ألمانيا بعد الشكوى من الأسعار ومن الضرائب وأكاذيب الساسة وزحمة الغرباء والمهاجرين من شرق أوروبا إلى غربها يقولون: ولكن كل شيء قد وفرته الدولة للموظفين والعاطلين خصوصًا للطفل إذا عاش أبوه وإذا مات.. العلاج والتعليم والتأمين والمعاشات -كل ذلك مضمون تمامًا!

وقد تعودت كل الحكومات على كراهية الشعوب لها وعدم تصديقها. ولم يعد الحب والكره هما مقياس البقاء فمن الصعب أن

تكون حاكمًا وأن تكون محبوبًا -مثل المطربين والمطربات والممثلين والممثلات. والشاعر العربي القديم قال: نصف أعداء لمن حكم -هذا إن عدل!

والفارق بين الشعوب هو في تفسيرها للحب والكراهية. فشعوب تكتفي بأن تلعن آباء الحكام وبس. ولكن الشعوب المستنيرة تترجم الحب والكراهية أمام صناديق الانتخاب: تمنح وتمنع صوتها هذا هو العمل الإيجابي، فجريمة أخلاقية ووطنية ألا يذهب أحد إلى صناديق الانتخاب.. لا بد أن يذهب وأن يقول وأن يشارك في الحكم ويغير المستقبل.. وبغير ذلك فلا أمل!

الآخـــــر والآخـــــرون

من فرانكفورت:

أنا استخدمت تعبير الآخر والآخرين من أربعين عامًا، فقد صدر لي كتابان الأول بعنوان (وحدي ومع الآخرين) والثاني بعنوان (مع الآخرين) فقد وجدت أن كلمة (الآخر) كلمة جافة والمعنى الذي كان في دماغي هو المعنى الذي نتحدث عنه الآن أي الموجود في الفلسفة الوجودية عن الفيلسوف الفرنسي سارتر.

وقد حدث أن رأى كامل الشناوي بروفات كتابي (وحدي مع الآخرين) فقال: اجعلها (وحدي ومع الآخرين) ولم أشأ أن أصدمه فالمعنيان مختلفان تمامًا؛ فأنا أريد أن أقول إنني وحدي على الرغم من وجود الآخرين تمامًا، كما أذهب إلى السينما وفيها ألف واحد لا أعرفهم، فهم كثيرون حولي ولكني وحدي رغم وجودهم، فأنا وحدي وسط الآخرين، أما المعنى الذي قصده كامل الشناوي –ولم يكن قد قرأ كتابي– فهو أن أتحدث عن نفسي وعن الآخرين. وقد تناولت هذه المعاني الوجودية في كتب أخرى كثيرة، في كتبي: يسقط الحائط الرابع وكرسي على الشمال وساعات بلا عقارب والبقية في حياتي وشارع التنهدات وأحزان هذا الكاتب.

ولما سألتني إحدى الإذاعات العالمية التي جاءت إلى معرض الكتاب عن مشكلتي مع (الآخر) قلت فعلاً عندي مشكلة، فأنا

استخدمت (الآخـريـن) من زمـان طويل، والفرق بيننـا أنني لا أرى الآخرين أعـداء، ولا أرى أنه لا حياة لي إلا بـالقضـاء على الآخرين حتى أظـل وحـدي على قمة جبل مـن الجليد، فـلا حياة لـي بغير الآخـريـن، ضدهـم ومعهم وبهم وعليهم، سفينة تطفو على الماء وتغوص فـي الـمـاء ولا يحركها إلا الـمـاء ولا يغرقها إلا الماء، فـالآخرون ضرورة لـي، وأنـا أيضًـا مثل (الآخرين) لغيري من النـاس.

وسألتني المذيعة إن كنت لا أرى الآخرين أعدائي دائمًـا، فقلت: نـحن نرتدي قفـازات حريرية، نخفي تحتـهـا أظـافر طويلة تزداد طولاً عند الضرورة!

القانـــــون أولًا

من فرانكفورت:

نزلت من السيارة. ولا أعرف أنها وقفت في الممنوع ولكن السائق المصري يعرف ذلك فهو يعيش في ألمانيا من 15 عامًا ونحن في السوبر ماركت جاءنا صاحب الصيدلية المصري يجري ويقول: لابد أن يحضر السائق لأن سيارات البوليس تقف وراءها وقد حاولنا أن نقنعهم بأنكم لا تعرفون القانون وأنكم جئتم من مصر لمعرض الكتاب وأننا جميعًا آسفون لذلك.

وبدلاً من أن يعتذر السائق قال لرجال المرور: إنها سيارة وزير مصري –يعني كيف يحاسبونني ويحاسبونه!

وكانت هذه العبارة سببًا كافيًا في أن يخرج رجال المرور دفاترهم ويسجلوا محضرًا فورًا. وحاول المصريون أن يؤكدوا أن السائق غلطان لأن حكاية وزير دي عندنا نحن فقط. هنا القانون فوق الجميع.

وهذا العسكري البسيط لا يهمه وزير ولا مستشار. فلو كان المستشار قد ركن سيارته في الممنوع لحرر له هذا الجندي البسيط محضرًا. وحاولوا أن يعتذروا لرجل المرور بشتى الأساليب لكنه رفض أن يستمع إليهم.

فالقانون هو القانون، ولا أحد أكبر من القانون..

وفي اليوم التالي ذهبت إلى الصيدلية وطلبت من السائق أن يركن بعيدًا.

وفوجئت به أمام الصيدلية في نفس المكان وتكاثرنا على السائق أن يفعل، وقيل له في هذه الحالة سيسحبون الرخصة ولابد من الغرامة أيضًا..

ولا تستطيع أن ترفع صوتك أعلى من القانون. وفعلاً جاء رجل المرور –ورجال آخرون. ومن الغريب أن لديهم فكرة عما حدث بالأمس.. ويسرعة أخرجوا أوراقهم وأقلامهم، واعتذرنا، وقبلوا شعورنا بالخطأ.. وعرفت منهم عندما سألتهم كيف يظهرون بهذه السرعة، فقالوا: إن أي واحد في الشارع يمكن أن يتصل بهم ويبلغهم بهذه المخالفة. وإن الشعب كله يتطوع لضبط المخالفين وإن هناك مواطنين يعملون لحساب المرور يجوبون الشوارع يبلغون عن هذه الأخطاء والأخطار!

إنهــا أكثــر من واحــدة!

ما الذي يرضي المرأة؟

الجواب: لا شيء.. ولا أحد ولا أي وقت.. ولا أمل معها!

يعني إيه؟ يعني أن المرأة لأنها متقلبة المزاج فهي أكثر من واحدة في اليوم الواحد.. فالتي قابلتها في الصباح ليست بالضبط التي ستلقاها عند الظهيرة ولا بعد العشاء ولا قبل النوم ولا في الصباح – فالرجل متعدد الزوجات؟!

وفي مسرحية للأديب الإسباني أرابال وهو أحد مؤلفي «مسرح العبث» – يقول البطل وقد جلس على الأرض وأجلس البطلة فوق مخدة فوق مخدة فوق أحد المقاعد، حتى اقتربت قدماها من دماغه: قولي لي يا سيدتي الجميلة ما اسمك اليوم.. هل لا يزال اسمك ماريا.. وهل لا يزال أبوك مصدر فخر لك.. وأمك مصدر عار وعندك رغبة قوية في أن يأخذني ربنا؟

ولكنها لا ترد.. فيعود يقول: ما دمت لا تنطقين إذن فأنت كاترين.. الطائشة المجرمة التي داست بسيارتها كلبًا جميلاً لطفل، ويعلم الله كيف استطاعت أمه الفقيرة أن تدبر ثمنه.. وبعد أن قتلت الكلب ذهبت إلى البار.. وكانت الفضيحة.. ولكنك لا تردين.. إذن فأنت قد انتكست وعدت جنينًا في بطن أمك.. وأمك وحدها هي التي تعرف من هو أبوك.. وما دمت جنينًا فلا أعرف كيف أخاطبك.. وإذا كنت أنت الجنين

فـأين بطن أمك.. وأين أمك؟ ونكتشف أنـه يـحلم.. وأنه لا أحد يـجلس إلى جـواره لا فوق الكرسي ولا تـحتـه.. وفجـأة تظهر البطلة وقد ارتدت ملابس طفل وفتـاة وضـابط بوليس وفـي يدهـا سكين.. ولم يكد يراهـا حتـى قـال: سيدتـي، إننـي فـي انتظـارك من ألوف السنين.. فـأنت الآن الأنثى الخـالدة.. واقترب منهـا فـأغمدت السكين فـي بطنـه.. ونزل الستـار..

لقد قضت علـى الرجل وأوهـامه وأكـاذيبه عندمـا.. مـات رجل.. وعـاشت المرأة عقدة العقد فـي حيـاة الرجل!

توفيـــق الحكيـــم وابنـــه

كان توفيق الحكيم يقول إن هناك فارقًا كبيرًا بين جيله وجيل ابنه إسماعيل. فعلى أيام توفيق الحكيم كانوا يتساءلون: ما الذي عبر البحر ولم يبتل؟ ويكون الجواب: العجل في بطن أمه! أما في جيل ابنه، فالجواب يقول: الطائرة!

فقد تغيرت الدنيا. وتغيرت أساليب الحياة. ودخلت مفردات جديدة على ألسنة الجيل الجديد.. الراديو والتليفزيون والإنترنت والموبايل وسفن الفضاء، ولكن لم تتطور الإنسانية كلها بدرجة واحدة.

صحيح أننا نعيش في سنة 2004. ولكن ليس كل الناس. وإنما الشعوب التي طورت نفسها وتنافست على عقول الناس وفلوسهم بينما شعوب أخرى نائمة نومًا عميقًا. ويكفي أن تقرأ ما الذي نفكر فيه ويشغلنا ليلاً ونهارًا لتعرف أننا لسنا في سنة 2004 بل ربما في 1004 أو قبل ذلك..

فنحن نناقش إن كان حلالاً أو حرامًا دخول دورة المياه بالقدم اليمنى أو اليسرى؟ وماذا يحدث لو أخطأنا؟ وماذا نقول داخلين وخارجين؟ هل هذا معقول؟ مثلاً: هل إذا طلق رجل زوجته في المحمول، يكون الطلاق صحيحًا؟ سؤال: نفرض أن رجلًا شاهد زوجته خارجة من السينما مع رجل آخر، فاتصل بالبيت فوجد زوجته هناك، فما الذي يفعله وهو على يقين من أنه رأى زوجته

بوضوح شديد؟ سؤال: رجل بدلاً من أن يأكل بيده اليمنى أصر على أن يأكل باليسرى، ولما تشاجر مع زوجته ضربها بسكين بيده اليسرى، فما حكم الشرع؟ حكم الشرع في إيه؟!

وإذا اختلف اثنان في الرأي، فلماذا يكون أحدهما كافرًا؟ وعلى أي أساس؟ فهل العدل والاستقامة والطهارة أن تكون عقول الناس مثل الأحذية الصينية المصنوعة من الحديد.. وقد وقف نموها.. فلا تقدم ولا تؤخر..

لو كان هناك ألف سبب للتخلف فإن هناك سببًا واحدًا للتقدم، هذا السبب هو: التعليم.. الذي يرفض الصورة الشنيعة التي لا نعرف سواها وهي أن العجل في بطنه أمه هو الوحيد القادر على العبور..

إن الثورة الحقيقية في حياتنا ومن أجل حياتنا هي ثورة في نظم التعليم وأهدافها –وكذلك فعلت كل الدول التي تقدمتنا..

لا خلاف على عظمتها

من فرانكفورت:

كل شيء في الدنيا كان من الممكن أن يكون أفضل وأجمل ولكن.. ولابد من كلمة (ولكن).. ولكن هذا أقصى ما نستطيع في ظروف صعبة وفترة قصيرة وميزانية متواضعة. أقول هذا عن الأجنحة العربية في معرض الكتاب في فرانكفورت.. المهم أن تجمع الناشرون العرب. وقدموا أحسن ما لديهم.

وإذا كنا عندما ذهبنا نتفرج على الأجنحة الروسية حين كانت روسيا ضيف الشرف، وجدنا لها ألف عذر قبل أن نذهب وبعد ذلك.. فقد كان الكثير من الأماكن خاليًا، ولكن لا خلاف على عظمة الثقافة الروسية في الأدب والفن والعلم. وقد مال عليها الزمن. ولن تمضي سنوات قليلة حتى تسترد روسيا عافيتها وتكون دولة عظمى بإبداعها وحريتها وعناصرها المتفوقة..

وكذلك عندما ذهبنا نرى الأجنحة العربية كانت أعذارنا تسبق كل شيء. فلم تكن عندنا ثقة بأنفسنا -فهذه تجربتنا الأولى، لا في العرض وإنما في (العرض معًا).. وقد شهد كثيرون بما بذله الأستاذ محمد غنيم.. ليلاً ونهارًا. ولا تزال عبارة أوسكار وايلد صحيحة: لا تلم العازف على البيانو، إنه يبذل أقصى ما يستطيع!

ولو كانت مصر وحدها هي ضيفة الشرف لأقمنا معرضًا أجمل وأقوى وأشمل وأكثر تنوعًا.. فعندنا عالم الكتب والمكتبات والوثائق

والمخطوطات النادرة وأوراق البردي وحجر رشيد ومكتبة الإسكندرية وعندنا الترجمة الكاملة لكتاب (وصف مصر) أهم ما أبدع الفرنسيون وتاريخ الجبرتي الشاهد الوحيد على نابليون في مصر. وكان من آمالنا أن نعرض (موسوعة المرأة) وهي أول موسوعة عربية عن المرأة العربية والأجنبية في كل العصور.

ومن المؤكد أنه كانت هناك عيوب ونواقص وسلبيات، وأي عمل كبير لا يخلو من عيوب. وهي عيوب مقبولة. وأعتقد أن أسوأ ما انحشر في خصوصياتنا صحفي ألماني وقح، شارك في ندوة عن الفهم الخاطئ للآخرين، فكان هو النموذج الذي يجب أن يختفي لسوء الظن ولسوء القصد وسوء الأدب!

كيـــف استطـــاع!

لي صاحب حرير.. مرهم.. بطانة ناعمة.. مخدة ريش نعام.. نسمة صيف.. قرص تايلنول.. تعسيلة..

وهو لذلك محبوب من كل الناس. ودهشتي له ومعه لا تنتهي كيف استطاع في استفتاء شعبي حر أن يستولي على قلوب الناس وأن يفسحوا له مكانًا في كل مجلس.. وأن يسكتوا حتى يقول.. فإذا قال فكلامه دواء؟!

فماذا يقول؟ يقول لكل إنسان ما يحب أن يسمعه.. ما يعجبه هو. فكل الصفات الحلوة جاهزة عنده يشير إليها فتقف صفًّا واحدًا. وترتيبها هكذا: أنت ألطف وأكرم وأذكى إنسان في الدنيا ولابد أن الله سوف يعطيك على قدر نيتك ونيتك قشدة دائمًا.

ولكن صاحبي عنده مشكلة، ومشكلته أنه لا يستطيع أن يقول رأيه فيك أمام الناس. وإنما على انفراد.. لماذا؟ لأنه يقول نفس الكلام لكل إنسان.. فإذا اجتمع كل أصحابه فإنه سوف يسكت تمامًا، فقد اقتنع كل واحد منا أنه لا قبلنا ولا بعدنا.. وهذا أيضًا ما يفعله حلاق السيدات عادة، فهو يؤكد لكل واحدة أن وجهها وشعرها واستدارة رأسها تجعلها لائقة لكل تسريحة.. وهذا ما تقوله أيضًا مصممة الأزياء.

لقد ضبطت الفنان الكبير صلاح طاهر وهو يردد عبارة واحدة عندما يقوم برسم صورة لأية سيدة فيقول لها: في عينيك بريق

يصعب أن ترسمه الفرشاة، وفي شفتيك، وفي خديك.. وقلت لصلاح طاهر: آه لو عرفت السيدات أن هذه الصيغة الفريدة تقولها لكل واحدة لقطعن يديك ورجليك!

وفي مذكرات مدام ترودو الزوجة السابقة لرئيس وزراء كندا أن الرئيس كاسترو عاكسها قائلاً: لقد نصحني الأطباء أن أنظر إلى الشمس لحظات لتقوية أعصاب العين.. ولكني يا سيدتي لا أقوى على النظر إلى عينيك ـ جملة رائعة! لولا أنه قالها كثيرًا لكثيرات!

وفي يوم انزوى صاحبي وقال لي: أنت عارف رأيي فيك.. فقلت له: عندك! فليس لك رأي في أحد.. وإنما رأيك عبارة عن لافتة معلقة على كل البشرية! صديقي العزيز: أنت كذاب!

ليســـوا رياضييـــن

الرياضيون ليست عندهم روح رياضية!

وفي كتب علم النفس يقال لنا إن الرياضة هي نوع من (التسامي) بالغرائز المتوحشة عند الإنسان، فبدلا من أن يقتل: فإنه يصارع ويلاكم.. وبدلاً من أن يطلق الرصاص يرمي الكرة برجله أو بيده أو بالمضرب..

وليست الرياضة عبثًا ولهوًا وإنما هي لعب له أصول، بل الرياضة مسألة جادة لها قانون ولها علماء وفقهاء والعلامات في أرض الملاعب هي حدود القانون.. وكما في المسرح فإن الناس يتفرجون ويشاركون من بعيد لبعيد.. بالعين والهتاف.. ولكن اللاعبين مثل الممثلين محبوسون في حوائط وهمية. من المفروض ألا تكون هناك صلة بينهم وبين الجماهير..

والرياضة كذب أبيض وليس أسود.. وحماس كده وكده.. فأنت أهلاوي وهو زملكاوي: تعصب أبيض.. حماس بريء.. ليس تعصبًا دمويًّا أو عرقيًّا أو دينيًّا. وإنما هو نوع من الحب من طرف واحد..

فأنت أهلاوي رغم أنك لا تعرف أحدًا من لاعبي الأهلي ولست من سكان القاهرة.. وأنت زملكاوي قد توارثت كراهية الأهلي، مع أنه ليس بينك وبين أي أحد لا حب ولا كراهية!

ونقول: يجب أن تكون عندك روح رياضية.. أي أن تكون متسامحًا تتوقع الهزيمة وتفرح للنصر.. وهوه كله لعب في لعب!

أما الآن فاقرأ صفحات الرياضة فإنها تنضح بالكراهية والحقد والكذب والغش والفساد والإفساد.. فلوس وجنس وفضائح.. ومنذ يومين قرأت ماذا قالت أم كابتن إنجلترا ديفيد بيكهام لحماته في التليفون. ولو ترجمت ما قالته السيدتان لكان هكذا: يا وليه لمي بنتك اللي عاملة زي الإبرة المصدية جنب الحيطة مرمية.. وترد عليها أم الزوجة: لمي انت ابنك أبو ريالة..

حيلاقي ضافر بنتي فين.. اسكتي اسكتي!

بلاش الألفاظ البذيئة والحركات النابية.. ففي ملاعبنا سوف نجد أن اللاعبين أسوأ من المتفرجين –ولم تعد رياضة وإنما هي هوجة مقرفة!

إنهم لا يقرأون؟!

من فرانكفورت:

أدهشنا رئيس وزراء ولاية هسن في حفل افتتاح معرض الكتاب. فقد فوجئنا به غاضبًا ساخطًا كأنه يشكو الشعب الألماني إلينا ويقول: احكموا يا ناس.. أما سبب غضبه فهو أنه اكتشف أن الشعب الألماني لا يقرأ! وأن المكتبات المدرسية ليست كافية! وأن الآباء والأمهات لا يقرأون لأولادهم! وأن هذه مصيبة خطيرة أصابت الشعب الألماني!

أرجو أن تعيد قراءة السطور السابقة لأن معناها أنه غير راض عن كل هذا الوعي والتطور وأن هذه الولاية وحدها تصدر من الكتب المؤلفة والمترجمة أكثر مما يصدر في كل الدول العربية.. ومع ذلك فهي دون المستوى الذي يتمناه رئيس الوزراء والحزب والآخرون. لأن الهدف أسمى.. ولأن المقارنة ليست بين العرب وألمانيا وإنما بين ألمانيا واليابان وأمريكا. ولذلك فهو غاضب على الشعب الألماني!

ومن عشرين عامًا ذهبت إلى الرئيس مبارك في بيته أقدم له كتابًا صدر في أمريكا بعنوان (أمة في خطر).. وهذا الكتاب صرخة إلى الشعب الأمريكي أن ينهض وأن يفيق من السندوتشات ومباريات كرة القدم وأن يلحق بالروس الذين سبقوهم إلى الفضاء الخارجي.

فقد كانت صدمة لأمريكا أن أطلق الروس قمرهم الأول قبل أمريكا فقرر رئيس الجمهورية تشكيل لجنة من كبار المشتغلين بالتربية والتعليم وأن تظل هذه اللجنة منعقدة إلى نهاية القرن العشرين حتى يتم إصلاح التعليم والتربية وحال المدرسين ومؤلفي الكتب..

وأكثر الناس شكوى وخوفًا على أنفسهم من التخلف هم: الأمريكان والألمان واليابانيون والسويسريون.. ورغم تقدمهم الهائل في كل المجالات فإنهم يتطلعون إلى الجديد.. وهم قادرون على ذلك.. وما من رئيس جديد في أمريكا أو مستشار جديد في ألمانيا إلا ويشكو من أن بلاده لم تعد رائدة الاختراع والإبداع.. وإنه لا يمكن السكوت على ذلك -عجبي!

الصديق فكتور

إنه أشهر المعلقين في الإذاعات والشبكات العربية والأجنبية. مصري صميم وإسرائيلي صميم أيضًا.. عاش نصف عمره في مصر حياة رضية هنية. وكان لابد أن يفارق وطنه. وفارقه حزينًا، وكانت حياته في إسرائيل شاقة. فقد قابلوه بأحضان خشنة، ولكنهم أهله ودينه ووطنه..

إنه الصحفي الكبير الشهير فكتور نحمياس. وهو من دعاة السلام. وقد عمل من أجل السلام طويلاً وكثيرًا. أما كتابه فتحفة أدبية. وهي ترجمة ذاتية لميلاده وحياته هنا، وميلاده وحياته هناك.. وعنوانها (الرجل الذي ولد مرتين) وإذا كان يعيش في إسرائيل فتاريخه وقلبه وأصدقاؤه في مصر. وفكتور نحمياس يحكي كل ذلك في حزن رقيق وألم صادق. يذكر حياته في مصر في بيته وفي شقته الأنيقة، وكيف كان لابد أن يبيعها أو يتركها ومعها ذكرياته الموجعة.. وكثيرون فعلوا ذلك.

وكان من أوائل الذين عادوا إلى مصر ليرى كيف أصبح بيته وأصدقاؤه والشارع والحي.. وعندما زار الحلاق وجد مقاعد من بيته لا تزال هناك كأنها أحضان بلا حب.. أحضان من خشب.. وكانت أحضانًا دافئة. ولم تظهر دمعة واحدة على قلم فكتور نحمياس. وإنما كان حزنه عميقًا بلا دموع. وآهاته قوية بلا زفرات واستسلامه لقضاء الله والتاريخ وقدره..

أما عباراته العربية فجميلة وهو متمكن تمامًا من لغته وأسلوبه، ويعرف أين وكيف ومتى يبدأ وينتهي، فإنه كان يريد أن يؤكد لنا أنه بعودته إلى إسرائيل قد فقدنا أديبًا ولم نفقد محبًّا للسلام، وإذا قرأت كتابه لا تملك إلا أن تحترم أحزانه لنفسه وكبرياءه، وأنه إذا كان قد ولد هنا وعاش هناك ففي البلدين هو نفس الداعية للسلام وأحد المؤمنين بأنه سوف يتحقق يومًا ما.. لا شك عنده في ذلك، ولا شك عندي أيضًا فالحياة أقوى من الأحياء، ولا حياة بلا سلام!

وكنت قد كتبت هذه المقالة تحية له ولكتابه.. ولكن شاء القدر أن تكون نعيًا حزينًا –يرحمه الله.

طاقية عمرو

من فرانكفورت:

جلسنا نتذكر ونضحك.. طبيعي أن نضحك. فالأحداث كلها كئيبة. عمروموسى وفاروق حسني وأنا، فرويت أن عمرو موسى كانت عنده (طاقية) يضعها على رأسه حتى تقوم الطاقية بدور السشوار تجفف الشعر وتجعل له شكلاً، وكنا نطلب من عمرو أن يبعث لنا بالطاقية: أسامة الباز وأنا. وكان يفعل. وانتقلنا في الحديث إلى أن ما نراه بديهيًا ليس كذلك عند كثير من الناس. فقد حدث في زيارة الأقصر للوزيرين فاروق حسني ومحمود الشريف أن استقبلنا الناس بالطبل والزمر وبالهتاف: يعيش الملك فيصل.. يحيا الملك فيصل.. ونسينا في حماس الناس أن نسأل عن معنى الهتاف، فليس بيننا الملك فيصل الذي مات من عشرات السنين. ولكن هؤلاء الناس جميعًا لا يعرفون أن الملك فيصل قد قتل!

وحكى عمرو موسى أنه أخيرًا توقف ليصلي في مسجد قرية بالقرب من طنطا وفوجئ بإمام المسجد يدعو بطول العمر والصحة والعافية لجلالة ملك مصر فؤاد الأول حفظه الله!

وسمعنا حكايات عن أن أناسًا في الريف لا يزالون يعتقدون أن سعد باشا والنحاس باشا وسيد درويش أحياء.. مع أنهم لا يجدون شيئًا من ذلك في كل وسائل الإعلام..

وذكرت ما قرأته من سنوات أن صحيفة (الدايلي ميل البريطانية) قد التقت بأناس من رأيهم أنه لن يحل المشاكل الاقتصادية والعسكرية إلا تشرشل.. وأنه الوحيد القادر على أن يقف في وجه هتلر ويوقفه عند حده!

وذكرت أيضًا أن الشاعر الكبير جيته والموسيقار الكبير بيتهوفن كانا يتنزهان معًا فتناقشا أيهما أشهر وسألا أول رجل: هل تعرف من نحن؟ فأشار الرجل إلى الشاعر جيته وكان طويلاً عريضًا فقال: أنت العمدة! وهو معذور فلم تكن هناك صحف ولا إذاعة ولا تليفزيون تلح على عيون الناس وآذانهم!

حاولنـــا ورفضـــوا

من فرانكفورت:

اتصلت بالأستاذ الدكتور جعفر رجب: يا دكتور إنني أرتعش.. فطلب مني أن أقيس درجة الحرارة. واتصلت به وقال لي: خذ قرصين من البنادول فإذا انخفضت الحرارة اتصل بي مرة أخرى. وارتفعت الحرارة وانخفضت، والعطس والرشح والزكام والسعال، وتكسر كل ملليمتر في الجسم فأنا أشعر بالوجع إذا جلست وإذا وقفت وإذا نمت على أي جانب.. إنها الإنفلونزا الألمانية..

وذهبت إلى الصيدلي المصري د. سيد منير شحاتة صاحب (الأجزاخانة المجاورة للسوق الصغيرة – هذا هو اسمها – وأعطاني د. منير كميات من الأدوية للحلق والأنف! وعاودت الاتصال بالدكتور جعفر: يا دكتور أنا موجوع جدًّا فهذه الإنفلونزا عنيفة والجو شديد البرودة، فاقترح أن آخذ حقنة. وذهبت مع مستشارنا السياحي باهر عبد الملك. أو باهر الملك –كما يسمونه في ألمانيا. وقال الصيادلة جميعًا: لا.. لا يمكن.. لأن هذا ضد القانون، فلا حقن في الصيدليات. ولا حقن بلا روشتة طبية. حاولنا. وكان الجواب بمنتهى الوضوح: لا.. حتى أن طبيبًا مصريًّا كان في ذلك الوقت في الأرجنتين واتصل به ابنه إن كان يوافق على إعطائنا الحقنة، على أن يبحث عن أحد يقبل أن يعطيني هذه الحقنة. وكان الرجل سعيدًا أننا تحدثنا معًا،

وأن مصر وحشته جدًّا وأنه قرأ لي عددًا من الكتب، وكل سنة ونحن طيبون فرمضان قريب وقد أوحشته الكنافة والقطايف والفول المدمس في رمضان وهو يحلم بتلك الليالي الجميلة في سيدنا الحسين والسيدة زينب.. والمقاهي والشيشة ويذكر سعادته عندما كان يشتري العيش ساخنًا.. سلام على الطرشي.. عمار يا مصر!

وفي هذا الحوار اللطيف الظريف سألته إن كان قد وافق على الحقنة.. فكان جوابه: آسف هذا مخالف للقانون!

سـوف أتفهـم..

من فرانكفورت:

لولا أنني لم أشأ أن أفتح الأزمات بين مصر وألمانيا، أو بين مصر والدول العربية لانسحبت من هذه الندوة التي ضمت أكبر عدد من المشاهدين.. فقد كان المشاركون فيها أربعة: من لبنان.. غسان تويني، واعتذر، ومن الجزائر محمد حربي، ولا يتحدث العربية، وصحفي ألماني وأنا.. وكان موضوع الندوة سوء الفهم المتبادل بيننا وبين الآخرين –كيف أننا لا نحبهم وأنهم لا يحبوننا. وكنت أول المتكلمين، وتحدثت بموضوعية. وجاء دور الكاتب الجزائري وكان كلامه عامًا غير مفهوم لدرجة أن المترجمين قد أعلنوا أكثر من مرة أنهم لا يفهمون..

ثم الصحفي الألماني الذي يتكلم العربية والعبرية بطلاقة فقد عاش في الشرق الأوسط طويلاً. فهو يعرف الكثير عنا. ولكنه تعمد إهانة العرب جميعًا ومصر خصوصًا. واندهشت جدًا كيف أتت ألمانيا بمثل هذا الصحفي الوقح. فإن كان هذا رأيه الخاص في العرب وفي مصر، فلا قيمة له؛ لأنه صحفي مجهول. وإن كان هذا رأي الحكومة الألمانية وبهذه الصورة المنحطة فقد أخطأت ألمانيا حين أنهت أسلوبها المهذب في التعبير وغيرت سياستها واختارت رجلاً (يردح) للعرب ولمصر في هذه المناسبة الثقافية الكبرى!

وقلت إنه لو شاء أحد أن يعثر على رجل سيئ الظن وسيئ الصورة فلن يجد أحسن من هذا الصحفي.

ثم حاول هذا الصحفي أن يعتذر لبعض المشاهدين بأنه قد حدث خطأ في الترجمة. والحقيقة غير ذلك، فإن أحدًا لم يخطئ في الترجمة ولكن ألمانيا أخطأت في اختيار هذه النوعية الرديئة من الشتامين الرداحين الحريصين على إفساد ما بيننا وبين ألمانيا وبين العرب!

السمـــــاء ســـــوداء

السماء سوداء وليست بيضاء ولا زرقاء كما نراها؛ لأننا ننظر إليها من خلال طبقة من التراب والبخار.. وهذه الطبقة كأنها ملايين ملايين المرايا الصغيرة تتقلب وتعكس أشعة الشمس. ولكن خارج هذه الغلالة، فرواد الفضاء يحدثوننا بأنها سوداء مخيفة. وتبدو منها مليارات مليارات النجوم كأنها الترتر في قماش أسود لا نهائي –هذا هو التفسير القديم..

أما التفسير الجديد ومنذ سبعين عامًا فهو أن هناك مادة سوداء. كتل لا نهائية من الفحم. فكما أن هناك نجومًا لامعة فهناك نجوم غير لامعة.. وهذه النجوم السوداء لها قوة جذب. وتخرج منها طاقة سوداء أيضًا. أي ليس لها لون.. وهي التي انتشرت بين كل الأجسام الهائلة التي نراها. وهي التي تعوقها عن الحركة الأسرع في الدوران. فكل شيء في الكون يدور حول نفسه وحول بعضه البعض. كل الكون يلف ويدور.. وقد ازدادت سرعة الكون في الألف مليون سنة الأخيرة. بعبارة أخرى: الكون تفجر من 15 أو 16 ألف مليون سنة.. ومنذ ذلك الحين وهو مستمر في التفجر والابتعاد في كل الاتجاهات، إلى أين؟ ليس هذا هو السؤال فنحن لا نعرف من أين ولا نعرف إلى أين..

وليس في كل الكون فضاء.. وإنما (ملاء..) ولسنا نعرف أيضًا إن كان هناك كون واحد أو ملايين الأكوان. ولا نعرف إن كان للكون

بداية أو له نهاية. وعندما نقول إن الكون بدأ انفجاره من 15 ألف مليون سنة، فنحن لا نعرف إن كان قبل ذلك قد انتهى ويبدأ كون جديد. وإن كان هذا الكون هو الأصغر أو هو الأكبر. ولا نعرف إن كانت هناك حياة على ألوف ملايين الكواكب الأخرى كالأرض. وإن كانت هذه الكائنات لا تزال في حالة حشرات أو حيوانات عاقلة مثلنا أو أعقل منا. لا نعرف.. وإنما نحاول أن نعرف.

والعالم السويسري فريتس تسفيكي هو الذي قال إن 96٪ من مادة الكون سوداء.. وإنها هي القوة التي تمسك الكون حتى لا يفلت بعضه من بعض.. ونحن لا نعرف إذا أفلت فإلى أين -إنه شيء يحير العقول!

.. فما أوتينا من العلم إلا قليلاً!

إسرائيلي في فرح سعودي

من فرانكفورت:

ربما نسي المشير أبو غزالة هذه الواقعة، فقد اتصلت به في واشنطن وقلت له جادًّا: كنا محتاجين لك بالأمس.. (لحظة صمت).. فقد تحدثت بلغة جادة جدًّا مع أنني كنت سأروي له نكتة. أما النكتة فهي أن إسرائيليًّا تسلل إلى فرح سعودي وسار بين الترابيزات ولما رآني قال لي: عاوزك ضروري. لا بد أن توقظ المشير أبو غزالة فورًا!

أما الأمر الخطير فهو أن هذا الرجل قد رأى المجوهرات متعلقة في آذان وأعناق وأيدي السعوديات وبعملية حسابية بسيطة وجد أن الاستيلاء على هذه المجوهرات سوف يحل مشكلة الديون في مصر! ولأننا نحن الذين اخترعنا مذبحة المماليك، فلو جردنا السيدات من المجوهرات.. بلاش قتل.. أو أطلقنا الغازات على الجميع.. إلخ.. ولما وجد أن هذا الذي يقوله هلوسة. قال: أنا مستعد لأن أرتكب هذه الجريمة وأن أروح في ستين داهية بشرط أن يوافق (...) على منح زوجتي 10٪ من ثمن المجوهرات!

ولذلك يجب أن أوقظ أبو غزالة الآن. وكان جادًّا وأنا لم أستطع أن أتمالك نفسي من الضحك. وفي ساعات الصباح الأولى وجدت الصحفي الجواهرجي لا يزال جالسًا مهمومًا مغمومًا. ولم يكد يراني

عائدًا إلى البيت حتى نهض وقال: عملت إيه؟! ثم أعلن في غضب: أنتم ناس وش فقر. والله ما أنا قاعد في البلد دي ولا دقيقة!

وداعبت المشير أبو غزالة: وهو رجل مؤرخ وعالم بفنون الحرب وابن نكتة أيضًا. وحاولت من ألمانيا أن أوقظ المشير أبو غزالة، لكي أقول له إن هذا الرجل قد مات تحت أنقاض الأحداث على الحدود المصرية ــالإسرائيلية، وإن هذه الفكرة الجنونية قد استولت عليه ــ هكذا قال لي أخوه فقد حاول أن يشكل جمعية لإنقاذ الموتى والجرحى مقابل (عمولة) صغيرة.. وقد رفضت المشروع كل حكومات إسرائيل!

عفاريـــت التليفزيـــون

أسوأ ما في شاشات التليفزيون المصري: الإضاءة وهي المسئولة عن ظهور المذيعات كالعفاريت، الأنوف بيضاء والآذان زرقاء.. وكلهن أشباح تتحرك ولحسن حظ الأطفال أنهم لا ينامون مبكرًا أو يشاهدون قنوات أجنبية أخرى حتى لا يموتوا من الرعب!

وعلى الرغم من أن هذه الأشباح والعفاريت تطالع الناس كل يوم، فإن شيئًا لم يتغير منذ وقت طويل، والمعنى أن التليفزيون عاجز عن إيجاد حل لهذه المشكلة الصغيرة.. وأنه المسئول عن تأكيد حقيقة، وهي أن المرأة المصرية دميمة بينما تبقى اللبنانية والسورية والمغربية جميلات على كل القنوات..

فالمذيعات اللبنانيات والسوريات جميلات؛ لأنهن جميلات أنيقات ولأن الإضاءة في الاستوديو كاملة الأوصاف، وليس الجمال والأناقة والبساطة هي كل صفاتهن، فهن أيضًا في غاية الكفاءة، ولو كان الأمر بيدي لاستبعدت الدادات والمرضعات من الشاشات المصرية، واللاتي يأكلن الحروف قبل نطقها ويبالغن في خفة الدم والظل، وهو ما يغرقنا في البرامج المتشابهة والتي تظهر على كل القنوات في وقت واحد، وليس هذا سرًّا وإنما نتجرعه كل يوم..

وقد تورطت في الظهور على الشاشة وكانت النتيجة سيئة جدًّا رغم حسن النية وبذل أقصى جهد لتكون الصورة أحسن والصوت

أوضح –ولكن الذي حدث شيء آخر، فقد تعددت قنوات التليفزيون في أيدي العيال وكأن هذه الشاشات يديرها اتحاد الطلبة أو مجموعة من الهواة، وليس من المحترفين الرسميين الذين يتحدثون ويصورون باسم الدولة، ومن ضمن الفوضى أن جاءني من يقول لي: سيادتك في مكتب ونحن نأتي بالكاميرا أو نتكلم والمشكلة ليست في أن أقول ويقول، ولكن ماذا أقول، أي لابد من إعداد سابق واتفاق على ما سوف نقول، ولا بد أن نقول كلامًا محترمًا لائقًا بنا وبالمشاهدين، أما أن يقال: ومعنا الآن وهات يا كلام فارغ فليس هذا شغل تليفزيون وإنما شغل مصاطب بالصوت والصورة الملونة!

إن عندنا وجوهًا لا بأس بها، ليست جميلة طبعًا –ولكن الإخراج والإضاءة قادرة يوميًّا على تحويلها إلى أشباح وعفاريت!

إلا خمسـة!

يجب أن تكون عضوًا في حزب (.. إلا خمسة) من حين إلى حين.
إنها حكاية مفيدة يقال إن أحد الملوك وهو يتفقد الحاشية سمع صوت رجل يغني. اقترب وجده يكنس الأرض سعيدًا، ظل واقفًا والرجل لم يتوقف عن الغناء، سأل عنه. قالوا إنه دائمًا هكذا.. سأل هل هو متزوج؟ قالوا: نعم وعنده خمسة من الأولاد.. وسأل: ماذا يأكل؟ قالوا له: ما تبقى من فتات جلالتك.. وأحيانًا ينسونه فلا يأكل ومع ذلك يغني.. وسأل إن كانت زوجته هي أيضًا تغني وفي صحة جيدة.. وإن كان أولاده أيضًا. فأكدوا له: إنهم جميعًا في غاية السعادة!

فلم يسترح الملك المريض الذي لا يأكل إلا قليلاً ولا ينام إلا أقل القليل.. ويستطيع أن يأتي بلبن العصفور من أي مكان وأن يذبح الخراف والدواجن من كل حجم ولون.. ولكنه ينظر إليها ويضع يده على بطنه. وآه هاتوا لي الدكتور، ويجيء الدكتور وما يقوله اليوم قد قاله العام الماضي، وهو أن مرض جلالته لا علاج له والحمد لله على كده، وطلب الملك من أحد مستشاريه أن يدرس حالة هذا الرجل وأن يتأكد بنفسه من كل المعلومات التي تجمعت لدى الملك، وغاب المستشار وعاد ليؤكد للملك أن كل المعلومات صحيحة، واندهش الملك، ولكن المستشار قال له: يا مولانا لن يستمر على هذه الحال إذا انضم إلى حزب.. (.. إلا خمسة).. وسأله الملك عن هذا الحزب فأجاب

المستشار: إنه يا مولاي حزب معظم الناس ولكنهم لا يدرون.. وسوف ترى غدًا! وذهب المستشار وأتى بكيس فيه 95 قطعة من الذهب ووضعها أمام باب هذا الخادم. ولم يكد يراها حتى توارى في البيت.. ويفتح الكيس فيصاب بذهول ويغلق الأبواب والنوافذ ويقوم بعدها مرة واثنتين.. ويندهش كيف أنها ناقصة خمس قطع.. ولا يعرف أين ذهبت.. سرقوها! ولابد أن يكمل المائة –وراح يعمل ليلاً ونهارًا ولا ينام ولا يأكل ولا يغني. إنه مشغول بتحويش هذه الثروة وجعلها مائة قطعة –وليس سعيدًا بأنها جاءت له من السماء.. وجاء الملك ولم ير الخادم ولا سمع صوته فسأل المستشار فأجاب: مولاي إنه الآن أصبح عضوًا عاملاً في حزب (..إلا خمسة)!

رسالـــــة في زجاجـــــة

أحيانًا يجد الناس على الشواطئ زجاجة. الزجاجة مغلقة وفي داخلها رسالة استغاثة من مركب كـادت تغرق وفـي حاجة إلى مساعدة ويكون عمر الزجاجات مئات السنين. يعني لا جدوى من المساعدة ولكنها صيحة أناس في حالة يأس.. وقد ضربها الموج وطوح بها من آسيا إلى إفريقيا أو من إفريقيا إلى أمريكا فوصلت بعد فوات الأوان..

وفي سنة 1977 أطلقت أمريكا سفينة الفضاء (فويجر ــ2) أملاً في أن تصل بعد عشرين ألفًا أو مائة ألف سنة إلى من لا نعرف.. أو إلى من نريده أن يعرف.

ففي السفينة كل شيء يدل على أن هناك كائنات عاقلة على كوكب الأرض تريد أن تعرف ونريدهم أن يعرفونا، ففي السفينة صور لطفل وصورة لسوبر ماركت وأنواع من الأطعمة و120 صورة مأخوذة من الكتب والطيور والأشجار والحيوانات والجبال والوديان ولعب الأطفال وأصوات مسجلة باللغات المختلفة ومن بينها اللغة العربية وموسيقى بيتهوفن وأغنيات من القارات الخمس ثم موقع كوكب الأرض من الهيئة الفضائية للكون.

والمعنى أن هذه السفينة إذا بلغت سكان الكواكب الأخرى وكانوا عقلاء مثلنا أو أكثر تطورًا عرفونا وعرفوا أننا نريد أن نعرفهم وأنهم

وأننا لسنا وحدنا في هذا الكون. والمعنى أيضًا أنه لابد أن تكون هناك كائنات أخرى عاقلة في الكواكب الأخرى، كم عدد هذه الكواكب الأخرى؟ ممكن أن نقول: مليون مليون مليون مليون كوكب مثل الكواكب الموجودة في المجموعة الشمسية.. وهناك مليون مليون مليون كوكب عليه حياة مثل الحياة النباتية والحيوانية الذكية على كوكب الأرض. طبعًا ليس من المعقول أن تكون كل الكائنات العاقلة مثلنا تمشي مستقيمة الظهر على قدمين ولها ذراعان. فالله قد خلق الأحياء بما لا نهاية له من الأشكال والألوان والأحجام. فإذا بلغتهم سفينة الفضاء (فويجر ــ2) كانت مثل ظلطة ألقيناها على بيت مجاور فأدركوا أن أحدًا فعلها، متى ذلك؟ لا نعرف، ربما بعد مائة ألف أو مليون سنة. هذا إذا لم تصطدم هذه السفينة بالأحجار الضالة في الكون أو سحبتها جاذبية أي جسم سماوي!

وقد أقيم في لندن معرض لكل هذه الصور، وكان الدخول مجانًا!

هـــذه البقلمـــة!

(البقلمة) كلمة أحاول أن أجعل لها معنى.. أقصد الذين يكتبون بقلم فلان وبقلم علان.. وهم الكتاب المتميزون الذين عندهم ثقافة ولهم رأي.. ورأي مقروء ومسموع.. أي أنهم علامات الطريق بين الكاتب والقارئ وبينهم جميعًا والمعنى والحل والأمل.. ولو كنت أنت واحدًا من جماعة (البقلمة) فسوف تفاجأ بأن الناس تذكر لك عبارات ومواقف.. وأنهم قد أخذوها على محمل الجد.. وأن لها أثرًا.. وأنك مسئول عمًّا ترسب عند الناس من أفكارك وهذه هي المسئولية الخطيرة للكاتب بقلم. فالقارئ لا يعرف أن البقلمة ليست وقفًا على المثقف والكاتب.. وإنما اتسع نطاقها وأصبح الكتّاب في عدد القراء ولم يعد أحد يعرف لماذا يكتب من يكتب وما هي القاعدة وهل يدرك حقًا خطورة ما يقول.. ولحسن حظ جماعة (البقلمة) أنهم لا يلتقون بكل القراء.. ولا يعرفون رأيهم وخطورة ما قالوه.. ولكن تجيء خطابات من القراء.. وهذه الخطابات عنصر مهم في فكر الكاتب.. فهي آراء وملاحظات وغضب وسعادة.. شكرًا لمئات القراء الكرام الذين يقولون لنا: صح.. غلط.. ملعون.. وأهلاً وسهلاً.. ولكن.. ولعل.. ولماذا..

قرأت مقالاً (بقلم) في إحدى المجلات.. وأعدت القراءة.. وأخجلني ما فهمت.. وتساءلت: ما الذي عساه أن يقوله القارئ أو القارئة؟ ولم أصل إلى جواب.. لكن لحسن حظ القراء فإنهم لا يستطيعون أن

يقرءوا هذا العدد الكبير جدًّا من المقالات والقفشات والتشنيعات بقلم ومن غير قلم.. لا القراء يستطيعون ولا نحن الكتاب أيضًا.. فإذا كان القارئ يستطيع أن يقلب في صحيفتين وثلاث مجلات فإن الكاتب الذي يجد أمامه يوميًّا عشرين صحيفة ومجلة وبلغات مختلفة ومئات المقالات بقلم.. إنه لا يستطيع.. فليس كل حياته أن يقرأ وإنما أيضًا أن يفكر وأن يتحرك وأن يجتمع بالناس وأن يخرج وأن ينام وأن يسافر وأن يمرض..

غلبان والله القارئ إذا قرأ.. وإذا لم يقرأ!

قنـــاة النيـــل أحســـن!

يجب أن يعاد النظر في الوجوه التي تدير الحوارات والبرامج على الشاشة.. ويجب النظر إلى الأداء وإلى الملابس وإلى التشابه بين هذه البرامج.. وكثيرًا ما ظهرت ثلاثة برامج متشابهة على ثلاث قنوات وفي وقت واحد.

لقد بالغنا في ردود الفعل للقنوات العربية.. فبرنامج من سيربح المليون أصبح عندنا من سيربح الألف والألفين وعلى كل القنوات وأكثر من مرة في القناة الواحدة.. والمكالمات على الهواء في كل البرامج الترفيهية والفنية والاجتماعية زادت وفاضت ولم تعد مقبولة.. وإنما مملة.. وعيبنا دائمًا أننا نبالغ في كل شيء حتى يزهق الناس.

ولا أريد أن أشير إلى برامج تليفزيونية محددة.. وإنما الذي أعرفه يعانيه الكثيرون كل يوم لا الوجوه حلوة ولا الأداء.. وبرامجنا الجادة لا تقل في مادتها وعرضها عن أحسن البرامج في القنوات العربية والأجنبية.. ولذلك تلقى احترامًا والتفاتًا عميقًا من المشاهدين.

أما قناة النيل للأخبار فهي من أحسن القنوات إن لم تكن أحسنها. ففيها كل الأخبار وبالتفصيل والموضوعية.. ولم يعد أحد في حاجة إلى البحث عن قنوات أجنبية ليرى ويعرف.. ففي هذه القناة كل ما يريد، وقد جربتها كثيرًا ولم أندم ولكن أحدًا لا يلتفت إليها مع أنها

تستحق ذلك وزيادة. فالمذيعون أحسن صوتًا وأداء ونطقًا وهي ولا شك مرحلة تدريب بعدها يظهرون على القنوات الرئيسية. وقد حدث أن أنتقل منها إلى الأولى والثانية شباب في غاية الكفاءة واللباقة.

أما نشرات الأخبار فقد تغير إيقاع قراءتها وهذا أفضل، فقد كان الذين يقرءون النشرة يستعدون عادة للنوم ويلتحفون بالنشرة وطبيعي أن ينام منهم المشاهد أو يهرب إلى قنوات أخرى لا تضيع وقته.

وهنا وهناك كل شيء يمكن تعديله وتبديله إذا أعدنا النظر والنظرة!

التلميــذ والأستـــاذ

عندما تكون صادقًا مخلصًا متفانيًا ويكون مثلك الأعلى قريبًا منك فليس عجيبًا بعد ذلك أن تكون أنت مثلاً أعلى أيضًا. إنها حكاية أ. د. حسني أبو العينين أستاذ جراحة المسالك البولية في المنصورة. فقد سار وراء أستاذه الجراح العالمي أ. د. محمد غنيم. وظل يقترب منه حتى جلس على مقعده مديرًا لمركز أمراض الكلى والمسالك البولية. وقد أتى بجديد في جراحة المسالك البولية، وابتدع طريقة فريدة في جراحة وعلاج سرطان المثانة بعد أن قام بتجارب كثيرة على الحيوانات.. وقد أجرى أكثر من 1300 عملية جراحية ناجحة ثم ذهب يعرضها في أربعين دولة من اليابان إلى أمريكا. وجاءه المبعوثون من الجامعات الأجنبية يتعلمون ويمارسون.

أما الجديد الذي ابتدعه د. أبو العينين فهو طريقة لاستبدال المثانة المصابة بمثانة أخرى يتم تخليقها من أمعاء المريض ثم يشكلها ويزرعها مكان المثانة المريضة بعد استئصالها، ويتم توصيل المثانة البديلة بمجرى البول من الداخل وكذلك بالحالبين عن طريق صمامات لمنع ارتجاع البول إلى الكلى؛ وبهذا تتم المحافظة على سلامة الكلى.

و أ. د. أبو العينين من قرية ميت رومي مركز دكرنس وقد تخرج في جامعة المنصورة عام 1982 ثم حصل على الماجستير والدكتوراه

من المنصورة والدكتوراه الثانية من هولندا ودبلوم من أكاديمية السادات في إدارة المستشفيات.

وكما كان د. محمد غنيم حديث دنيا الجراحة في مصر والعالم، كذلك أصبح د. أبو العينين، وهذا النجاح العلمي العالمي هو الذي لفت الأنظار إلى جامعة المنصورة وهو الذي شجع علماء مصريين آخرين على الاستعداد لإنشاء مراكز ومعاهد أخرى في المنصورة أملاً في أن تكون العاصمة الطبية لمصر.. ممكن.. وقد أمكن حتى الآن!

ازيــــــك..

ازيك؟ كويس! ولا معنى للسؤال ولا فائدة من الجواب. فالناس يسألون عادة ولا يتوقعون إجابة. فأنت تعرف حالي وأنا أعرف حالك.. ولا عندي استعداد لسماع شكواك ولا عندك. والشكوى لأهل البصيرة عيب. ولذلك فنحن لا نتعجب من أن يسألنا أي واحد: ازيك؟ ثم يمضي في الكلام فهو عندما يسأل لا يتوقع جوابًا، كما أننا لم نتوقع سؤالاً.. يعني إيه؟

يعني لا أنت تهمني ولا أنا. فكل واحد غرقان في همومه. وليس عنده أمل في أن يتخفف منها. لا هو قادر ولا أي واحد. ولذلك ليس لديه أدنى استعداد لأن يشاركك أو يشاطرك أو يحمل عنك.

ومعظم هذه المعاني الأخلاقية والاجتماعية والعائلية انقرضت أو في سبيلها..

فما الذي أصاب الناس؟

لم يصبهم شيء.. إنهم صادقون مع أنفسهم ومعك. فأنت لا تهمهم وهم لا يهمونك، ويا جاري أنت في دارك وأنا في داري. ولم يحدث في التاريخ قبل اليوم أن شعر الناس بأنهم في عزلة رغم وجود الملايين حولهم.. وهذه العزلة سببها أن الفتور والقرف واللامبالاة هي الجو الذي يعيشه كل الناس في كل مكان..

أضرب لك مثلاً.. أنت تدخل السينما وهي مليئة والكل يتطلع إلى الشاشة وتحتل مكانًا. وأنت كأنك شبح استقر في مقعد خال. لا تعرف

أحدًا ولا يعرفك أحد.. ولو عرفك أحد فلن يمد يده فذراعه قرفانة من يده ويده أشد قرفًا من يدك.. فعلى الرغم من أنك وسط ألف واحد إلا أنك وحدك.. كأن السينما خالية تمامًا. والحقيقة أنها ليست كذلك.. ولكن شعورك أنت هو الذي أخلى القاعة من الناس.

وقد تذهب في توسيع وتعميق هذا الشعور بالوحدة والعزلة فترى الدنيا كلها كذلك.. فإذا سألك أحد، فكأنه لم يسأل.

فما المعنى؟

المعنى أنك أعدمت الدنيا حولك، فأعدمتك الدنيا أيضًا. وليس الفراغ حولك إلا امتدادًا للفراغ في داخلك.. أي أن فراغك قد انتفخ واتسع حتى ملأ الدنيا فراغًا. هل هذا ممكن؟ نعم ممكن وقد أمكن!

عصـــر القـــدم!

عندما أعلن توفيق الحكيم أنه انتهى عصر القلم ويدأ عصر القدم ـوكـان ذلـك تعليقًا على أن بعض اللاعبين يكسبون المليون والعشرين مليونًـا... يكسبونـها لا بـالقلم وإنما بـالجزمـة!

ويكسب اللاعب المتفوق في سنة ما كسبه كل أدبـاء مصر في العمر كله.

ولم يعش توفيق الحكيم ليجد أن الكاتبة الإنجليزية رولنج قد كسبت في كتبها الستة عن (هاري بوتر) ما يعادل ستة آلاف مليون جنيه.. أي ألف مليون جنيه في الكتاب الواحد.. وأن الكتاب الواحد قد ترجم إلى سبعين لغة وظهر على الشاشة.

يا ترى ما الذي كان يقوله توفيق الحكيم؟ هل يقول إن كتب العيال هي التي تكسب؟ هل يقول إن حكايات العفاريت والسحر هي التي تكسب.. وإن الأدب الجاد والنقد العلمي لا سعر لهما في هذا الزمان؟

إن الذي يكتب للكبار خسران وإن الكاتب للأطفال هو الكسبان.. فلم يحدث في التاريخ أن باعت كاتبة ولا كسب كتاب ولا انتظره الأطفال في الشوارع والميادين.. عشرات الملايين في كوكب الأرض.. وأن هـؤلاء في وقت واحد عكفوا على القراءة.. لا أكلوا ولا شربوا ولا ناموا ولا استمعوا لصرخات الأب وتحذيرات الأم.. أبـدًا.. انكبوا على الكتاب في 600 صفحة حتى فرغوا منه..

سألت الطالب النابه أحمد جعفر بالمدرسة الألمانية الذي يقضي إجازته في سويسرا والذي قرأ الكتاب في يومين.. وهو يأكل وهو يشرب وهو يمشي سألته: ما رأيك؟ قال: إن الفصل الأول ممل.. وأشياء كثيرة مكررة.. وقال الذين اعتادوا على تحطيم الفوانيس وإلقاء الوحل على العروسين والذين وصفهم طه حسين بأنهم لا يعملون ويغيظهم أن يعمل الناس.. إن الكثير من أفكار رولنج مسروقة من أدباء آخرين صغار وكبار.. وهي تهمة قد وجهت إلى توفيق الحكيم والموسيقار محمد عبد الوهاب.. ولو كان بيننا توفيق الحكيم لقال: حرامي حرامي.. بس يكون عندي هذه المليارات!

الملك فهد..

ليس عندي الكثير الذي أقوله شخصيًا عن خادم الحرمين فقيد الأمة العربية الملك فهد.. عندي الكثير الذي سمعته عنه من أخيه الأمير سلمان أمير الرياض -وهو من أقوى الشخصيات السعودية وأحبهم وأكثرهم أصدقاء في مصر- ومن أصغر أبنائه الأمير عبد العزيز وهو من ألطف وأرق أبنائه وأحبهم إليه، ومن أكثرهم اطلاعًا على التاريخ العربي والإسلامي.

والملك الراحل قد ورث الكثير من صفات أبيه الملك عبد العزيز، وهو أعظم الشخصيات في تاريخ السعودية والمؤسس الأول للدولة وبانيها على الدين والأخلاق والكرامة والإيمان.

ومن رأيه أن مصر والسعودية إذا اتحدتا قامت الأمة العربية كلها قوية راسخة.

وكذلك كان رأي الملك فهد خادم الحرمين وهو أيضًا رأي الملك عبد الله.

ومن مظاهر قوة الملك فهد أن قاد سفينة بلاده ضد العواصف السياسية والأعاصير العرقية والزلازل المذهبية في الدول الشقيقة.. وكان موقفه من العراق نبيلاً ساميًا، وكذلك موقفه من الكويت في محنتها نموذجيًا، وأهل الكويت قد بكوه صادقين في مشاعرهم.. فقد فتح الملك فهد أحضانه وأحضان الشعب السعودي للأشقاء من الكويت في محنتهم الدامية.

ونحن في مصر نذكر له مواقفه النبيلة والشجاعة والتي لا نستغربها من ملك اختار أن يدخل التاريخ خادمًا للحرمين في مكة والمدينة، وهو خادم زوار الحرمين في العمرة والحج.. ولذلك فقد جعل الطريق إلى الحرمين سهلاً مريحًا. وقد شاء أخوه وخلفه أن يكون هو أيضًا خادمًا للحرمين لضيوف الله في العمرة والحج.. وفي ذلك دليل على استمرار المسيرة في الطريق الصحيح من أجل سلامة السعودية وحضارة العروبة والإسلام.

رحم الله فهدًا وسدد خطى عبد الله الملك خادم الحرمين.

يجـــدون مــن يساعدهـــم!

تلقيت من مصريين يعيشون في أوروبـا وأمريكا، والله يشفقون على مصر من علماء مصر أو أدعياء العلم في مصر ويندهشون جدًا من لغة الخطاب بيننـا ويتساءلون ما هذا الذي نقول.

أما هؤلاء المصريون فقد خرجوا من مصر ودخلوا في إطارات وكوادر علمية وتعلموا لغات ومناهج أخرى. لا يتكلمون مثلنا ولا يفكرون ولا يفشرون ويتساءلون: ما هي الميزانية التي وضعتها الدولة للدراسات العلمية؟ ما هي عناية الدولة بالعلماء؟ كم تعطيهم من أجر؟ كم تعطيهم من حرية؟ وأين يعملون؟ أهم ما يقوله المصريون في الخارج إنه يجب أن نعطي تأشيرة خروج للكذب، فلا يعود إلى كلامنا عن أنفسنا وعن غيرنا.

والمصريون الذين ذهبوا إلى الخارج وصاروا علماء عالميين ماذا جرى لهم وجرى عليهم. إنهم دخلوا في إطارات علمية جادة صادقة؛ فشعار الناس في أمريكا: أرني قدرًا من الإبداع وأنا أساعدك إلى ما لا نهاية.

فهل هذه القاعدة متبعة في مصر؟ وإذا كانت متبعة فأين؟ ومن هذا الذي وضعناه رائدًا وقائدًا للبحث العلمي؟ من هو؟ ماذا قدم لبلاده؟

تقول د. نيفين نور الدين الحمزاوي من هيوستون إنه كان لها زميل من المنصورة تقدم إلى المعهد الذي التحق به بفكرة متواضعة

جدًّا وهي كيف لا يمتص الورق الحبر وكيف لا يفرز القلم الجاف كثيرًا من الحبر. وقدم معادلة رياضية لذلك. فهل تعرف ماذا حدث؟ أقام له المعهد حفلة وقدمه لزملائه من العلماء واعتمد له مبلغًا وطلب إليه أن يتفرغ وهي فكرة صغيرة فإذا نجح فلن تكون صغيرة!

يقول د. ولي الدين شرف الغمراوي من شيكاجو إنه كانت لديه فكرة بسيطة وهي أن هناك أنواعًا من العنب إذا اتسخ بلونها أي قماش فمن الصعب غسله فلماذا لا نستخدم هذا اللون في مواد طلاء أخرى.

فكرة.. درسها.. نجح في ذلك.. سجلها.. يعيش سعيدًا بنجاحه..

فأين نحن من كل هذا؟!

للعلمـــاء رأي آخـــر

نفرض أن سنبلة القمح مائة حبة.. خلاص.. حقيقة علمية. وفجأة اكتشف أحد العلماء أنه وجد سنبلة للقمح في أستراليا بها 101 حبة. اكتشاف. ولكن ما أهميته؟ ليس من شأننا أن نسأل. ولكن العلماء هم الذين سوف يقولون لنا ذلك.

ومنذ أيام اكتشف العلماء أن المجموعة الشمسية المكونة من تسعة كواكب وسبعين قمرًا، قد أضيف إليها كوكب جديد.. وهذا الكوكب لم يطلقوا عليه اسمًا بعد. فلابد من هيئة فلكية كبرى هي التي تختار له الاسم المناسب. هذا الكوكب مثل الحبة التي زادت في سنبلة القمح. فما قيمة هذه الحبة بالنسبة لكل القمح وبالنسبة لكوكب الأرض وبالنسبة للكون؟ ولا حاجة. ولكن ليس هذا رأي العلماء.

وهذا الكوكب قطره نحو ثلاثة كيلومترات -الأرض قطرها نحو ثمانية عشر ألفًا- نصف هذا الكوكب حجارة والنصف الثاني جليد في درجة حرارة 400 تحت الصفر. وهذا الكوكب يدور حول الشمس ومداره طويل لدرجة أنه لكي يكمل الدورة الواحدة يحتاج إلى 560 سنة! وهو يبعد عن الشمس نحو عشرين ألف مليون كيلو متر.. أي 97 مرة المسافة بين الأرض والشمس.

موضوع آخر غريب: يبحث العلماء أيضًا عن (ذكر الرجل) المصنوع من الحجر الذي وجدوه في أحد كهوف ألمانيا. ما المعنى؟ وما الدلالة؟ وما السبب من 28 ألف سنة؟

ويبحث العلماء أيضًا عن آثار أقدام عميقة وجدوها عند الحافة الجنوبية للأرجنتين.. فلم يكد ينحسر الماء عن الشاطئ حتى رأى أحد الباحثين هذه الآثار وتولت شركة رولكس للساعات الإنفاق على هذا البحث.

وكانت إحدى الجامعات الألمانية قد كلفت أحد طلبة الدكتوراه أن يبحث عن متى اختلف الفأر الليبي عن الفأر المصري في اللون والحجم. يعني إيه؟ إنه بحث علمي. فالمهم أن يضيف الإنسان شيئًا. لا يهم إن كان نافعًا اليوم أو بعد ألف سنة!

إنــه التفكيــر العلمــي

تقول أ. د. باكيناز زيدان الأستاذة بكلية الهندسة بطنطا إن التفكير العلمي هو التحدي الحقيقي الذي ينقلنا إلى القرن الحادي والعشرين ولا شيء يستحق أن نبذل مجهودًا مضاعفًا لأجله مثل التفكير العلمي، وأنا أدعوك لأن تزور موقعنا على الكمبيوتر (اتحاد العلماء المصريين).

ويقول السيد راضي التوني: يكفيك فخرًا أن وصفتنا بأننا هجاصون فشارون مهرجون، إن هذه هي الحقيقة التي نخاف أن نعترف بها، وإذا اعترفنا فلن نصرح بها.

يقول السيد محمد ممدوح: عندما قرأت أسماء الجامعات الخمسمائة أسعدني جدًّا اختفاء اسم أي جامعة مصرية لأنها فعلاً لا تستحق لأنها روتين يعيش ويموت من أجل صنم عظيم اسمه الروتين.

تقول د. فرجينيا سعد بسطوروس من شيكاجو: لست نادمة على أنني تركت مصر، ولكن كل ما حدث أن كانت عندي فكرة في الهندسة الوراثية عرضتها على أستاذي قال لي: ولا أقدر أعمل لك أي حاجة.. ولا أقدر أعرف قيمة هذا البحث.. ولن يستطيع أحد، احترمي علمك واذهبي إلى أي مكان آخر.. وربنا يوفقك! وظننت أول الأمر أنه (يوزعني).. والحقيقة أنه خدمني خدمة جليلة، فهنا عرفت معنى التفكير العلمي والبحث الجاد وقيمة علم العلماء!

وأنـا لست ضد الدعوة إلـى التفكير العلمي ولا التقاء العلماء ولا العمداء وإنمـا المهم هو لمـاذا جاءوا ومـاذا فعلوا ومـا الذي في مستقبلهم أن يفعلوه لأجيال قـادمة.

لا إجابـة عن أي سؤال من هذه الأسئلة لا الأمس ولا اليوم ولا غدًا. ومـا دام هذا هو حـالنـا فكأننا لا تقابلنـا ولا تكلمنـا ولا أخذنا بخاطر بعضنـا البعض.. والعوض في وجه الله!

يريــدون أن يساعدونــا

عندي اقتراح -هكذا يقول د. أيمن سرور الغمراوي من شيكاجو- وهو أن أبعث إليكم بالبرامج العلمية.. أو المقررات التي يدرسها الطلبة هنا في الكليات العلمية؛ لأنه لا أمل في أي تعديل للمسار العلمي أو البحث العلمي دون تفكير علمي. بقي أن نفكر علميًّا ونبحث علميًّا، لتكون النتائج علمية.. وأنا أذهب إلى أبعد من ذلك وهو أن التفكير العلمي ليس مقصورًا على كليات الطب والعلوم والهندسة.. وإنما يشمل كل الكليات الأدبية والفنية. أي يجب أن نفكر بالعقل وبهدوء ويكون نشاطنا كله من أجل الإجابة عن هذا السؤال: ماذا نفعل لمصرنا الغالية حتى تحتل مكانها الرفيع بين الأمم؟

وعشرات الرسائل من المصريين في أوروبا وأمريكا وكلها تريد أن تساعد في البحث العلمي.. أو في البحث ليكون علميًّا.. تقول د. غادة نور الدين سماحة من لوس أنجليس: كانت صدمة لنا هنا عندما جئنا نتعلم؛ فالخلاف في وجهات النظر هائل. هم يفكرون بشكل ونحن نفكر بشكل آخر.. أو نحن لا نفكر بشكل. هنا كل شيء جاد، أو يجب أن يكون جادًّا أو يجب أن نأخذه على محمل الجد. فلو قال واحد إنه وجد في البطيخة لبًّا أخضر وأحمر. فهذه قضية كيف ولماذا؟

وكيف نعرف؟ بعضنا يرى في ذلك تهريجًا أو قنزحة. لحسن الحظ فإن ما نقوله في مصر لم يصل إلى أمريكا.

تقول د. سالومي نور: أنا مندهشة من وجود عدد كبير من الأساتذة والعلماء المصريين الذين تعلموا في أحسن الجامعات العالمية وليس لهم صوت ولا رأي ولا يتقدمون الصفوف في تطوير مصر. وإذا كان هذا حال العلماء في بلدنا فلا داعي للعلم ولا داعي للبحث!

وعلى مائدة عشاء اللواء حسن الألفي وزير الداخلية السابق التقيت بعدد من الأساتذة والعمداء ورؤساء الجامعات وقالوا كلامًا كثيرًا كبيرًا وبعضهم عنده أمل!

أوراقنـــا قـــذرة

الشكوى مريرة من قذارة العملات الورقية –وهي صفة انفردنا بها دون سائر خلق الله– فعلى العملات الورقية أسماء وعناوين وأختام وبقع. والسياح يندهشون ويتساءلون: لماذا؟ أليس عندنا ورق نكتب عليه؟ ولم نجد ما نقوله دفاعًا عن الأوراق المالية فهي قذرة مكرمشة مهلهلة وبس.

أخيرًا جاء الفرج مع بلدياتي د. فاروق العقدة رئيس البنك المركزي قال لي إنه اشترى أحدث المطابع الألمانية ليطبع ورقًا جديدًا. والورق سوف يغطى بطبقة من البلاستيك تجعله أقوى من أي محاولة لكرمشته أو إذابته في الماء. وإن الجنيه الورقي سوف يتحول إلى قطعة معدنية. وإنه سوف يضيف ورقتين ماليتين أخريين، واحدة من فئة المائتي جنيه والأخرى من فئة الخمسمائة. شكرًا لرجل البنوك الأول في مصر.

وأعجبني ما قاله من أنه صاحب نظرية اسمها نظرية الخمسة آلاف.. أي أنه يكفي جدًّا أن يكون لدينا هذا العدد من الأكفاء المخلصين ووضعهم في أماكنهم الصحيحة لتقفز مصر إلى الأمام!

وقلت له إن اليابان في القرن التاسع عشر فعلت كذلك. فقد جاء الخبراء من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وأمريكا ليعلموهم..

علموا مـائـة ثم خمسة آلاف انتشروا فـي كل البلاد وقفزوا بـاليابـان إلى الأمـام حتـى سبقت كثيرًا من الدول الغربيـة..

باختصار قال لي د. فـاروق العقدة إن هنـاك شكوى من ثلاثة أشياء: قذارة الأوراق المـاليـة، والتـاكسي، ودورة الميـاه. وسوف يتكفل بـالأوراق المـاليـة قريبًا جدًّا.. شكرًا!

الإعلانات أقوى!

«سونامي الصحافة»: هي الإعلانات التي تجتاح المقالات. ولا يستطيع أي كاتب أن يقول بم. فالإعلانات هي صاحبة الجلالة. والمقالات هي بلاط صاحبة الجلالة. ولذلك اجتاحت الإعلانات جانبًا مهمًّا من مقالي عن كتاب د. علي السمان (أوراق عمري). والكتاب مثل الموائد اللبنانية مليئة بالمشهيات التي لاتقاوم. فإذا بك مقبل عليها تتمتع وتمتلئ معدتك. فإذا جاء الطبق الرئيسي كنت في غير حاجة إليه. .د. علي السمان مرهف الحواس كلها فهو يشم الأخبار ويتوقعها وقبل وقوعها يسبقها. ففي كل الأحداث التاريخية في مصر كان علي السمان. وما اجتمع رجل ورجل إلا كان علي السمان ثالثهما في مصر وفي أوروبا. ولذلك فمعلوماته أضعاف ما جاء في هذا الكتاب.

و د. علي السمان يمشي على حبل الوداد والألفة بين كل الناس. وموقفه من الرئيس عبد الناصر والسادات يحاول أن يخفيه. ولكن واضح أنه هو أيضًا يبخس السادات حقه، ولو استطاع أن يتجنى عليه لفعل.

ولا يختلف موقف علي السمان عن موقف بطرس غالي.. فبطرس غالي يدفعه الحقد والرغبة في الانتقام، وعلي السمان يدفعه الخوف من إغضاب الناصريين.. فلا أغضب عبد الناصر ولا أرضى السادات..

ومن المؤكد أن موضوعات كثيرة في كتابه كانت تستحق الوقوف الطويل عندها. ولكن إيقاع الكتاب سريع. و د. علي السمان يريد أن يسجل حتى لا ننسى أو حتى لا ينسى. فلا هو نسي ولا نحن. ولذلك في استطاعته لو أراد أن يجعل من كتابه هذا ثلاثة أو أربعة.. والقارئ لن يمل.. فحكاياته كثيرة وعبارته سهلة ودمه خفيف..

والذي يعرف د. علي السمان لا يحتاج إلى مجهود كبير ليكتشف أنه شخص جذاب لطيف ظريف.. ولكن الذي يقرأ مذكراته هذه يكتشف مرة أخرى أن ذاكرته مغناطيسية وقدرته على الملاحظة والملاحقة هائلة.. اقرأ كتابه وأنت الكسبان!

نحن في الذيل!

حال الصحفيين هذه الأيام يسر العدو ولا يسر الحبيب. فالصحفيون ككل أبناء المهن الأخرى يعتقدون أنهم أهم أناس في هذه الحياة وأن حياتهم وهمومهم هي أخطر ما في الدنيا، وأن إصلاح حالهم هو إصلاح للكون، هم الذين يقولون ذلك مع أن في الدنيا مصائب وكوارث أخطر وأبشع. ولكن المثل يقول الدخان القريب يعمي. وأينما اتجهنا يمينًا ويسارًا وفوق وتحت فهناك دخان وضباب وهباب وتراب وكل ما يفسد البيئة!

ويحكى أن الكاتب الكبير مصطفى أمين كان في الطائرة التي تقل الرئيس عبد الناصر إلى نيويورك لإلقاء خطاب في الأمم المتحدة سنة 1960.

وطلب مصطفى أمين أن يتحدث إلى الرئيس. وأجيب إلى طلبه وانفتحت شهية مصطفى أمين يحكي للرئيس هموم الصحافة: ورق وقطع غيار وفلوس وحرية وحرية وحرية وأن صحف لبنان التي هي تلميذة لصحف مصر قد تقدمتها وتفوقت عليها شكلاً وموضوعًا، وأن هناك خوفًا أن يخفت صوت الصحافة صوت مصر صوت الحاكم.

ويحكى أن الرئيس عبد الناصر قد استمع إلى مصطفى أمين باهتمام شديد. ولم يظهر على وجهه أي شيء يدل على أن الذي قاله

مصطفى أمين كلام فارغ أو أنه قد استمع إليه ألوف المرات. ولكنه قال لمصطفى أمين: خلصت كلامك يا مصطفى!

- أيوه يا ريس..

- شوف يا مصطفى.. أنا عندي 27 مشكلة الصحافة رقم 23!

وقام مصطفى أمين أثقل همًّا وأبطأ خطوة وقال لنا إنه لم يندم في حياته على شيء قاله إلا هذه المرة. فلم يكن يعرف أن مكانة الصحافة هابطة إلى هذه الدرجة. وقد بقيت الصحافة كما وصفها الرئيس عبد الناصر في مكانها الصحيح. ويبدو أنها لا تزال كذلك وإن كانت الحرية قد انحطت بها كمان وكمان!

نحـــن زمـــان

ما كنا فيه زمان وما الأطفال فيه الآن كالفرق بين بيع الخيار والطماطم في المشنة، وبيعها في محلات كارفور.. بين الأكل على الرصيف والأكل في سميراميس، بين أن ننحني على صناديق الزبالة نبحث عن ورقة نقرؤها وبين الأطفال في مكتبة مبارك بالمنصورة -أحدث مكتبة إلكترونية في مصر. من أول الباب على شمالك أجهزة كمبيوتر تقول للزائر عن كل الكتب الموجودة.. ماذا يختار ليقرأ وماذا يختار ليشاهد. ويكتب اسمه بالكمبيوتر ويصعد ليجد اسمه والكتاب. خيال! لا حقيقة مؤكدة.أنا كنت مثلك لا أصدق. وذهبت مع محافظ الدقهلية د. سعيد صوان أشاهد وأسعد وأباهي بالإنجازات العلمية والثقافية في مدينة المنصورة.

والمكتبة التي كنا نتردد عليها أطفالاً -المكتبة الفاروقية- قفلوها.

وكل ما فيها من مخطوطات نادرة ضاقت بها الفئران لأنها قديمة ونحمد الله أن نجا من مخالب الفئران كتاب (وصف مصر) الذي أبدعه شباب الحملة الفرنسية. لقد خصصت له المكتبة قاعة كاملة.. اللوحات البديعة نراها على الحائط ثم إنهم سجلوها على أسطوانات صغيرة. مئات الأسطوانات ليراها من يريدها ويتمتع ويسعد. كل ذلك في مكتبة في مدينة في مصر اليوم وغدًا.

ما أسعد أطفال وشباب اليوم. كل الكتب عند أطراف أصابعهم ـ أما على أيامنا يا حسرتاه على ماضينا.. والذي يقولون عنه (الزمن الجميل)ـ فلا كان زمنًا ولا كان جميلاً. وبالمناسبة رحت أشاهد على الزمن الجميل الذي أخرج لنا من تحت الأرض أم كلثوم. ذهبت إلى بلدها (طماي الزهايرة) وقفت على الخرابة التي ولدت تحتها أم كلثوم.

إنها معجزة أن تخرج هي وأن نخرج نحن أحياء من هذه الأماكن!

كلمة قالتها الزوجة الأمريكية لبلدياتي د. صبري الشبراوي عندما أصرت عند مجيئها إلى مصر أن ترى (البارامون) مسقط رأس ورجلي وذراعي صبري الشبراوي. ذهبت وشاهدت وتحسرت واندهشت لمعجزة الخلق. وقالت: معجزة أن خرجت من هذا البلد حيًّا!

ليس هو وإنما أنا أيضًا وكل جيلي الذي كان يشمشم في الأرض بحثًا عن ورقة مكرمشة ممزقة ملوثة لعله يقرأ!

قبـــل صـــدام حسيـــن

لقد أدركت مرحلة الفرفشة في مدينة بغداد –قبل صدام حسين. فكان الشعراء والأدبـاء والطرب. وليس غريبًا أن تكون كذلك فهي عاصمة الرشيد عاصمة الأبهة في الحياة والأدب والفن وعبادة الجمال حتى الانحلال.

ولما جاء صدام حسين تعلمت بغداد على يديه كيف تموت ويكون موتها منتظمًا: في الجيش والبوليس والمخابرات والسجون ثم الموت أبجديًا. وكان يضيق بانفلات الشباب. ولم يكن انفلات الشباب إلا حيوية ولكن في حبه ومرضاته. ولذلك كان يسعده أن يعتقل البوليس العشاق في كل مكان على شاطئ دجلة في مطعم أبي نواس وعلى شاطئ الأعظمية.

ولما ذهب صدام امتلأت أماكن العشاق دبابات ومصفحات وألغامًا وانفجارات ودمـارًا. وتوارى العشاق. ولكن الحب لا يموت. وفي مواجهة الموت يقبل الناس على الحياة وعلى الاستمرار.. وقد حدث في أثناء الغارات الجوية في كل الدنيا أن انهارت البيوت فوق أناس يتعانقون. وكان منظرًا مألوفًا أن يرفعوا من تحت الأنقاض رجالاً ونساء عراة في حالة حب. فالحب هو التحدي الحقيقي للموت والدمار. والحب هو انتصار الحياة على الخوف.

وفي أيـام الحروب ترتفع نسبة الزواج أي التقارب والتماسك والاتحاد ضد الموت. وفي زمن السلم ترتفع نسبة الطلاق.. الانطلاق..

التباعد.. والسبب هو الشعور بالأمان.. والتراخي.. فلا خطر يهدد الناس.. وإذا كانت الحروب حشدًا للعسكريين، فهي أيضًا حشد للمدنيين؛ فالعسكريون يتحدون لموت العدو، والمدنيون يلتحمون ضد الوحدة والقلق.

وقد روى لنا الشاعر الروسي إيفتشنكو أن الجنود كانوا يتزوجون قبل ذهابهم إلى الجبهة.. آخر قبلة حياة في وجه الموت.. لعلهم بزواجهم أن يعوضوا بلادهم عما سوف تفقده في الحرب..

ولذلك لم يكن غريبًا ولا عجيبًا الآن في بغداد عاصمة الأبهة والحب والأدب والفن أن يهاجم البوليس العشاق بين الأنقاض ودانات المدافع والألغام -طبيعي أن يقول الشباب للموت: لا!

خطاب مصطفى أمين

في ستين صفحة ومن السجن ومن أربعين عامًا تمامًا أرسل الصحفي الكبير مصطفى أمين خطابًا إلى الرئيس عبد الناصر يذكره بما قدم له ولبلده من خدمات بالاتفاق مع الرئيس.. إلا حالة واحدة تصور مصطفى أمين أنها لا تحتاج إلى إذن من الرئيس فاستحق عليها السجن تسع سنوات.. انتقل فيها من عرش الصحافة إلى برش المخابرات..

شكرًا جزيلاً للدكتور علي السمان الذي استأنف الحكم في قضية مصطفى أمين فحكم ببراءته تمامًا. ففي حديث له مع رئيس المخابرات كمال حسن علي قال: إن مصطفى أمين من (الناحية الفنية) ليس مذنبًا. فالعميل المزدوج مثل مصطفى أمين يعطي أخبارًا ليحصل على أخبار.. فأخباره طعم؛ ولذلك لم يقدم خبرًا ولم يفش سرًا. وإنما فعل تمامًا كما جاء في كتاب المخابرات!

إذن.. فالرئيس عبد الناصر قرر سجنه فأدان علي السمان عبد الناصر وبرأ مصطفى أمين. شكرًا له.

أما كتاب د. علي السمان (أوراق عمري) ففي غاية المتعة.

وقد أنعم الله على د. السمان رجل الأمن القومي الأول في الشرق الأوسط بأن أخلى جوفه من المعدة والقلب.. ففي قصة حياته هذه لا نراه يأكل أو يشرب أو ينام أو يصحو.. ثم إنه لا يحب ولا يكره. إنه

جهاز دقيق لامع ومارق ونافذ.. ترمومتر. بارومتر.. ورجال المخابرات كالأفاعي ليست لها آذان وإنما لها ألسنة تتلمس بها الموجات الصوتية.. فالذي يرى الألسنة يخيل إليه أنها تقول والحقيقة أنها تسمع وأنها تتصيد كلامًا وحكايات ووشايات وقفشات..

حتى عندما يتحدث د. السمان عن أبيه وأمه وإخوته، لم يكن ذلك بسبب حرصه على أواصر الأسرة وجذور الأبوة والأمومة.. إنما هو استيفاء لإحدى خانات البطاقة الشخصية.. فرجل المخابرات النموذجي هو كمبيوتر إلا قليلاً وإنسان إلا كثيرًا!

لابد أن نعود إلى حكاية (البحث العلمي)، فكل شيء يدعونا إلى التفكير العلمي.. وأن نبتعد عن التفكير الخرافي وعن عبادة الأساطير وانتظار المعجزة من الجو والبر والبحر.. من يأتي وفي يده مصباح علاء الدين وخاتم سليمان وبساط الريح.. هذه المعجزة تحول مصر من مجتمع ريفي رمزه المصطبة وتليفون حضرة العمدة والبيه المأمور إلى مجتمع علمي صناعي..

أعلنا عن مؤتمر للبحث العلمي.. حضره ألف.. ألفان من أساتذة الجامعات المصرية التي لم يجد لها العالم مكانًا بين أحسن 500 جامعة. وكنا قبل ذلك نؤمن أنه لا قبلنا ولا بعدنا جامعات. وعلى أي أساس؟ لا أساس. وإنما هي لجان البحث العلمي التي قررت وأجلستنا على عرش العلم ووضعت التاج فوق رأس السيد وزير البحث العلمي..

اجتمع الناس وكما اجتمعوا انفضوا. كانوا سعداء بمصافحة سيادة الوزير. وقال وقالوا وخطبوا وهتفوا وعرضوا ملصقات تمامًا كما تفعل (الأسر المنتجة) التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية وانفض المولد.

وكأنه مأتم البحث العلمي. وصافحوا الوزير ورؤساء الجامعات والعمداء.. لا أراكم الله مكروهًا في عزيز لديكم.

مع أنه المفروض أن يكون عيد ميلاد أو سبوعًا للبحث العلمي وأن نسمع أغنية (برجالاتك برجالاتك).

لا خلاف بيننا في أننا غير جادين وأننا مهرجون هجاصون فليس هكذا تفكر الشعوب المحترمة. وليس بهذه الصورة نخدع أنفسنا والحقيقة أننا لم نخدع أحدًا. فنحن نعترف أن كل هذا كذب في كذب وفي العام القادم والذي يليه عندما يختارون أحسن ألف جامعة، لن تكون من بينها واحدة مصرية!

سوف يمضي وقت طويل قبل أن نعرف من المجرم أو من هم المجرمون الذين روعوا شرم الشيخ وأوجعوا قلوب المصريين. وقد سالت الأقلام دموعًا وتمزقت الحناجر وراء الميكروفون.

ولكننا جميعًا قررنا أنهم مسلمون مثلنا. لولا أن إسلامهم ليس إسلاميًّا، وإن كانوا هم يرون أن إسلامهم هو الإسلام، وأن إسلامنا هو النفاق والفهم الخاطئ للإسلام، فإسلامهم كلماته رصاص وعباراته نار، وهدفه تدمير وتخريب.

وسوف يجيء وقت نتأكد فيه أن القاعدة هذه اختراع أمريكي. فعقلي لا يصدق أن رجلاً يعيش في الكهوف مثل بن لادن ويتزوج واحدة كل سنة هو الذي حقق هذا الإعجاز العلمي في واشنطن ونيويورك. ولكن يسعده أن تنسب إليه هذه الأبهة العلمية وهذه العظمة الهندسية.. وأنه قادر على كل شيء في الأرض وفي السماء!

فمن أدرانا أن الذين ارتكبوا جرائم سيناء في طابا وفي شرم الشيخ هم خونة مضللون مصريون.. أو بدو يعملون لحساب دولة أخرى؟! ولكننا غير قادرين على أن نتهم أحدًا، فليس في أيدينا دليل.

فسيناء واسعة شاسعة.. وقد تاه فيها موسى عليه السلام أربعين عامًا.. ووقف على حدود أرض كنعان ورآها ومات ولم يدخلها. ونحن لا نعرف كل شبر في سيناء ولا نعرف كهوفها ودروبها؛ ولذلك

فلم نعرف من الذي نسف طابا.. وسوف نضيف إلى لغز طابا لغزًا آخر هو شرم الشيخ!

نحن على يقين من شيء واحد وهو أن هدف هذا الإرهاب تمزيق مصر وصرفها عن أهدافها في البناء والتعمير والتقدم وتخويف السياح وتخويف أصحاب رءوس الأموال.. ولكن لا خوف.. وعندنا نموذج رفيع، لبنان حارب وتمزق عشرين عامًا فلا البحر أغرق لبنان ولا جبالها انهدت ولا رجالها عرفوا اليأس.. ونحن لسنا أقل ولا أصغر ولا أضعف، وإيه يعني انفجارين وثلاثة.. إن دولاً حاربت ومسحوها من الوجود فقامت عملاقًا جبارًا في العلم والأدب والفن والحرية: ألمانيا واليابان!

إنهــم محترمــون

إدوارد هيث (89 سنة) واحد من أعظم الساسة في القرن العشرين، وهو بطل عالمي في سباق اليخوت ومايسترو معترف به وله كتب في فن وعلم قيادة الأوركسترا، سألوه لماذا لم يتزوج فأتى بصور صديقات فرنسيات في أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنه رجل من ظهر رجل!

وفي إحدى جلسات مجلس العموم كان من الضروري أن يكون هناك لأن المعارضة طلبت سحب الثقة من الحكومة، ولكنه جاء متأخرًا وتهامس الأعضاء، ولكنه قدم شهادة أحد عساكر المرور بأنه تأخر بسبب مرور موكب الملكة، ولما حاول أن يمشي على قدميه منعه الحرس الخاص!

وفي سباق اليخوت كان يقود الفريق الإنجليزي وفشل، ولم يترتب على ذلك أن طالب أحد بإلقائه في البحر أو إخراجه من مجلس العموم بعد خمسين سنة من العضوية، وإنما كما صفقوا قبل ذلك لانتصاره، صفقوا مرة أخرى لكفاحه في أن يكسب!

وهيث أمه خادمة وأبوه نجار، وقد أسقطته مرجريت ثاتشر بنت البقال، ولم ينس لها هذه الهزيمة حتى قبل موته بأيام! ويقول إدوارد هيث: إن أمه البسيطة هي السبب في كل تحولاته السياسية والفكرية فهو كمواطن فقير ما كان من الممكن أن يلتحق بجامعة

أكسفورد، ولكن أمه أصرت على ذلك، وكان عندها يقين بأنه سوف يكون شيئًا مهمًّا في بريطانيا.. وكان.

ولما نشرت الصحف البريطانية أن سير إدوارد هيث لا يكن للسيدة مرجريت ثاتشر أي احترام، قال معلقًا معترضًا: الاحترام نعم، ولكن كل احتقار. وكان ردها هي: بل لا احترام ولا احتقار!

وقد أعلنت ثاتشر بعد وفاته أنه كان سياسيًّا عملاقًا.

وقال توني بلير رئيس الوزراء: إن هيث يعتبر واحدًا من أعظم ساسة بريطانيا وإنه هو الذي أدخل بريطانيا في الأسرة الأوروبية بعد عزلتها التقليدية.

وفي حديث تليفزيوني سألوه من سنوات: كيف تحب أن يتحدث عنك المؤرخون؟ فأجاب: لا سلطان لي عليهم، وكل ما أرجوه أن يذكروني فنانًا عاش عاشقًا للموسيقى!

صحيح ولماذا لا نطلق على شرم الشيخ مدينة السلام.. لأنه لولا السلام ما قامت شرم الشيخ والغردقة وكل المدن الجديدة في مصر والساحل الشمالي والقرى الجميلة من الإسكندرية حتى مطروح..

وتكون شرم الشيخ بالإنجليزية بيس شرم، وبالفرنسية شارم دلابي، وبالألمانية فريدين شارم، وبالعبرية شرم شلاليم ويكون هذا إصرارًا منا على السلام الذي حققناه. والذي جعلناه منطلقًا إلى التعمير والبناء والاستقرار ومزيد من الحرية..

إن المصطافين من إسرائيل كلما جاءوا إلى شرم السلام أذهلهم ما حققه المصريون في وقت قصير، هذه القرى الجميلة التي هي راحة للعين والأذن وصحة للصدر وذكريات جميلة يكررونها كل عام..

وسيناء هدف للإرهاب لأنها شاسعة ممتدة. ومن الصعب الدفاع عنها. والشاعر القديم يقول ومعه حق: صحراء عليها باب.. هذه الصحراء يجب أن تكون لها أبواب وجدران وسدود وحدود حتى لا يتسلل ويهرب مثل هؤلاء المجرمين. ولابد أن يعاد نظام الأمن. ولابد أن تتضاعف قوات الحماية وأن يعاد النظر في اتفاقيات كامب دافيد.

إن الواقع الرهيب قد فرض علينا ما لم نكن نحب. فنحن لا نريد أن نحارب إسرائيل ولا نحن نستعد لذلك. ولكن المثل يقول: سوء الظن

من بعض الفطن. فلا ثقة في أحد ولا أمان لأحد. فنحن في زمن يجب أن تضع يدك على الزناد في البيت والشارع والمسجد. فالأعداء والأشرار والمخربون فينا وحولنا.

ولقد استطاع المخربون من الجهلة بالإسلام أن يفضحوا المسلمين والعرب في كل مكان. فإذا انفجرت قنبلة في موسكو: فالمسلمون وفي باريس ومدريد ونيويورك وواشنطن وإندونيسيا.. وكنا نقول إن الإسلام لم ينتشر بالمدفع وإنما بالعقل.. ولكن اليوم يصدر تكذيب رسمي في كل مكان.. فالمسلمون -كما ترى- مجرمون سفاحون لا دين لهم ولا كتاب وإنما المدفع والقنبلة، ويفضلون أن يكون ضحاياهم من المسلمين!

لا علاقة علمية

نقول كمان: لا داعي لأن نشغل أنفسنا باختراع قنبلة ذرية أو أن يكون لدينا مفاعل تدريبي مدرسي. ولكن يجب ألا نرى أبعد من قدرة عيوننا، وأبعد من استطاعة آذاننا، وإنما نقوم فقط بزيارة لأحد المعاهد العلمية أو المجالس القومية.. وسوف نرى أن العلاقة بيننا وبين البحث العلمي كالعلاقة بين محمد هنيدي و د.محمد غنيم.. هذا شاب ظريف وهذا عالم مهموم مشهود له بالقدرة والنجاح.

لا علاقة علمية، نقول كمان: نذهب إلى أحد المعاهد ونسأل ماذا فعلتم بقضية صغيرة جدًّا خطيرة جدًّا؟ ماذا وجدتم؟ ماذا فعلتم؟ أين ذهبت أبحاثكم؟ من الذي بادر إلى السؤال عنها؟ ومن الذي فرضها بقوة القانون والعلم؟ لكي أكون أوضح: ماذا فعلتم بعروس المولد.. فاللون المستخدم في عروس المولد يسبب السرطان.

ليس هذا اكتشافًا جديدًا، ولكنه حقيقة. عرفناها في مصر ويؤكدونها في أوروبا وأمريكا. فماذا فعلوا هناك؟ ضبطوا اللون. وغيروا الورق الذي يلفون فيه الشيكولاتة.. وغيروا لون الشيكولاتة. نعود إلي عروس المولد الموجودة في الريف وفي الموالد وهي التي تنشر السرطان بالعدل بين الأطفال الأبرياء.. ماذا فعلنا؟ سوف نجد أبحاثًا علمية تمت بطرق بدائية. فقد ذهبت أنا شخصيًّا ومعي أحد وزراء الصحة ورأينا كيف أن المعامل المصرية تستخدم الطشوت بدلاً

من المخبار المدرج.. وكيف أن الباحثين يمشون على أرض قد رشوها بالماء.. لا بها بلاط ولا خشب ولا بلاستيك.

ولا يمكن أن يكون السيد الوزير في انتظار أمر من السيد رئيس الجمهورية ليحول الطشوت إلى آنية زجاجية والتراب إلى بلاط.. وسوف نجد تعليقًا على هذا الذي أقول: يا أخونا مصر بخير..

وعندنا عباقرة ونحن زي الفل.. والمصري أذكى إنسان في العالم..

ممكن أن يقال هذا الكلام في لجان الحزب وعلى المصطبة.. والمصيبة الكبرى أننا لم نبتعد كثيرًا عن المصطبة ودوار العمدة.

بهذا الشكل: لا أمل!

يفضحــون مصـــر؟!

تريد أن تغتـاظ.. أن تـغيظ نفسك وتضايقـها وتقرفـها، اذهب إلى القنوات العربية لتسمع مصريين يتكلمون عن الحرية الآن، وعن الاضطراب في الحكم، وعن اختلاط الشرعية بالدستورية بالفهلوة – كل هذه أوصاف لهذا الزمان!

أمـا أوصاف ذلك الزمـان التي لم ننسها وقد عايشناها وعشناها فدخل السجون وتـرك عمله الألـوف، أمـا الرقابة على الصحف فحكايات وروايات بوليسية وهزلية. كل ذلك عشناه ولا ننساه، هل كان في استطاعة أي إنسان كاتب أو قارئ أن يتحدث في التليفون.. مدنيًّا أو عسكريًا، أن يشير إلى السيد الرئيس بكلمة بهمسة بغمزة بلمزة؟ كل ذلك عرفناه ومللناه، ولن ننساه.

شيء عجيب أن هؤلاء المصريين الذين اختاروا الكذب على مصر وعلى العالم العربي قنوات وشبكات عربية، ومن المؤكد أن نصف سكان مصر لا يعرفون ذلك؛ لأنهم أصغر من 37 عامًا.

هل هم كذابون؟ نعم. هل هم مكابرون؟ نعم.. هل أصيبوا بتصلب في الشرايين ولذلك ينسون؟ نعم.. هل ماتوا؟ لم يموتوا وإنما تجاوزوا أعمارهم الافتراضية.. فكأنهم ماتوا.

هل عرفت مصر في كل عصورها مثل هذه الحرية الغوغائية الفوضوية الخنفشارية؟ أبدًا، ولا عيب في الحرية وإنما في الذين يمارسونها ويسيئون إليها وإليهم وإلينا.

أذكر عبارة بليغة للزعيم السياسي مكرم عبيد، قال: إذا صلى الإمام ولم يكن متوضئًا، فالعيب في الإمام لا في الإمامة!

فلا هؤلاء ولا بسلامتهم عشاق الفبركة التاريخية ودراويش التاريخ الوهمي يجهلون الحقيقة وإنما هم يغالطون ويكذبون ويقبضون ولا يصدقهم الناس.

راجعني الأديب الليبي د. محمد أحمد وريث فكتب يقول: أعجبتني جدًّا تخريجاتكم التي أرجعتم فيها ببعض الكلمات العامية إلى أصولها الفصحى.. وإن لي كتابًا سوف يصدر قريبًا بعنوان «العامية الليبية وجذورها في الفصحى في لهجتي اليمن والأندلس».. وفي جميع تخريجاتكم تؤيدكم فيها المعاجم والقواميس إلا أنني لا أتفق معكم في الفعل (يصطفلوا) وذهابكم إلى أنه يعني اتفقوا.. ابحثوا لكم عن حل.. ولكن أنا أعيده إلى مقولة مشهورة تنسب إلى معاوية بن أبي سفيان عندما صار خليفة، وقد وجهها إلى ملك الروم مهددًا: لأنزعن مملكتك نزع (الاصطفلينة)؛ أي نزع الجزرة من الأرض.. وهذا التعبير منتشر في بلاد الشام.. والمعنى أن هؤلاء الناس إن لم يفعلوا كذا وكذا فسوف ينزعهم من جذورهم فلا يبقى لهم أثر. انتهى كلام الأستاذ وريث. وكلمة «اصطفلينة» غير معروفة في مصر، والمعنى المقصود من كلمة «اصطفلوا» عندنا في مصر ليس أن يقتلع أحدنا الآخر.. وإنما المعنى: أن نتفق أو أن نصل إلى قرار.. أو يجيء من يقوم بدور السفير من أجل التقارب.. وفي العربية الفصحى: إن الناس قد استسفروني.. أي جعلوني سفيرًا.. ويمكن نطقها استفروني واصطفروني أو اصطفلوني.. ولا يمكن أن يكون الأصل هو الجزرة واقتلاعها من الأرض! أما د. الأمين السروي دوجينو من باكستان فيرى أن هذه الكلمة من اللغة الأردية.. ومعناها أن تحتضن أحدًا بعد غياب طويل..

أي أن تحتضنه بقوة.. والمعنى ليس بعيدًا عن العامية المصرية التي ترى أن الكلمة دعوة إلى الاتفاق والوفاق، لا أن (يجزر) أحدنا الآخر كما يريدنا الأستاذ وريث.

وليس غريبًا على العامية أن نحذف حروفًا ونضيف حروفًا وأن نجعل السين صادًا والميم نونًا.. فهي أكثر حيوية ومرونة من الفصحى.. وقد صادفت كلمات كثيرة يمكن إرجاعها إلى اللغة الألمانية.. وربما كان السبب هو الشكل والصوت.. ثم اكتشفت أنها مجرد مصادفة.. والله أعلم!

مـاذا جرى في الدنيا؟ في وقت واحد نشرت المجلات العلمية والصحف اليومية: أن الشاي الأخضر فيه شفاء من كل داء.. أو من أخطر الأمراض. بما فيها السرطان. وإن لم يكن السرطان فنوع منه.. أو مرض جلدي من الممكن أن يؤدي إلى الإصابة به.

ولأن الذين يكتبون ويتحدثون من العلماء فإن أحدًا لم يحلف على المصحف أو الإنجيل أو يقول عليَّ الطلاق بالثلاثة إن الشاي الأخضر هو أكسير الحياة!

ولا أجد سببًا لهذه الفورة في كل الصحف. فلا ظهر نوع جديد من الشاي، ولا وقف حال الشاي فلم يعد أحد يقبل عليه فلجأت شركات الشاي إلى استشارة أو استثارة الكيميائيين في الدنيا ليقوموا بهذه الزفة الإعلانية!

سألت الذين يعلمون قالوا: إن عددًا كبيرًا من العلماء قد اكتشفوا فوائد جديدة للشاي الأخضر في علاج وإنعاش البشرة وتجديد الأنسجة والوقاية من الروماتيزم وأوجاع المفاصل. وأخطر من ذلك مرض المناعة الذاتية التي تنهض دون سبب واضح فتهاجم جسم صاحبها ويقضي على كثير من الحيوية. هنا تظهر قوة الشاي الأخضر! ومرض المناعة الذاتية يصيب نسبة عالية من الشيوخ في أمريكا وأوروبا، ونسبة ضئيلة في الصين واليابان؛ لأنهم يشربون

الشاي الأخضر! وفي دراسة للكيميائي الياباني لي لورتس من جامعة طوكيو: أنه لاحظ أن الطلبة في أثناء الامتحانات لا يشربون الشاي الأخضر. فهم في حاجة إلى منبهات قوية. يقول العالم الياباني: بل شرب الشاي الأخضر أيام الامتحانات هو الوقت المناسب. فالجسم في حاجة إلى تقوية ودعم وإلى مساندة للكريات البيضاء في الدم. ثم إنه في نفس الوقت ينشط الذاكرة ويشفي من الأرق والصداع..

النجاح يعدي. فـلأن د. محمد غنيم قد نجح في عـلاج الكلى وزراعتها، وأصبحت له شهرة عالمية، فكل العلماء يحاولون أيضًا أن ينجحوا مصريًّا وعالميًّا لأن نموذجًا رفيعًا قد تحقق أمامهم..

ففي مجال زراعة الكبد نجح عالميًّا د. فاروق عزت.. ود. جمال شيحة يتهيأ لإنشاء مركز للكبد في شربين. ود. فتحي البطوطي سوف يقيم مركزًا متكاملاً للاستشفاء والتأهيل بجمصة. وما يفعله السيد ممدوح فودة عضو مجلس الشعب لأبناء الدقهلية نموذج لما يجب أن يكون عليه نواب الشعب وكل المواطنين أيضًا. أحلامنا: أن تكون المنصورة هي العاصمة العلاجية لمصر.. ولا شيء يفوق النجاح إلا النجاح نفسه. ولا شيء أقوى من الدعاية التي يحققها النجاح..

وأكثر نجوم المسرح من الدقهلية وأكثر الشعراء والأدباء والفلاسفة أيضًا.. وكلها نماذج حية وحقيقية لأناس خرجوا من أعماق الريف، وغزوا المدن وتسلطنوا على عروش الفنون والعلوم. وأن تحصل جامعة المنصورة على أكثر الجوائز العلمية.. كل هذا يغري ويدفع كل مجتهد إلى أن يكون شيئًا في بلده وفي العالم أيضًا. فلم يعد مثل هذا النجاح حلمًا بعيدًا وإنما هو حقيقة. ولا نهاية لتقدم بلد يرى أن النجاح ممكن وأن التفوق ممكن أيضًا. فطريق النجاح مرصوف ناعم مضيء. وقد سار فيه كثيرون. فهو آمن مأمون. ويوم

فكرت الدولة في عمل مدرسة للمتفوقين كان الهدف هو خلق جو تنافسي لا يرضى بما دون القمم.. وفي التاريخ أن فنانًا إيطاليًّا زار النمسا ثم زار ألمانيا فوجد أن عدد الموسيقيين في دولة واحدة أضعاف عددهم في كل الدول الأوروبية. فتساءل: كيف الحياة وسط هذه الأضواء الباهرة؟ فكان الجواب: كالحياة فوق جبل الأوليمب حيث كان آلهة الإغريق.. ينتقل فيها الإنسان إلى سماوات الآلهة حاني الرأس متواضعًا!

الحمــص: حــرام!

هناك حروب شهيرة في التاريخ: حرب الملح بزعامة غاندي ضد الإنجليز.. وحرب الأفيون في الصين..

وفي إسرائيل الآن حرب الحمص. ليست نكتة وإنما هي حقيقة. فعلى الرغم من التفوق الإسرائيلي في العلوم ففي دينهم خرافات ومخرفون. وهؤلاء المخرفون هم من رجال الدين. فقد نشرت صحيفة (يديعوت أحرونوت) مقالاً للكاتب الشيوعي يهودا ليتاني عن الحاخام موردخاي إلياهو الذي يحرم أكل الحمص وكل مشتقات الحمص: الطحينة والحلاوة. وكل طعام مأخوذ من السمسم أيضًا لماذا؟ لأن هذه البذور قد زرعت وحصدت في أرض غير يهودية وبأيدي عرب مسلمين..

والحمص والسمسم من البقوليات الموجودة من ألوف السنين. ولم يكن محرمًا على اليهود قديمًا. ومن العجيب أنه بعد حرب يونيو 1967 واحتلال اليهود القدس وجدوه في المطاعم الفلسطينية فأقبلوا عليه وأدمنوه.. وهو الشيء الوحيد الذي اتفقوا عليه مع الأعداء. ولا تخلو ثلاجة أو مائدة يهودية من سلطة الطحينة ومن زيت السمسم أيضًا. بل إن هناك تنافسًا بين المطاعم في صناعة الطحينة. وكل واحد يدعي أنه اهتدى إلى الخلطة السحرية التي تجعله فريدًا في لونه وفي طعمه. وأصبحت المطاعم تتنافس في إبداع سلطة الطحينة اللي هي...

ويقول الكاتب إن بعض المطاعم تطلب من زبائنها ألا يذيعوا سر هذه الخلطة التي قد أعطيت له بصفة خاصة. بل إن المطاعم اليهودية تبعث بالطحينة إلى يهود في أمريكا. ولا تخلو شنطة عائدة إلى أمريكا من بطرمان من الطحينة ذات الخلطة السحرية!

وقد أفتى الحاخام عوفيديا يوسف بأن الذي قاله الحاخام موردخاي إلياهو تخريف في تخريف ويجب ألا يأخذ أحد به.. وحتى إذا لم تصدر فتوى مضادة فإن أحدًا في إسرائيل لن يتوقف عن تناول كل مشتقات الحمص والسمسم التي زرعها وطحنها عرب يسددون الرصاص إلى صدور اليهود، فقد أصبح طعامًا قوميًا.. ولم يستطع أحد أن يكف عن تناوله إلا هذا الحاخام!

سفيـر مثقـف جـدًا

تلقيت خطابًا رقيقًا من السفير د. إيهاب الشريف.. واتصلت به في سفارتنا في تل أبيب، وكانت مناقشة في الأدب والفلسفة، وانتهت المكالمة الطويلة وعاود الاتصال فقلت له إن الذي يتنصت على هذه المكالمة سوف يتخيل أن الأسماء التي ذكرناها كلمات شيفرية، فليس معقولاً أن يتحدث كاتب مع دبلوماسي دون أن تكون هناك أسباب استخباراتية، وسوف يذهب بهذه الأسماء إلى رؤسائه يسأل عن هذه الكلمات: هيدجر وسارتر وديكارت وطوق اليمامة والمقابسات والمقامات والخطط التوفيقية وتخليص الإبريز.. هل لها أي معنى؟

ولكن هذا ما حدث فقد كانت المكالمات الثلاث تحوي مثل هذه الأسماء، فلدى السفير الشهيد أفكار في الفلسفة السياسية ولديه مشروع تأليف كتاب وقرر أن يناقشه عندما يعود إلى القاهرة، وعاد ولم نلتق، انشغلنا، وعلمت من سكرتيري أنه جاء إلى مكتبي عندما كنت في إيطاليا وقد نسي أن يبلغني بذلك.

ومن الحديث معه أيقنت أنه رجل مثقف، وأنه مهموم بتأليف كتاب عن تجربته في إسرائيل، وأنه سجل بعض الملاحظات، فهو بذلك يختلف عن سعد مرتضى أول سفير لنا في إسرائيل، فقد ألف كتابًا عن الأحزاب السياسية والدينية في إسرائيل، وهو كتاب

لا يهمهم، فكأنه ألفه عنهم حتى لا يقرأوه! ولا يهمنا أيضًا، فسعد مرتضى كـان أول مصري رأى وسمع وعاش وعايش ما لم نكن نعرف، فكان الشاهد اللي ما شافش حاجة.. أما الرجل الذي شهد وشاهد فلم يمهلوه حتى يرى فقتلوه -أليس غريبًا أن يخرج سالمًا من تل أبيب لتغتاله بغداد؟!

واغتيال السفير الشهيد ليس سرًّا واحدًا.. وإنما أسرار.. من قتله؟ ولماذا؟ وهل قتلوه فعلاً؟ وأين جثمانه؟ وهل عذبوه؟

إسرائيل تخشى أن يكونوا قد عذبوه حتى يحكي ما رأى وما عرف في إسرائيل.. وهل من المنطق أن تبعث به مصر إلى جلاديه؟ ثم ما الذي تفعله مصر الآن؟.. ثم ما هذا الذي يقال رسميًّا في العراق؟ إن لم يكن مباركة لقاتليه، فأي معنى وأي هدف؟! مأساة -أكثر من مأساة..

لم يسـأل مسئـول

قال لي وفهمت.. قال لي د. محمد جودة بعد انهيار البيت على زوجته وأولاده.. وكان حزينًا، وفهمت ما قال وهزني.. وقال لي: إن أحدًا من المسئولين لم يقل له: البقاء في حياتك أو يمد له يده للتعزية أو المعونة. وفهمت من اضطرابه وقلقه أن المسئولين عنده هم: الأساتذة والعمداء والمديرون والوزراء، وأحزنني ذلك، ولكنه كان يقصد أن المسئولين: هم شيخ الحارة ورئيس الحي ومجلس المدينة والمحافظ! وقال: إن زملاءه أساتذة الجامعة من الجنوب والشمال قد حضروا إليه في أتوبيسات.. وكانت جنازة طويلة من جامعات جنوب الوادي حتى الإسكندرية..

وقال وعذرته فحالته النفسية مضطربة.. فقد أصابه زلزال عائلي ونفسي. ولا يعرف لنفسه علاجًا ولا شفاء. وإذا كان أساتذة الجامعة قد خففوا عنه، فإنه كان يريد من المسئولين أيضًا أن يفعلوا شيئًا، إن د. جودة طماع، أو إنه اغترب كثيرًا وابتعد طويلاً ونسي أننا نحن المصريين ننسى بعد حين. وأن ما حدث يكفيه جدًا، وأن الذي حدث شيء غير تقليدي، فقد اعتاد المصريون على الفرجة.. على أوجاع الجار وآلام الناس وكأنهم لا رأوا ولا سمعوا.. بلادة؟ لا مبالاة؟ اللي فينا مكفينا؟ نعم..

وأنتهز هذه الفرصة لألتفت إلى الصديق د. عبد المنعم حسين الجداوي الذي ماتت زوجته وقتل ابنه تحت عجلات اللوري وسقط مغشيًا عليه في الطريق فلا سأل عنه أخ ولا أخت ولا خالة ولا عمة.. ويدهشني جدًّا أنه مصدوم في أهله.. بل الطبيعي ألا يسأل أحد وإذا كان لم يتعود على ذلك من قبل، فهذه فرصته!

بعد وليمة فخمة للملك الحسن، خرجنا إلـى الحدائق الجميلة ونزلنا تحت حمام السباحة في طريقنا إلى سياراتنا، عندما اقتربت من الرئيس السـادات وقلت: شايـف الملك يا ريــس.. مـش كشـك الموسيقى بالقناطر الذي تقيم فيه يا ريس!

فإذا بالرئيس يقول لي مستنكرًا: يا أخي أنا مبسوط كده.. إنت عاوز تنكد على حياتي ليه يا أنيس.. أنا راضي يا أخي.. ومع ذلك فالناس بتقول إن السادات عنده قصر في القناطر وقصر بمرجيحة كمان هاهاها مع أن المرجيحة موجودة في كل حديقة وفي مدارس الأطفال عشرات مثلها وأحسن منها.

ومرة أخرى على العشاء لاحظت أن الرئيس السادات يأكل قطعًا من العيش عليها جبنة.. وقطعة لحمة صغيرة وكثير من الصلصة. قلت له: هو ده يا ريس آخر صبرك.. كل الدوخة في حياتك علشان الكام لقمة دي..

يا أخي إنت غلبتني.. يا سيدي أنا مبسوط.. وما أقدرش آكل ديك رومـي ولا خـروف كل يـوم.. الله يا أخـي أنـا مبسوط كده.. إيـه اللي مضايقك إنت.. مش عاجبك أكلي روح اتعشى في هيلتون..

يا أخي بلاش تاكل معايا..

وسكت طويلاً. ثـم عـاد يقـول: إحنا كنــا بنقـول إيـه.. إنـت ماكملتش حكاية السفير اللي جالك.. هوه بطرس غالي كان راكبه

عفريت علشان السفير جه بأمر مني مش بأمر من بطرس.. آه.. قال لك إيه..

كأنني ما قلت شيئًا. وكأنني لم أكن جادًّا. فلا يهم السادات ماذا يأكل ولا ماذا يقول عنه الناس.. فحوله من رجال الأمن مئات، تعرف ماذا أكل وماذا شرب، ومن الذي أهداهم قمصانه وكرافتاته.

لم يعش أنور السادات ليحول مثل هذه المرجيحة إلى جاكوزي كما فعل أناس أصغر منه كثيرًا.

لم أستطع أن أتوقف عن قراءة كتاب عن حرب جزر فوكلاند –وهي جزر تملكها بريطانيا في أقصى جنوب المحيط الأطلسي في مواجهة الأرجنتين.. وفي الحرب العالمية الأولى دارت معركة بين الأسطولين البريطاني والألماني. غرقت فيها بوارج من الطرفين.. وانتصرت بريطانيا.. واستأنفت هذه الحرب في إبريل سنة 1982 وكانت مع قوات الأرجنتين التي ترى أن هذه الجزر من حقها.. وحاولت بريطانيا أن تقنع سكان الجزر (ألفا نسمة) بأن يتفاوضوا بدلاً من الحرب. فهي ترى أن الدفاع عنهم صعب جدًا. فالجزر تبعد عن بريطانيا ثمانية آلاف كيلو متر، ولكن الشعب الصغير مصر على أن يدافع عن أرضه.. ومن السهل أن تغزوها الأرجنتين وأن تستولي عليها، وهذا ما حدث. وكان لابد لمرجريت تاتشر من أن تحارب. وحاربت وانتصرت. ساعدها الرئيس ريجان عن طريق الأقمار الصناعية. ولكن الأرجنتين استخدمت صواريخ فرنسية اسمها (أكزوسيه)- أي السمك النطاط.. وأغرقت ثلاث بوارج بريطانية.. وسافرت مرجريت تاتشر إلى باريس للقاء ميتران ليساعدها ضد الصواريخ الفرنسية. فأعطاها. وانتصرت تاتشر واستسلم 15 ألف جندي أرجنتيني بعد شهرين من القتال.. ونجحت تاتشر في الانتخابات..

ويرغم أن هذه الحرب من أولها لآخرها لا تهمني في الدرجة الأولى. ولكن الأسلوب في كتابة التاريخ الرسمي لهذه المعركة هو

الذي أعجبني. بهرني. سرقني من كل مشاكلي وهمومي وما يجب أن أقرأ وأن أكتب. أما حزني العميق على أنفسنا فقد دخلنا وخرجنا من حروب خمس مع إسرائيل. فلا كتبنا ولا سجلنا ولا قلنا ولا رددنا ولا دافعنا ولا هاجمنا ولا استفدنا ولا أفدنا. بالذمة المعنى إيه؟ هل لم ندخل حربًا؟ هل لم يكن لنا ألوف الضحايا في اليمن وفي القتال وعلى أرض سيناء ذهابًا وإيابًا؟ هل كنا جادين؟ هل مئات الألوف من الضحايا ولا حاجة.. وألوف ملايين الدولارات كانت ملاليم أو أوراقًا مزورة؟ هل تاريخنا لا يهم أحدًا؟!

أقـــــذر بحيـــــرة!

جاءني من د. م. عبد الملك محمد العصفوري رئيس الجمعية المصرية لتطوير التعبئة والتغليف، التقرير الختامي للجمعية الذي انعقد في بورسعيد.. وكان موضوعه الرئيسي هو الحرص على سلامة البحر المتوسط الذي يعيش عليه 800 مليون نسمة، ومن المعروف أن البحر المتوسط هو أقذر بحيرة مغلقة على كوكب الأرض، ففيه تصب السفن والناقلات نفاياتها ومخلفاتها، وبعض العلماء يتساءل لماذا نأكل أسماك البحر الأبيض رغم التلوث الشنيع.

وكان التقرير غامضًا؛ ولذلك أرجو أن يبعث لي الدكتور العصفوري بتقرير مفصل. فقد جاءت في الفقرة السابعة هذه العبارة: استصدار تشريع للمنظومات المتكاملة للتعبئة والتغليف والذي يحد من إهدار الموارد والطاقات. ويحض على حماية المستهلك وحماية السلع وحماية البيئة وحماية الاقتصاد القومي من خلال التجفيف وتكرار الاستخدام وإعادة التدوير والتخلص الآمن من المخلفات – إديني عقلك وقل لي ما معنى هذه الطلاسم؟!

كان من واجب هذه الهيئة بدلاً من إنقاذ البحر المتوسط من التلوث الأوروبي، أن ينقذوا الطفل المصري من عروس المولد ومن الورق المفضض الملون الذي نضع فيه الحلوى بكل أنواعها؛ لأن هذا الورق الملون لا يقل خطورة عن (اللعلي) الذي نضعه في عروسة

المولد.. إذا كان موت الأسماك في البحر المتوسط يشغلهم إلى هذه الدرجة، فكيف لا تشغلهم بحيرات مصر التي تموت بسبب المبيدات والمخصبات.. ويموت قبلها أو بعدها مواطنون مساكين.. حياتهم وموتهم أهم كثيرًا جدًّا من اصفرار لون سكان مرسيليا واحمرار عيون سكان جنوه!

عــروس المولــد!

لا أعرف كم عدد المرات التي حذرت فيها من اللون المستخدم في عروس المولد. فنحن نسرف في استخدام اللون ليلفت عيون الأطفال وفي نفس الوقت يصيبهم بالسرطان. هذه حقيقة مؤكدة ولكن أحدًا لا يفعل شيئًا، لا وزارة الصحة ولا التربية والتعليم ولا الشئون الاجتماعية ولا الداخلية ولا حتى الصحف التي تشغل نفسها بكثير من التفاهات.. أما في أوروبا فقد أصدر البرلمان الأوروبي بالإجماع تحذيرًا مما يحدث للأطفال من اللعب التي يضعونها في أفواههم فهناك مادة بثاليت التي تجعل هذه اللعب ناعمة، هذه المادة تسبب السرطان، وهذه المادة مستخدمة أيضًا في كثير من المنتجات والدهانات للأرض والجدران والبخاخات. وهناك ستة أنواع من هذه المادة وكلها قاتلة. إن أحدًا لن يموت مختنقًا إذا أسرف في تناول هذه الأدوات، ولكن من المؤكد أن الموت بطيء.. وأنه يجيء في الدم سرطانًا لا شك في ذلك وقرر البرلمان الأوروبـي أيضًا أن يبعث بنصائحه الطبية.. وقد قامت جامعة روشتسر في نيويورك بدراسة إضافية عن أثر مـادة بثاليت في العقم فقد جربتها على بعض الحيوانات وأدت المادة إلى تشوهات في الأعضاء التناسلية. ثم انتهت بالعقم.. ولقد لفتت الجامعة بصورة مؤكدة الأضرار التي تصيب المرأة بسبب استخدام طلاء الأظافر والصبغة ومزيلات العرق.. وشرحت الدراسة أن بعض الشركات الأوروبية والأمريكية قامت

بتجارب إجرامية على أطفال إفريقيا وآسيا. وتأكدت من أن الألوان المستخدمة قد أدت إلى ظهور سرطانات جلدية ولا أعرف ما الذي يمكن أن يقال أكثر من هذه الدراسات العلمية العالمية، حتى نقتنع بأن نفعل شيئًا للأطفال الذين لا نعرف ما أصابهم إلا في مرحلة متأخرة. أما مرضنا نحن فهو مرض وبيل.. مرض اللامبالاة وهز الكتفين مع إخراج اللسان.. وقل يا باسط!

مأســـاة أستـــاذ

كلمني د. محمد جودة فأحزنني عليه. وكلمت صديقي مفيد فوزي فأظهره في برنامجه الشهير (حديث المدينة). إنه أستاذ جامعي متخصص في الحضارة الرومانية والإغريقية. وقد ترك زوجته وأولاده في بيت حماته لينهار البيت ويقضي على الجميع، مأساة. ولم يقل له أحد: البقية في حياتك.. لا من مصر كلها ولا من الإسكندرية ولا من زملائه الأساتذة في جامعات الصعيد ولا من بلدته الإسكندرية. وكأن الذي سقط بين الأنقاض مجموعة من الحجارة. وإنما انهالت عليه البرقيات الحزينة من الجامعات الأوروبية والأمريكية.

وسقطت بيوت أخرى في الإسكندرية وسوف تسقط في كل مكان مادام أصحاب البيوت يقدمون الرشاوى ويجدون من يسارع إلى خطفها لتنهدم البيوت على رءوس أصحابها وسكانها.. فليست البيوت هي التي تنهار وإنما القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية.. وليس انهيار البيوت إلا انهيارًا للذمم والقانون.. وليس إلا استعدادًا لقتل الأبرياء بأي ثمن. وبرغم ما أصاب د. محمد جودة فإنه على استعداد لتنفيذ مشروعه في إحياء منطقة (أبو صوير) الذي كان من أهم مراكز الحياة والثقافات القديمة. وبرغم مأساته الموجعة، فإنه على استعداد لأن يستأنف حماسه الشديد لجعل هذه المنطقة مثل الأكروبول في أثينا.. إنه فقد الكثير جدًّا. ولا أمل في أن يسترد ما راح.

ولكن ولا كلمة ولا برقية من أي أحد.. لا من الجامعة التي يعمل فيها ولا الجامعة التي تخرج فيها.. وإنما من الجامعات الأوروبية والأمريكية.

إن هذه خسارة أخرى تضاف إلى خسارته تحت الأنقاض.. لقد نسينا المثل الشعبي القائل: الحي أبقى من الميت. وبرغم أن الرجل حي يرزق ويستاهل الكلمة الحلوة التي تجفف دموعه، فإن كل الناس يرون أنه تحت الأنقاض.. أماتوه حتى لا يقولوا له كلمة لا تكلف أحدًا شيئًا من المال أو الجهد.

أقذر عاصمة!

أقول لك حاجة مؤلمة لنا جميعًا: القاهرة أقذر عاصمة عربية، إنها إهانة، ولكنها حقيقة. أرني شارعًا واحدًا في مصر كلها ناعمًا نظيفًا.. أرني رصيفًا واحدًا.. ميدانًا.. بالوعة مياه.. أما الأسباب فكثيرة لا تقل عن أسباب الفساد الإداري والخلل السياسي والتمزق والتشرذم واليأس واللامبالاة..

وأنا لم أضف لك جديدًا. ولكن أنا رأيت معظم العواصم الأوروبية والأمريكية والآسيوية والإفريقية. وأستطيع أن أقول إن القاهرة الصغرى والكبرى قذرة جدًا. هل أضرب لك مثلاً؟ طبعًا لا.. فأنت تعيش وتمشي وتتعثر وتتخبط في شوارع كثيرة، ربما كانت المدن الجديدة.. مثل العاشر من رمضان، هذه المدينة كأنها في أمريكا.. أو كأنها سقطت من السماء واستقرت في الصحراء. الشوارع والحدائق والبيوت. كيف؟ ما الذي فعلوه؟ ما هي النظرية التي طبقوها واستحال علينا أن نطبقها في مصرنا القديمة؟ ولكن المهم: أن النظام والنظافة وراحة العين والأذن والهواء النقي، كل ذلك أصبح ممكنًا!

قيل: إن الحكومة سوف تتقاضى تسعة جنيهات شهريًّا من كل شقة مسكونة أو مملوكة، وإن الحكومة أرسلت محصلين –يخيرونك بين أن تدفع شهرًا بشهر أو كل السنة مرة واحدة. والمحصل لا يأخذ شيكات ولا كروتًا بنكية. ثم إنه يقدم لك وصلاً على ورق أحمر هزيل،

والحروف والأرقام ليست واضحة، فكأنك لم تدفع! والموظف لا حيلة له.. فهو ليس مثل محصل الموبايل الذي معه جهاز تحصيل إلكتروني..

وسوف تعرف بعد أيام أو أسابيع أنهم سرقوك.. فلم تقم ولن تقوم الدولة بما يقابل هذا المبلغ من نظافة الشارع والحارة. وإذا فعلت فلعدة أيام. وكان الله يحب المحسنين. والمحسنون هم المواطنون والمسيئون هم موظفو الإدارة.. وتبقى الشوارع قذرة كما كانت!

حركـــت مواجعـــي!

طرح بيل جيتس المليونير الأمريكي صاحب شركة مايكروسوفت عددًا من الأسئلة حول تطوير العلاج. بما يتناسب وإمكانات وظروف المعيشة في البلدان الفقيرة. وناشد المهتمين من العلماء، والجامعات والمراكز العلمية المتخصصة حول العالم أن يبحثوا عن إجابات لها. وقد استوقفني سؤال عن إمكانية الاستبدال بالأمصال المستخدمة حاليًا في علاج الملاريا، ومرض الإيدز، وتحتاج إلى أدوات للحقن، ودرجة حرارة معينة للحفظ، ومستوى وعي صحي في التداول والمناولة – أمصالاً أخرى ليست في حاجة إلى كل ذلك، ويمكن تعاطيها عن طريق الفم بقليل من الماء.. وأجاب العلماء وتقدم أكثر من 1500 بمشروعاتهم.

وأعلن بيل جيتس بالأمس تمويل 43 منها وحرر لأصحابها شيكات بلغت جملتها 436 مليون دولار، كل ده حصل خلال سنتين، وقليلون قد سمعوا عن كل ذلك لأنه لم ينشر في الصفحات الأولى ولم تصاحبه زفة أو طبول ولم تشكل له لجان ولجان منبثقة.

محمـــد برعـــــي

مصري مقيم في أمريكا

– يا أخي إنت حركت مواجعي.. ليس لموقف بيل جيتس ومواقفه الإنسانية العظيمة وإنما لأنه لم يطلب شكرًا ولا امتنانًا من

أحد. ثم إن أحدًا لم يزفه للإنسانية في الصحف والإذاعة والتليفزيون. أما عندنا فنكتب مثل هذه العبارات عند كل مشروع: من أجل مصر رصفنا الشارع كيلو مترًا وجاء رئيس الوزراء يمشي فيه.. بينما في السعودية وجدنا عشرات ألوف الكيلو مترات الحريرية ولم يفتتحها مسئول واحد.. وأنا لا يغيظني إلا أن يقال إن كل هذا من أجل مصر! وإنما من أجلك أنت لأنك يجب أن تعمل. وإذا لم تعمل فأنت تموت من الجوع.

هــرم المفكريــن

في يومين متاليين مناقشات لنفس الموضوعات: الحرية ومزيد من الحرية وكثير من الالتزام، ففي صحيفة الأهرام اجتمع الأستاذ أسامة سرايا رئيس التحرير بالمفكرين العاملين في الأهرام، وكانت كلها مناقشات وطرح هموم ومخاوف وآمال عريضة وتطلعات إلى إنجازها، وهي هموم المفكرين ببلدهم وبالمهنة والحرية الفكرية، وفي اليوم التالي انعقد المجلس الأعلى للثقافة، وكانت المناقشات حول نفس الهموم مع تعمق الشعور بالالتزام أمام الشعب بأن يفعل شيئًا من أجله ومن أجلنا أيضًا.

والأسباب واحدة: أننا مهمومون بحالنا وبلدنا، وأننا أمام الخوف من الفوضى والتفكك وأنه في مواجهة كل ذلك يجب أن نتماسك وأن نتحد وأن نتفق وأن ندفع عن عقولنا الخرافات وعن نفوسنا الخوف وعن أقلامنا القيود، وأن هذا واجب والتزام.

وفي (أكسفورد اليوم وغدًا) انعقد مؤتمر المفكرين والمبدعين في كل الفنون ولهم نفس الهموم، وهي هموم لأنها أمانة، وهي أمانة لأنها التزام الكاتب والفنان أمام نفسه وضميره وشعبه، وأن الخطر يهدد الدنيا كلها، والخوف يأكل الحرية، وأول ما يأكل الفكر والحقيقة والإبداع، ونحن خائفون من طغيان أنفسنا علينا، فالقهر منا والظلم فينا، ولا خلاص لنا من أنفسنا إلا بأنفسنا.. إنها دعوات

صادقة نبيلة رفيعة المستوى لإنقاذ شعوبنا من الخرافات ومن الجنون الديني والسياسي الذي يجعل الإنسان حيوانًا له أنياب وأظافر. والشاعر العربي القديم يقول: في الليلة الظلماء يفتقد البدر.. وليلنا في حاجة إلى قمر ونهارنا في حاجة إلى شمس.. ونحن في حاجة إلى طريق وإلى هدف، والمفكرون هم البدور والشموس ومصممو الأهداف ومعبدو الطرق، والويل لشعب يفتش عن عقوله فلا يجدها، فهل وجدها شعبنا؟ هل أفلح المفكرون في أن يضيئوا لهدايتنا إلى سواء السبيل؟ الجواب: ليس بعد!

أعجبتني قصة سمعتها من د. فايزة أبو النجا وزيرة التعاون الدولي. عادت من اليابان مبهورة -وقد أصابنا ما أصابها من إعجاب باهر بالشعب الياباني. تقول إنها استمعت إلى أحد رجال الأعمال الكبار. قال إنه يعمل في هذه الشركة من أربعين عامًا. كان بائعًا متجولاً. أصعب مهمة في حياته. في ذلك الوقت لم يكن لليابان مثل سمعتها الرائعة اليوم. كان الناس يرفضون السلعة اليابانية.. لأنهم لا يثقون فيها ولأنهم لا يحبون اليابان. فالبائع المتجول يحارب في جبهتين: جبهة السلعة وجبهة السمعة.. لم يزهق.. لم ييأس ولا هو ولا ألوف غيره. وكانوا يتركون السلعة عند الناس قائلين: إنها هدية لك. جربها فإذا لم تعجبك فألق بها في الزبالة.

مشوار طويل قطعه هذا الرجل وهو يخوض في بحار من سوء السمعة والكراهية. لم ييأس. بدأ الناس يتحدثون عن السلعة اليابانية التي وقفت إلى جوار سلع أخرى. ومضت اليابان تطور منتجاتها وتضعها أمام أعين المستهلكين في القارات الخمس. وأعظم ما قدمته حكومة اليابان للشركات أنها كانت تنقل كل هذه السلع مجانًا. وظل الياباني يعيش حياة مزدوجة، فهو في بيته في القرنين الثاني عشر، وفي مصنعه في القرن العشرين والحادي والعشرين.

سألته د. فايزة أبو النجا: وما الذي جعل اليابانيين بهذه البراعة؟ وكان الجواب عجيبًا. قال: في البَدْءِ كانت الولاعة! فمن عادة

الياباني أن يلعب بأصابعه. كل شيء يمسكه يقلبه ويفككه ويتأمله ويعيده إلى ما كان عليه.. فقد أمسك الولاعة وفكها وربطها.. وعرف مم تتكون. وكيف تكون أصغر وأرخص وأجمل؟ وخرجت من اليابان ما لانهاية له من أشكال وألوان وأحجام وأسعار الولاعات..وما لا عدد له من السلع الأخرى! طبعًا ليست الولاعةهي السبب، وإنما هي العقلية اليابانية والحرفنة والإصرار لا على النجاح ولا على المنافسة وإنما على التفوق. ونحن نعرف إذا كانت النتيجة في كل فترينات الصناعات في كل الدنيا.. أكثر ما في الفترينة صناعات يابانية.. والبداية كانت الولاعة!

عمل عنيف..

ليس كل عمل عنيف إرهابًا سياسيًّا. ولكن كل إرهاب سياسي هو عمل عنيف.. فاغتصاب فتاة أو قتل عجوز وسرقة فلوسها: قتل عنيف ولكنه ليس إرهابًا؛ لأن الإرهاب هو عنف جماعة ضد جماعة. وكل أشكال العنف مشروعة في كل الدساتير القديمة.. وتطورات أشكال وأدوات العنف وأهدافه من أيام الكهف إلى أيام السجون الإلكترونية.. والسفاحون المشاهير هم روبسبيير وباكونين ولينين وستالين وهتلر وصدام حسين..

أما الإرهاب الديني فقد عرفته أوروبا في العصور الوسطى: إرهاب الكاثوليك لغيرهم من أتباع المذاهب المسيحية الأخرى والمسلمين واليهود. وكان شعار محاكم التفتيش: تعذيب الكفرة من أجل مجد الله. وكان المفتش الأعظم توركيمادا قد أغرق وأحرق ألفي بريء.

وكما أن البراكين هي احتباس لدخان النار في الأرض حتى تجد له مخرجًا في قشرة الأرض فتزلزلها وتدفع بالحمم في السماء، فكذلك موجات الإرهاب.

وفي زماننا في القرن الماضي وهذا القرن كل أشكال العنف والإرهاب الديني والعرقي والدولي.. وإذا كان شكل الإرهاب واحدًا، فالأسباب عديدة، وليس بن لادن إلا توركيمادا القرن العشرين.

والشر كالعنف في دم الإنسان. وفي مسرحية (الحمير) للروائي الروماني باولوس جاءت هذه العبارة البليغة: الإنسان للإنسان ذئب!

وفي فيلم (الكتاب المقدس) نرى الدم الذي يسيل من الأخوين قابيل وهابيل قد نزل في الماء.. والماء يتدفق في الأنهار والوديان يروي النبات والحيوان والإنسان. والمعنى: أن دم الأخوين القاتل والقتيل يجري في دمائنا. فنحن أحفاد القتلة والسفاحين. فهل معنى ذلك أنه لا نهاية للعنف؟ الجواب: نعم.. هل معنى ذلك أن الإنسان مجرم ينتظر فرصة؟ الجواب: نعم..

فلا نهاية للإرهاب السياسي والديني والعرقي والطبقي والدولي. وأنه ما دامت فينا دماء فهناك مسدسات وخناجر. وأن القاتل يفضل أن يكون القتيل أخاه.

فهل لا أمل في أن تجف الدموع والدماء؟ يبدو أنه لا أمل.

أستاذ الشعر

أهم انتخابات في بريطانيا الآن ليست انتخابات حزب العمال برئاسة توني بلير، وتوقع فشله أمام المحافظين بعد أن أغرق بريطانيا في حرب العراق، وأكذوبة أسلحة الدمار الشامل، وأكذوبة الديمقراطية التي هي «الديمقراطية الدم» في كل مكان!

وإنما انتخاب أستاذ مادة الشعر في جامعة أكسفورد، وهي أرقى المراكز العلمية في بريطانيا، وكرسي الشعر قد تأسس 1708، وكان يتولاه رجال الدين، ثم الشعراء الكبار فقط. وبعد ذلك انفتح المجال فأصبح النقاد أيضًا، ومن حق أي خريج في جامعة أكسفورد حصل على الماجستير أن يكون له صوت في اختيار أستاذ كرسي الشعر، وعددهم 150 ألفًا في القارات الخمس.

ولم يحضر من هؤلاء إلا 513، هم الذين اختاروا أحد الأساتذة الأجلاء، بأن وضعوا علامة أمام اسمه، ثم ذهبوا جميعًا في هدوء لتناول الغداء، وبعد الغداء يقومون بفرز الأصوات. وكأنهم اختاروا بَابا الشعر، أو شاعر الشعراء، أو صاحب الجلالة ملك الشعراء. ويحدث في انتخابات أستاذ الشعر ما يحدث في كل الانتخابات، مداولات ومناورات وتربيطات، وكلها سلوكيات طبيعية، فكل واحد يريد أن يختار شاعره المفضل، أو أستاذه الجليل..

وفي هذه السنة قد انتصر الأكاديميون على الشعراء الممارسين.. فاختاروا الناقد الكبير ركسي (70 سنة) للسنوات الخمس المقبلة، ومن

واجباته أن يلقي 16 محاضرة فقط، ويتقاضى مرتبًا سنويًا قدره 4695 جنيهًا.

وهذا المنصب الأدبي الرفيع هو تكريم للأستاذ، وفي الوقت نفسه الحرص على أعظم تقاليد جامعة أكسفورد. ومن كل الوظائف البارزة في هذه الجامعة، فإن أستاذ الشعر هو أروعها وأعظمها وتاج على رأسها.

لوحـات زويكسس

كان عند الإغريق فنان اسمه زويكسس، كان يرسم لوحاته ويتعبد فيها، مثلاً رسم لوحة لعنقود عنب فجاءت العصافير تنقر العنقود، فأسعده ذلك، فلم يكن هناك فرق بين العنقود على الشجرة والعنقود على اللوحة، ورسم صورة لأم تبكي فظل هو يبكي حتى كاد يموت، ثم مات من الضحك فقد رسم لوحة لواحد يضحك من قلبه!

مات زويكسس من الضحك!

وكان شاعرنا الرقيق الساخر كامل الشناوي فنانًا كبيرًا يتفجر بالضحك، كان مفخخًا بالنكت والقفشات، وقد مات من الضحك!

ولأنني أعرف شاعرنا الرقيق بلدياتي د. عبد العزيز شرف، فلا أستبعد أن يكون قد ضحك حتى تحول جسمه من كتلة إلى شعاع في كل الاتجاهات (يرحمه الله). لقد كان مرحًا وكان لا يرى إلا الشيء الذي يبعث على الضحك من دنيانا، لا أذكر أنه كان يتباكى على شيء، وإنما كانت لديه القدرة الفريدة على أن يحول دموع الحزن إلى دموع الفرح. كيف؟ هذه مقدرته النفسية، ولا أدري كيف كان يستطيع ذلك..

أخيرًا علمت أن الرجل كان يضحك، ولكن قلبه يبكي.. كان يبكي بعضه على بعض، ووجدت أنه من الصعب أن نشغله عن ذلك.. ثم تكاثرت عليه الهموم وحاصرته وصارعها وصرعته.. وتساءلت لماذا أخفى عنا كل هذه الجبال على صدره؟ قالوا: إنه ريفي ويرى أن

الشكوى لغير الله مذلة، وقالوا أيضًا: كان في نيته أن يدعو كل أصدقائه ليلتفوا حوله ليكونوا أول المشيعين له!!

ولا جدوي من الندم، ولا حتى من البكاء عليه.. فهي نهاية كل حي يُضْحَكُ أو يُبْكَى عليه.. يقول شعرًا أو لم يسمع بالشعر.. فلا يزال الموت قاهرًا لنا.. فلا حيلة فيه ومعه ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله..

يرحمه الله..

جنــون الملاييــن

أعظم علماء الرياضيات في زماننا بريطاني اسمه ستيفن هوكنج (62 عامًا).. أصيب بالشلل التام في جهازه العصبي الحركي. ولذلك فهو مكوم على مقعد له عجلات.. ولا قدرة له على الكلام. وإنما يطلق أصواتًا. وقد استطاع أحد المخترعين أن يصنع له جهازًا يحول أصواته إلى كلام. هذا العالم الجليل المشلول تزوج وأنجب أولادًا نابهين. وطبيعي جدًّا أن يكون عصبيًّا وأن يكون سيئ الطبع، فالذي فقده من قدراته كثير جدًّا. ولم يبق إلا العقل وسهولة التعبير الجميل.. فقد أصدر كتابًا ترجم إلى كل اللغات اسمه (تاريخ موجز للزمن). وهو من أروع الكتب العلمية وأكثرها انتشارًا. فقد عاد إليه بعشرات الملايين من الجنيهات..

وتقول زوجته: إن هذه الملايين أصابته بالجنون –الجنون– هذه كلماتها هي، وقد رأت أنه مجنون لأنه طلقها وتزوج الممرضة التي كانت زوجة للرجل الذي اخترع له جهاز ترجمة الكلام.. هل هو سافل؟ ليس فريدًا بين العظماء؟

فكثير منهم في غاية السفالة. ولن أذكر أحدًا من العرب والمصريين، ولكن أذكر أكبر العلماء أينشتين، فقد كان لا يستحم شهورًا. وكان الاقتراب منه عذابًا يوميًّا. ولم يستطع أحد أن يقول له شيئًا. إنه أينشتين أحب زميلة يوغوسلافية وتزوجها وأنجب منها

ولدًا أودعه المستشفيات العقلية ولم يزره حتى مات الولد، ويقال إن هذه السيدة ساعدته في حل كثير من المعضلات الرياضية والفلكية، ويقولون لولاها ما كانت نظريته النسبية ولا أظن ذلك صحيحًا. وإنما هي كانت عالمة أيضًا. ولكن من الصعب أن يكون لها لون أو حجم إلى جوار زوجها العبقري.. وحاولت الممرضة زوجة هوكنج أن تصلح ما بين زوجها ومطلقته وأولاده الذين يعشقونه، فلم تفلح. وكانت صادقة في مسعاها. ولما حاولت الزوجة الممرضة نشر مذكراتها منعها قائلاً: عندك وقت وفلوس.. انتظريني حتى أموت قبلك، وإن كنت لا أتمنى ذلك!

أما زوجته الأولى فكتبت مذكراتها وقالت فيها: غلطتي أنني أتيت بهذه الممرضة وأدخلتها في حياتي، ثم هاجمت زوجها ونشرت نماذج من أخلاقياته السيئة وقسوته عليها وعلى أولادها.. فأرسل إليها مذكرات الممرضة لتقرأ ماذا قالت عنها هي وكيف اعترفت بفضلها وأنها منحتها شرف أن تكون خادمة للعالم الكبير!

هـــل يجـــيء!

هل يجيء يوم تحتفل فيه مصر وإسرائيل وسوريا بذكرى 6 أكتوبر سنة 1973، يوم انتصرت مصر وانكسرت إسرائيل؟

في العام المقبل تحتفل بريطانيا بمرور 200 سنة على انتصارها على فرنسا وإسبانيا في موقعة (الطرف الأغر)، وسوف تشترك إسبانيا وفرنسا بقطع من أسطوليهما في هذه الذكرى. وأمريكا أيضًا سوف تبعث بقطع حربية، ففي سنة 1805 انتصر القائد البريطاني نلسون في أكبر معركة بحْرية في التاريخ.

وقبل ذلك انتصر على نابليون في موقعة أبـي قير ـ صحيح نابليون عبقري في الحرب، ولكن ليس له خبرة وحكمة نلسون الذي ولد ومات في البحر.

وفي معركة الطرف الأغر، تواجهت 27 سفينة بريطانية مع 18 فرنسية و15 إسبانية. وتحطمت معظم السفن الفرنسية والإسبانية ووقع قائدها أسيرًا. ولم تستسلم سفينة بريطانية واحدة وبانتصار نلسون ضاع كل أمل لنابليون في غزو الجزر البريطانية، فقد كان لنابليون رأي هو أنه لا شيء يدل على غباوة الإنجليز إلا أن شواطئهم بلا حماية. وأنه لو استطاع أن يسيطر على البحر ست ساعات فقط وأنزل مائة ألف جندي لانتهت سيادة بريطانيا على البحار إلى الأبد!

أما نلسون فقال: أكره فرنسا وأمقت كل ما هو فرنسي ولا أطيق أن أسمع كلمة فرنسا أو فرنسي! وكانت قوات فرنسا وإسبانيا في هذه المعركة 2640 وقوات بريطانيا 2150 وفي هذه المعركة الفاصلة ظهرت عبقرية نلسون وضعف قادة أعدائه.. واستطاع نلسون أن يمزق القوات المتحالفة ضده وأن يحطم معظم السفن.

وقد استطاع أحد القناصة -فرنسي أو إسباني لا نعرف- أن يصيبه وأن يرديه قتيلاً.. فمات نلسون في يوم النصر في أكتوبر على ظهر سفينة (النصر)- وكذلك السادات اغتاله ضباط مصريون في عيد النصر في أكتوبر أيضًا!

مليارات البحث العلمي

هناك قائمة أخرى للمفاضلة بين الرئيس بوش ومنافسه السيناتور كيري، هذه القائمة هي التي يقيس بها العلماء كفاءة الرجلين في دفع العلم إلى الأمام في خدمة الشعب والإنسانية. هذه القائمة لا تظهر إلا سطورًا أو لا تظهر بين هذه الخطب الرنانة الطنانة في عواصم الولايات المتحدة.. وسوف تظهر على شكل رصاص وصواريخ عندما يتواجه الرجلان ويجيبان أمام الملايين في المناظرة الفاصلة في السباق إلى البيت الأبيض.

هناك سبع قضايا حيوية هي: البحث العلمي والطاقة والبيئة، وتغيرات الطقس ورحلات الفضاء والخلايا الجذعية والإبداع والمنافسة الدولية.

وأمريكا تنفق على البحث العلمي الجامعي 126 مليار دولار سنويًا. أما الهيئات والشركات الكبرى فهي تنفق على البحث العلمي أضعاف ذلك.. ولأن الضرائب هي مصدر المليارات الحكومية، فلابد من موافقة الكونجرس. وكثير من المشروعات الكبرى رفضها الكونجرس.. وتتوقف براعة الرئيس على قدرته في إقناع الكونجرس. فإنفاق المليارات على رحلات الفضاء بحثًا عن قطرة ماء جليدية أو قطعة حجر بها ميكروب، هل تساوي كل هذه المليارات؟ وهل من الضروري أن تقام مستوطنة على سطح القمر سنة 2015؟

والسياسة تسيطر على الخطب الرئاسية من أجل الأمن القومي؛ أي الدفاع عن أمريكا في العراق وأفغانستان وفلسطين والصومال والسودان وإيران.. وحل مشكلات الطاقة بإطلاق النار على الآبار.. بينما أكبر إحتياطي بترولي في الدنيا يوجد في ولاية ألاسكا تحت الجليد لكن الكونجرس اعترض على التنقيب عن البترول في هذه المنطقة.

والذي وافق عليه الرئيس كلينتون من تخفيض كمية ثاني أوكسيد الكربون المنبثق من المصانع حتى لا ترتفع درجة حرارة الأرض، قد رفضه الرئيس بوش..

ولا تزال المعركة مستمرة بين الرجلين من أجل الغرفة البيضاوية في البيت الأبيض. والمعركة تبدأ من دارفور حتى كوكب المريخ مرورًا بالفضائح الجنسية وتعاطي المخدرات للرئيس والسيناتور!

ولكنه لم ينجح قط!

كل الأسلحة في المعركة الرياسية: الرئيس بوش يقدم زوجته وابنتيه التوءم، يتحدثن عن الرئيس ومزاياه وطيبة قلبه وحرصه على أن يكون كل أمريكي سيدًا على جزء من الأرض ثم يتسلطون على الكواكب الأخرى. التقى الزعيم الإسرائيلي شمعون بيريز بابنتي الرئيس جينا وبربارا، وطلبتا نصحيته في الانتخابات، وقال لهما، وضحكت الصحف الإسرائيلية لأن بيريز لم ينجح في أية انتخابات في كل حياته!

أما ابنتا السيناتور جون كيري فانيسا وألكسندرا فقد صفقت لهما الجماهير ثم خرج الناس وقالوا: ليست هذه مسابقة جمال ولا أحسن فستان، إنها قصة الحياة هنا والموت هناك! امشي يا بنت إنت وهي!

وانسحبت الأختان، وظل المسرح خاليًا حتى يجيء من يقول للناس لماذا هذا الاجتماع ولماذا حرب العراق ومذابح أفغانستان وبعدها سوريا وإيران! لماذا، وكم تكلفت، ومن الذي سيدفع الفلوس.. وإذا توافرت الفلوس فمن الذي يدفع ضريبة الدم، ثم كل هذا من أجل ماذا، من أجل أزمة السكن في البيت الأبيض!

إن الظروف بدأت تساعد الرئيس بوش، فهو صرف نظرًا عن الشرق الأوسط وعقدة العقد السياسية: فلسطين، وعقدة العقد الرياسية: يهود أمريكا توءم يهود إسرائيل.. ثم جاءت مأساة مدرسة الموت في

جمهورية أوسيتيا الجنوبية وفضيحة الجيش الروسي الذي لا يعرف إلا القليل.. ولا يعرف إلا أن حل العقدة هو قطعها، فقطع رقاب مئات من الأبرياء؛ ولذلك فالرئيس بوتين في أزمة.. فليس لديه أي استعداد لمواجهة الإرهاب. ثم إن أجهزة الأمن الروسية مهلهلة!

ولكن بوتين قد أدى خدمة جليلة لبوش، فالإرهاب قد اخترق روسيا ومن قبلها كل الدول.. والحرب على الإرهاب هي حرب القرن الحادي والعشرين بقيادة بوش وبلير بالأمس وبوتين غدًا!

حـل مشكلتـك..

لا أنت مخدة لدماغ أحد ولا أحد مخدة ولحاف لحضرتك، يعني إيه؟ يعني إذا كان لك مشكلة حلها أنت، وإذا كان في استطاعتك أنت تنبسط، ابسط نفسك؛ لأنك أنت قضية نفسك وهموم شخصك، وأنت حياتك وأنت مماتك أيضًا، يعني إيه؟ يعني لا تتصور لحظة أن أحدًا مشغول بقضاياك.. لا أحد، والسادة المسئولون الذين يتحدثون عن المرحلة المقبلة -دائمًا المرحلة المقبلة- يقصدون سيادتك.. وإنهم من أجلك لا ينامون الليل!

ليس أمامك إلا اختيار واحد: هو أن تختار نفسك، وأن ترفع نفسك فوق الهموم والمشكلات، لا كلها ولكن التي تقدر عليها، وأن تتخفف وأن ترمي من فوق دماغك إلى قدميك، وتشوط كرة الهموم بعيدًا.. يعني إيه؟ أنا أقول لك، إذا كنت متضايقًا من البيت افتح الباب وانزل إلى الشارع.

إن شارعكم ليس مثل الشانزليزيه في باريس، ولا مثل أكسفورد في لندن، وناسيوناله في روما، وكور فيرستندام في برلين، والشارع الخامس في نيويورك، ولا الدوران في فيينا ولا جينزا في طوكيو، انزل وبس، واشغل دماغك بالاهتمام بكل ما ترى، الاهتمام نفسه يخلع مخك من دماغك فتكون هذه الراحة المؤكدة.

أنا عندي صورتان رأيتهما، واحدة في لندن وواحدة في بغداد، في بغداد كنا في أغسطس ودرجة الحرارة في الظل فوق الخمسين،

والناس هاربون إلى بيوتهم، ولمحت جاموسة تحت شجرة والجاموسة غارقة في النوم كأنها تتمرغ في جاكوزي، نائمة في جهنم! ممكن أن ينعم الإنسان في جهنم؟ هذه الجاموسة لا تغيب عن أحلامي وأتمنى لو أغرقني النوم مثلها ولو مرة واحدة!

وفي لندن تعبت من اللف والدوران في المكتبات طالعًا نازلاً.. هاربًا إلى السندوتشات ثم عائدًا إلى المكتبات.. تعبت، وبلا فائدة، وفجأة وجدت أمام محل (سيلفر يدجز) وجهًا مشرقًا مضيئًا وابتسامة لامعة، إنه شاب بلا ذراعين ولا ساقين، وله عينان لا تتسولان، وخجلت من نفسي.. فهذا الذي لا يملك أعز ما في الدنيا عنده أندر ما في الحياة: ابتسامة الرضا.. يخص عليك! قلتها لنفسي.. كيف يكون عندي كل شيء ولا أنبسط ولا أستأنف البحث والاستمتاع بالكتب؟! ابسط نفسك فلن يتطوع أحد بذلك!

جواهـــر الوحـــل

في البرازيل يجدون الجواهر في الوحل؛ إحدى هذه الجواهر كان اللاعب الكبير بيليه، والوحل هو كل شوارع مدينة ساوباولو.. ففي الشوارع يوجد الأطفال الضالون المدمنون اللصوص اليتامى واللقطاء.. بمئات الألوف. واللاعب يولد عندما تلتقي الموهبة والحظ، والموهبة والحظ هما الصنارة والطعم، وهذا ما حدث للمعجزة الكروية الجديدة. إنه الطفل روبينيو –وهذا هو اسم الدلع، أما الاسم فهو (روب)، وقد رآه بيليه من نافذة سيارته، فخرج وجلس على الرفرف يقول: إنه يذكرني بشبابي..

وذهب مع الطفل إلى والده العامل الغلبان، وقال له: ابنك في حاجة إلى تغذية، إنه نحيل جدًا، ولكنه موهبة..

ثم اصطحبه إلى أشهر أندية البرازيل وتولوه واحتضنوه وتعاقدوا معه وبعد شهور كانت للطفل سيارة زجاجها بني حتى لا يكتشفه الأطفال اللصوص فيعتدوا عليه.. وبدأ التدريب المكثف والتغذية والعلاج، وتعاقدوا معه من جديد..

وهذه هي البداية التقليدية.. وبعد ذلك يتولاه السماسرة يبيعون ويشترون ويتعاقدون رتقفز الأرقام بالملايين، وفجأة أصبح (روبينيو) أشهر لاعب صاعد في البرازيل.

وقد تدرب روبينيو في ملعب صغير جدًا بكرة كبيرة جدًا، ويرى النقاد أن الذي يبرع في هذه المساحة الضيقة يسهل عليه اللعب في

الملاعب الكبيرة، ومن أشهر ملامح هذه الجوهرة السوداء الجديدة قدرته الفذة على توجيه الكرة في أي اتجاه وفي أي وقت، حتى قال إن الكرة تقرأ أفكاره؛ ولذلك فليس في حاجة إلى ركلها!!

أما نصيحة بيليه إليه، فأنا أنقلها كما قالها وكما نشرتها صحف البرازيل باللغة البرتغالية، ولابد أن لها معنى وراءها قال له: لا تضرب الكرة بمجرد لمسها، لابد أن تلمس الكرة مرتين، فاهم؟ لابد من مرتين، وبعد ذلك أنت تعرف سر اللعبة.

ثم همس في أذنه على انفراد بأنه لا جنس ولا سجائر ولا كحول مهما تكن المغريات وضرب له أمثلة بلاعبين كبار تحطموا بسرعة، ثم ارتدى روبينيو القميص رقم 10 مثل بيليه!

نوعيـــة نـــادرة

إذا صـادفت إنسانًا هـادئًا متزنًا يقول ويفكر، ثم يقول وينتظر أن تفكر معه، ثم تفكران معًا وتصلان إلى نتيجة واحدة عاقلة ويشد كل منكما على يد الآخـر قـائلاً: وجدتها.. إذا حدث وعثرت على هذا الشخص أرجو أن تدلني عليه؛ لأنه نوعية نـادرة فلا أحد عقله في رأسه ولا أحد رأسه على كتفيه، ولا أحد عنده كتفان خاليتان من حمل أثقـال الأمس واليوم وغدًا؛ ولذلك فكل النـاس مرضى، لا بسبب الهواء الفاسد والهوى الأكثر فسادًا. ولا بسبب أن الهموم معدية، والمشاكل مستشرية.. ولكن السبب الحقيقي هو شدة الحساسية. وفي القرن الماضي كان كل واحد يهرش تقفز من شفتي الطبيب كلمة: الحساسية. فقد كانت مرض العصر وموضة الطب.

أما اليوم فقد زادت وفاضت وأصبح كل إنسان حساسًا. مثلاً: إذا تحدثت عن فلسطين فأكثر النـاس حساسية.. الفلسطينيون. إذا قلت لهم: شرق.. قالوا: غرب، وإذا قلت لهم: شارون قالوا: عرفات، وإذا قلت عرفات قالوا: التعلب فات.. طيب بالضبط ما هو المطلوب؟ ما الذي يقال وما الذي لا يقال؟ ومن أنت حتى يكون لك رأي ويكون الرأي مقبولاً؟ إذا قلت: أمريكا قالوا حاسب. هذه منطقة خطرة.. كل عبارة هي سيارة ملغومة، وكل حروف اللغة العربية واللغات الأخرى تجمعت في كلمة واحدة هي: القاعدة، فكل النـاس من القاعدة أو يجب أن يكونوا. فإذا حدث فأمسك لسانك! حتى لا يمسكوا فلوسهم ويخربوا بيتك..

بلاش فلسطين وبلاش القاعدة، فلتكن إسرائيل. وفي إسرائيل تستطيع أن تأخذ حريتك على الآخر.. اشتم العن واتهم مع أن إسرائيل أخطر علينا من كل الدول. إنها ألوف الصحف والمعاهد ومقاييس الرأي، وهي التي تحكم أمريكا بالفلوس والكاميرات والشاشات وتتحكم فيها بالعقل والحساب.. وهي التي تمسك أمريكا من يدها التي توجعها. فإذا اتجهت أمريكا إلى اليمين وجدت إسرائيل، وإلى اليسار وجدتها.. ومن فلسطين جرجرتها إلى العراق، ومن العراق إلى إيران إلى سوريا. ومع ذلك فليس أسهل من شتيمة إسرائيل: حكومتها وشعبها ولا تهم النتيجة!

وإذا أنت اعتدلت في مقعدك وقلت: ما هذا الكلام الفارغ؟ ألم أقل لك إنها حساسية لأي كلام من أي نوع ومن أي أحد.. ثم تريد بعد ذلك أن نحل مشاكلنا.

أعتقد أننا إذا أردنا، فإننا لا نستطيع!

أشيك إضـراب في العالم: إضـراب عمال الجندول في مدينة البندقية.

فقد احتشد أصحاب الجندول في القنـاة الكبرى. وألقوا المجاديف على ظهرهـا.. وتركوهـا للموج يلعب بهـا وبظلالهـا على المـاء.. وجلسوا في صمت.

فـأضـافوا بهذا الإضراب صورًا أنيقة لألبوم الصور البديعة لمدينة البندقية، مدينة 120 جزيرة و177 قنـاة و400 كوبري وربـع مليون نسمة تتناقص عامًا بعد عام بسبب الحياة غير الصحية، وطفح المجاري، والمد والجزر الـذي يهدم البيوت. والبندقية هـي مدينة المشاة، فليست فيها مـواصـلات بـريـة، فقنواتـهـا هـي الشوارع والميـادين. وقد تدفقت وتفجرت بـالحركة والحياة ليلاً ونـهـارًا..

ولكن نصيب الجندول من هذه الحركة قليل جدًّا.. وبرغم ذلك فإن السياح يفضلون الجندول على الـزوارق البخارية؛ لأنـه أحد معالم السياحة التاريخية في البندقية ملكة البحر الأدريـاتـي.. ومدينة السحر، والساحرة المسحورة كمـا يسميها الشعراء الإيطاليون..

طبيعي أن يعترض أصحاب الجندول، كما اعترض العربجية عندنا على مزاحمة التاكسي والأتوبيس من وإلى المنـاطق السياحية. ومع ذلك لا تـزال بعض الحنـاطير في القاهرة والأقصر وأسوان.

ولا يزال السائح الذي ليس مستعجلاً يفضل الحركة البطيئة للحنطور على جنون التاكسي وضوضاء الأتوبيس..

وكما تناقص عدد الجندول في البندقية تناقص أيضًا عدد الحناطير في مصر. ولكن لن تنقرض؛ لأنها من المعالم السياحية التي جاء من أجلها السائح الأجنبي.

ومدينة البندقية تلقى عناية كبرى من اليونسكو حتى تحتفظ برونقها وسحرها التاريخي.. وإذا كان الذين سافروا إلى البندقية وجدوا أنفسهم يرددون جندول عبد الوهاب: أين من عيني هاتيك الليالي يا عروس البحر يا حلم الخيال؟ فإن الإيطاليين يرددون غنائيات الشاعر الإيطالي أريوستو الذي يتوج البندقية عروسًا على كل البحار والشواطئ!

معلوماتهـــا العامـــة؟

لأنها حصلت على الدرجات النهائية في اللغتين اليونانية واللاتينية رفضتها جامعة أكسفورد!

إنها طالبة حلوة حصلت على 100٪ من الدرجات في كل اللغات.. لكن رأت جامعة أكسفورد أن هذا لا يكفي.. فالجامعة تحتاج إلى أشياء أخرى ليست موجودة عند هذه الطالبة. ففي امتحان القبول لاحظ الأساتذة أنها لا تعرف أكثر مما جاء في الكتب.. وأن معلوماتها العامة قليلة.. ثم إنها ليست جادة وإنما هي أميل إلى المرح والخفة. ولم يناقش أحد قرار أساتذة أكسفورد احترامًا لهم وللجامعة التي لا تجامل ولا تنافق ولا سلطان لأحد عليها.. وقد سألت إحدى الصحف اللجنة التي تلتقي بالطلبة تمهيدًا لقبولهم.. فذكر أحد الأعضاء أنهم رفضوا شابًا صغيرًا قدمته الصحف على أنه (الطفل المعجزة)؛ لأنه على دراية بكثير من النظريات الفيزيائية.. وأن له اجتهادات في هذه النظريات.. ورفضته جامعة أكسفورد.. لا لأنه صغير ولا لأنه يعرف أكثر.. ولكن لأن الاجتهادات التي أعلنها ليست خطيرة.. وأنه لو انتظر قليلاً حتى يستوعب هذه النظريات فسوف يكون له شأن.. لكنه يتعجل النتائج وردود الفعل.. ثم إن عينيه على الصحف والتليفزيون.. وهذا لا يجعل منه عالمًا متواضعًا صبورًا.

وقد نشرت الصحف رأي أعضاء لجنة القبول.. ولم يكن كلامهم تعليقًا على قبول أو رفض أي أحد.. وإنما رأيهم أن الدراسة الجامعية

لها شروط؛ فهي ترفض الطالب الذي (يحفظ صم).. فليست الجامعة مخزنًا للمعلومات.. ولا الطالب خفير درك للمعرفة الإنسانية.. وإنما يجب أن يكون له رأي وذوق.. وأن تكون نظرته أوسع..

يا ترى لو كانت عندنا لجنة مثل لجنة أكسفورد.. كم من مئات الألوف من الطلبة يرفضونهم؟ وكم من العشرات يقبلونهم؟

إن كلمة (أكسفورد) ليست من المفردات في قاموس الجامعات والمعاهد والكليات المصرية!

ولكـــن مـــا الحـــل؟

تقدر تقول علينا: مجموعة من المثقفين، جلسنا، وتساءلنا، وقلنا، وانصرفنا، كأننا لا قلنا ولا تساءلنا ولا انصرفنا، ولأننا مثقفون كان موضوعنا: ما الحل؟ وليس أسهل من هذا السؤال، وليس أصعب، مثل هذا السؤال سؤال آخر هو: كم عدد ذرات الرمل في ساحل مارينا، وكم أعواد الحديد المسلح، وكم عدد الفقراء تحت خط الفقر، وكم عدد الأغنياء فوق خط العقل.. وكم عدد علامات التعجب في خطب السادة الوزراء؟ إنها بعدد علامات الاستفهام عند السادة المواطنين!

واختلفنا في توصيف العقل المصري، أو السلوكيات المصرية، هل نحن كذابون، أم أننا نحب من يكذب علينا؟ إننا بالطبع كذابون غشاشون مضللون بكسر اللام مرة وفتحها عشرين مرة؟ ومنذ متى أصبح المصريون كذلك؟ كتاب (وصف مصر) الذي ألفته الحملة الفرنسية يقول ذلك و(كتاب الموتى) عند الفراعنة يخاف علينا من الكذب والغش، وينصحنا بالاستقامة في الحياة، وأن في الموت طريقًا إلى نهضة الروح وخلودها من أجل حياة جديدة، فمنذ متى صرنا إلى ما نحن فيه؟ ليست ثورة يوليو هي ثورة تعميق الشعور بالكراهية والحقد، وأنها أول وآخر الثورات، وأن زعماء يوليو لا قبلهم، ولا بعدهم أحد.. لا أظن ذلك، وإلا كانت ثورة يوليو لها قوة البعث والنشور والحياة بعد الموت.

فهذه مبالغة في قوة ثورة يوليو، وقدرتها الفريدة على صياغة الناس وخلقهم، ولكنها كانت أحد الأسباب التي أضافت جذورًا للمرارة واليأس والفساد أيضًا، فهي ليست وحدها. وعندما يصل الحديث عادة إلى هذا المطب، أو هذا المفترض، يتحول الناس إلى معسكرين: أهلي وزمالك، أي الهرب من السياسة إلى اللعب.. ومن اللعب إلى النكت، ومن النكت إلى استراحة وراحة نفسية عندما ننطق جميعًا وفي نفس واحد: سعد زغلول قال إيه؟ قال: مفيش فايدة.. مع أن أي إنسان على فراش الموت ليس لديه إلا هذه العبارة: مفيش فايدة من العلاج.. مفيش فايدة من الكلام عن المرض.. مفيش فايدة من البكاء على الماضي، فقد انتهى الماضي والحاضر، ولا مستقبل بعد ذلك.

كأننا قلنا، وفكرنا، ووجدنا حلاً!

المساعدة والتسول

يسمونها: المساعدة. ونسميها: التسول. ففي كل المدن الأوروبية نجد فرقًا موسيقية تعزف وترقص وتغني في الشوارع.. فأنت تسمع وتتفرج وتحط في عينيك حصوة ملح وتدفع أي مبلغ من المال. هذا ما يتوقعونه منك –فمعظم هذه الفرق الموسيقية من الطلبة..

وفي ألمانيا والنمسا يفعلون نفس الشيء مع النبيذ..

ولكن أقسى صورة للتسول رأيتها في جزيرة مينداناو في الفلبين، فقد فوجئت بطفل يخرج من تحت الماء وعلى كتفه رضيع.. إنه يطلب حسنة بشرط أن ألقي بها في الماء.. لا يريدها في يده.. ليغطس والرضيع على كتفه ويأتي بها بعد دقيقة أو دقيقتين.. ويرجو أن ألقي بها بعيدًا.. أو بقطعتين من النقود في مكانين مختلفين.. ويغطس ومعه الرضيع.. إنه يريد أن يفعل مقابل الحسنة.. صورة موجعة للقلب!

وفي مدينة تورينو بإيطاليا وجدت كلبًا جميلاً فخمًا وقد ازدان بالورود وعلقوا في عنقه سلة صغيرة محندقة. أما الكلب فقد جلس على سجادة جميلة أيضًا.. ولا يلتفت إلى الذين يتوقفون أمامه. وعرفت أن صاحب الكلب شحاذ أعمى قد نام بعيدًا، وسوف يصحو ليعزف على الكمان دون أن يقول لله يا أسيادي!

وفي مدينة سورنتو بالقرب من نابولي وجدت شيئًا غريبًا: يدخل الزبون يطلب اثنين قهوة وملعقة واحدة فيقدمون له واحد قهوة،

ولكنه يدفع ثمن اثنين.. أو يدخل واحد آخر ويطلب ثلاثة قهوة، وملعقة واحدة. ويشرب قهوتين ويدفع ثلاثة ويجيء واحد يطلب قهوة وملعقة فيشرب القهوة ولا يدفع! تفسير ذلك أن العادة هناك أن يدفع الزبون قهوة زيادة.. هذه القهوة مدفوعة مقدمًا لأحد المحتاجين سوف يجيء بعد ذلك؛ ولذلك نجد صاحب القهوة يعلق ورقة مكتوبًا عليها: هنا واحد قهوة وملعقة واحدة! والكل يعرف أنهم فقراء.. ولكن الفقر ليس عيبًا، وإنما العيب ألا نحترم مشاعر الفقير!

عينـــاك قـــدري!

لا أعرف كم عدد المقالات التي كتبتها في الخمسينيات عن جيل الرعد والبرق الذي ظهر معًا: فرنسواز ساجان في روايتها (مرحبًا أيها الحزن) وغادة السمان في (عيناك قدري) وليلى بعلبكي في رواية (أنا أحيا) ويائيل ديان في (وجه جديد في المرآة) وجويس منصور في ديوانها (صرخات).

وفي نفس الوقت ظهر الأدباء الساخطون في بريطانيا يتقدمهم كولن ويلسون في كتابه (اللامنتمي) وشيلا ديلاني في مسرحية (العسل المر).. وفي أمريكا ظهر الأدباء الصاخبون يتقدمهم جاك كرواك في رواية (الطريق) وآخرون.. أما فرنسواز ساجان فقد اختاروا لها اسم أحد أبطال الأديب الكبير مارسيل بروست، ثم توالت أعمالها الأدبية: ابتسامة ما، وفي شهر في سنة، وهل تحبين برامز؟ وكلها بلغة الموسيقى (تنويعات على لحن واحد) واللحن هو: تألق القلق في حلل الملل.. وإن لم تكن أديبة وجودية.. فلا أحد استطاع أن يفلت من جاذبية الأدب والفلسفة الوجودية عند الفلاسفة سارتر وكامي ومارسيل. وفي مستهل روايتها (مرحبًا أيها الحزن) تقول ساجان إن رملاً أو نملاً يتسلل من ملابسها إليها. إنه الملل يسري ويستشري في منتصف القرن العشرين حتى آخره.. وفي نفس الوقت أصدر الأديب الإيطالي العظيم مورافيا رواية (الملل) التي تحولت إلى فيلم (الحياة الحلوة).. إنه نفس التعبير الحزين الأليم اللانهائي.

وكان العالم الراكد ينتظر المعجزة.. فظهر أدعياء النبوة والعبقرية في الأدب والشعر. ففي فرنسا ظهرت طفلة اسمها (مينو درويه) تقول شعرًا بديعًا.. وفي التليفزيون الأمريكي ظهر شاب يجيب عن أي سؤال في ثانية. مثلاً: كم عدد الخطوط الدائرية في جسم النملة المكسيكية؟ ثم صحونا على أن الشاعرة الفرنسية تردد شعرًا نظمته أمها.. وأن الشاب الأمريكي غشاش يقتسم المكافأة الضخمة مع مخرج البرنامج.

وفي تواضع ظهرت في مصر موهبة قصصية فريدة: يوسف إدريس في مجموعة قصصية اسمها (أرخص ليالي) فكانت حبة لؤلو في العقد الذي نباهي به الأمم في مهرجان الأدب.

لا ضـــرورة لـــك!

جلسنا نتفلسف:

سؤال: أنت لك ضرورة؟

الجواب: لا.

ـ ولا حتى لأولادك وزوجتك وأصحابك؟

ـ لست ضروريًا لأي أحد.. ولو مت فورًا لكنت عبئًا على الجميع.. فأنا لم أخطر أحدًا.. ولم أدبر مالاً.. وسوف يجدون ألف سبب لأن موتي جاء في الوقت غير المناسب.. فاليوم جمعة.. ولو كان يوم السبت أو الاثنين لكان أفضل.. فقد أخذ الناس إجازة وعاد الأطفال من المصايف والكلب من عند الحلاق، والطباخة جاءت من الريف.. ثم إن الوفاة صادفت يوم زفاف إحدى بنات إخوتي.. والسيدات لم يجهزن بالفساتين السوداء.. ثم لماذا كانت هذه الوفاة مع أنني لست مريضًا؟ ثم إن أبي عاش ثمانين عامًا وأمي عاشت تسعين وجدتي خمسة وتسعين! ثم إنني كنت في أمريكا قبل ذلك.. ولو حدثت الوفاة في المحيط الأطلسي لألقوا بجثتي في البحر عملاً بقوانين الملاحة.. وهل كانت الوفاة ضرورية؟ فقد أودعت الفلوس في البنوك ولم أوزعها قبل الوفاة فيأخذ كل واحد حقه بدلاً من القضايا.. فهناك إخوة أشقاء وإخوة غير أشقاء وأولاد إخوة قد ماتوا..

ومنهم أشقاء وغير أشقاء.. يعني لازم وجع القلب.. الله يوجع قلبي مطرح ما رحت.. حتى هذه الدعوة لا ضرورة لها.. فالذي مات قد صفى حسابه مع الدنيا.. ولكن الدنيا التي ذكرتها الآن سوف تبدأ تصفيتها معي.

سؤال: ألا ترى أنك لم تظلم أحدًا وإنما ظلمت نفسك؟ فأنت في حساباتنا تساوي كثيرًا.. فالذي قدمت.. والذي قلت.. والذي تعلمت وعلمت ليس شيئًا قليلاً لكنه كثير جدًّا.. وكثير منك وكثير مني ومن غيرنا هو الذي نسميه العطاء الممكن؛ أي العطاء الذي قدرنا عليه؛ لذلك فنحن ضروريون.. وإن كانت ضرورة مؤقتة..

– اسكت.. أرجو أن تكمل كلامك بعد أن أصفي حسابي.. فأنت أيضًا لا ضرورة لك الآن.. كما أنني بلا ضرورة غدًا.

لم يقل أحد إن الفراعنة (ما حصلوش) في التاريخ -لا قبلهم ولا بعدهم! بل حصل مثلنا وقبلنا وبعدنا؛ ولذلك فلا معنى للعبارة التي قالتها د. جولي أندرسون السيدة المشرفة على معرض السودان في المتحف البريطاني، والذي استعدت له بريطانيا منذ خمس سنوات قالت سيادتها: إنهم وجدوا قطعة حجر جيري ملونة في إحدى الورش في الخرطوم. وهذا اللون من اختراع السوداني القديم من 300 ألف سنة -الرقم صحيح. يعني أن أهل السودان قد عرفوا الألوان وخلطها وتركيبها وتثبيتها قبل الفراعنة بزمان. فليكن!

وتحدثت سيادتها عن الاكتشافات الأثرية في السودان، وأن الكثير من المعروضات مكتوبة باللغة الفرعونية وبالقبطية وبلغات عديدة. وإنها في حاجة إلى حجر رشيد آخر لتعرف قواعد هذه اللغات.

وأشارت إلى أنه في 1700 ق.م. أنشئت أول مدينة كبرى على ضفاف النيل، ثم إن مصر قد غزت السودان واستولت عليه مرات عديدة فاختلطت الثقافات وسيطرت الحضارة الفرعونية القديمة، وظل السودان معبرًا للمسيحية والإسلام من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى مكة والمدينة.

وقالت د. أندرسون إن المشاكل التي يعانيها السودان في دارفور قديمة منذ اختلاط اللغات؛ ففي السودان مائة لغة.. واختلاط الأعراق

والأجناس والديانات والتحولات السياسية والاقتصادية وانفتاح السودان على حدود تسع دول.

وفي السودان آثار فرعونية كثيرة. وهذا طبيعي وإلى جوارها آثار سودانية أيضًا.

وهذا المعرض سوف يفتح أبوابه لمدة خمسة أشهر، وهو سجل فريد لما جرى على أرض السودان، فقد استطاع الصانع السوداني تلوين الأحجار الصغيرة، وإن كنا لا نعرف ماذا فعل بها بعد ذلك. ولكن هذه الفتفوتة من الجير تكفي للدلالة على حضارة عريقة سبقتنا فترة ما.. ثم أصابها ما أصاب الكثير من الحضارات!

يهمـك ولا يهمنـي!

الذي يهمك لا يهمني، وما يهمني لا يهمك؛ لأننا مختلفان وسوف نبقى كذلك. وهذه مشكلة يومية ليس لها حل.

أنا جالس في مكتبي أقرأ وأحاول أن أكتب. وقبل أن أكتب أفكر في الذي سوف أكتبه، وتوجهت وانحنيت ووضعت القلم على الورق. ودق الباب، وفتحت.. إنها الخادمة جاءت متهللة سعيدة وأنا مكشر في ضيق من تصرفها هذا. تصرفها؛ أي أنها دقت الباب. قمت من مكتبي لأرى ماذا تريد وفي نيتي أن أثور عليها.. هي سعيدة لأن الكلب قد أكل اليوم بيضًا مسلوقًا وهو عادة يأكل البيض المضروب، وأنها أضافت شيئًا جديدًا، وضعت قليلاً من الملح على البيض ــ إضافة الملح هذه وجهة نظري لأن الكلب يأكل الأحذية والجوارب لأن بها عرقًا. والعرق به ملح فهو في حاجة إلى الملح. ماذا أعمل الآن؟ هي ترى أن الذي فعلته من أجل إرضائي عمل جليل. لقد أطعمت الكلب، وإنها سعيدة لأن الكلب التهم الطعام، على عكس ما كان يفعل عندما كان الخادم الآخر يقدم له أي طعام في وعاء ليس نظيفًا ثم إنه كان يشخط فيه.. أما هي فتدلله ولا يزال وجهها مشرقًا وكأنني شكرتها، وأخجلني تواضعها وأحنيت رأسي. ولا تزال واقفة.. ساق في المكتب وساق خارج المكتب، وأنا أحاول أن أخفي غيظي بشكرها.. ولابد أن أشكرها اليوم لتفعل نفس الشيء غدًا.. ثم إن غضبي لا معنى له عندها؛ لأنها لا تعرف ما الذي يشغلني.. وكيف يشغلني أي شيء

عن الكلب الذي أطعمته ولابد أن أكون أنا سعيدًا. فالذي فعلته شيء عظيم -بحساباتها وواجبها- ولا يهمها أبدًا ماذا كان في نيتي أن أكتب. فالذي أكتبه لا تعرفه ولا تراه أهم من الذي أنجزته.. وأنا أرى ولا أتكلم وأقول إن الذي قد أعددت نفسي لكتابته مهم أيضًا. بالنسبة لي ولغيري، وإذا كنت لا أستطيع أن أقنعها بأهمية ما أفعل، فمن المؤكد أنها هي استطاعت ونجحت، أما الذي يهمني فلا يهمها!

بين أصابعك: تريد صداعًا مملاً وقرفًا في أقل من نصف ساعة، حـاول أن تسمع أو تـرى نشرات الأخـبـار، وكـل القنوات العربية متشابهة، والفروق بينها في حنجرة المذيعين والمذيعات.

تريد أن تشتري دماغك: استمع إلى (البرنامج الموسيقي)، وكان قبل اليوم أفضل وأرق. أما الآن فيبدو بسبب موسيقى الجاز المكثفة أن بعض المذيعات يكملن في الاستوديو شغل البيت.. فتسمع خبطًا ورقعًا!

تريد الشجن وكلمة الآه؛ استمع إلى (إذاعة الأغاني)، سوف تجد أغنيات لم تعرفها من قبل، وتندهش كيف أنك في عمرك الطويل لم تسمع عن هذه الأغنيات وكثير منها جميل، استمعت إلى أغنية لشادية من تلحين بليغ حمدي، وشعر الأبنودي تقول: ياسمراني اللون.. فلا أجمل، ولا أرق، ولا أعذب كلامًا ولحنًا وأداء.. وقبلها كنت أعتقد أن أغنية فيروز «يابا لا لا».. من أجمل ما ألف ولحن وغنى إنسان، ولكن شادية أروع!

تريد أن تتسلى وتقزقز اللب والسوداني، وتتكلم في التليفون، وتكتب وتقرأ وتضحك معًا: استمع إلى (إذاعة الشرق الأوسط)، وإلى لحنها المميز: إيناس جوهر شقاوة وشباب وعفرتة، لا أعتقد أن لإذاعة الشرق الأوسط مثيلاً بين كل الإذاعات العربية.

وقد لاحظت أخيرًا أن (البرنامج العام) بدأ يضحك، بدأ يخفف النبرة الجافة الحادة بشيء من الفرفشة، لا بأس، ولكن يجب أن يبحث عن أشكال مختلفة، فكما أن بحار العلم واسعة، فكذلك بحار الفرفشة.

فالبرنامج العام أكثر احتياجًا للضحك؛ لأنه أكثر إغراقًا في هموم السياسة والاقتصاد.

وإذا كنت محظوظًا فسوف تعثر على (البرنامج الثقافي)؛ لأن البحث عنه أصعب من العثور على الثقوب السوداء بين النجوم، فإن وجدته فسوف يصعب عليك هؤلاء المجهولون الذين يحرثون في البحر، ويبذرون الأرض بالملح، وينتظرون أذنًا تسمع ولسانًا يشكر!

أما رأيي الشخصي فهو إن استطعت أن تنام فلا تتردد.. وإن وجدت النوم فاستسلم له، وإذا نجحت فأرجوك أن تقول لي كيف حققت هذه المعجزة التي هي حلم حياتي!

كيـف ومتـى ينتهـي العالـم –عالمنــا– يعني الحيـاة على الكرة الأرضية؟

الجواب: غدًا! ممكن. وبعد ألف أو ألف مليون سنة! ممكن.

العلماء عندهم احتمالات. من بين هذه الاحتمالات أن تقترب الأرض لسبب ما من الشمس فترتفع حرارتها وتجف المياه فيها وتنتهي الحياة: وتبقى الأرض.

أو تبتعد الأرض عن الشمس فتنخفض درجة حرارتها وتتجمد فيها المياه وتنعدم فيها الحياة.. ونموت جميعًا: إنسانًا، وحيوانًا، ونباتًا، وتبقى الأرض.

أو يصطدم جسم فضائي مفاجئ أي لا نعرف من أين جاء.. أو نعرف من أين جاء ونعرف سرعته وقوة اندفاعه واتجاهه إلينا، ولكن لا نعرف كيف نتفاداه.. فإذا اصطدم بالأرض أحرقها قبل أن يصل إليها.. ثم يزلزلها ويحدث فيها تجاويف وكهوفًا ويلخبط الجبال والأنهار والبحار معًا.. وقد حدث ذلك من ستين مليون سنة. وكان من نتيجة ذلك اختفاء الديناصورات كلها بعد أن سادت الأرض ستين مليون سنة.. أي تموت الحيوانات الكبرى وفي مقدمتها الإنسان وتبقى الأرض.

أما الذي يراه العلماء قد حدث الآن فهو أن الأرض ارتفعت درجة حرارتها وتزداد ارتفاعًا ولأسباب من صنعنا، مثل زيادة ثاني أكسيد

الكربون الناتج عن مصانعنا.. ومن حرائق الغابات في أمريكا اللاتينية.. فهذا الغاز عبارة عن ستار كثيف حول الأرض يسمح بمرور أشعة الشمس إلينا، ولا يسمح بارتدادها بعيدًا عنا، وهذا يؤدي إلى ذوبان الجليد في القطبين الجنوبي والشمالي، وذوبان الجليد يرفع مستوى مياه المحيطات ويؤدي إلى إغراق ألوف الجزر ودلتا كثير من الأنهار في مصر وفي الهند وفي بنجلاديش والصين.

وكان الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس المالديف أول من استنجد بالأمم المتحدة؛ لأن جزر المالديف (مئات الجزر) وألوفًا غيرها سوف تكون الضحية الأولى.. وتكون البداية. أما النهاية فيرى العلماء أنها ربما جاءت بعد مائة سنة أو بعد مائة ألف سنة.. أو أقل قليلاً.. فلا يزال عندنا وقت لكي نعيش.. أما أحفاد الأحفاد فيتولاهم الله!

أنا جملة طويلة أولها ينسيني آخرها.. وآخرها ينسيني وسطها.. جملة في خمسين عامًا، وفي أكثر من مائتي كتاب كتبتها في مصر وخارجها.. في المرض والصحة والقلق والأرق والضيق والفرح والفهم والحيرة في كلمات صغيرة وكبيرة. ولو حبسوني ووضعوا كتبي معي ما فتحت واحدًا منها.

فقد تعبت وقلت وهذا يكفي.. ولكن الباحثة الإسرائيلية (سيجال جورجي) أمضت سنوات تقرأ ما كتبت وتحلل وتفهم وتحاول أن تربط كل هذه الكلمات في عبارتها هي وأسلوبها.. وحصلت على الدكتوراه مكافأة لها على هذه الدراسة المتأنية العميقة.

وأذكر أن الشاعر الألماني جيته عندما ظهرت الترجمة الفرنسية لمسرحيته (فاوست) كتب يقول: إنني لم أفهم نفسي تمامًا إلا عندما قرأت الترجمة بالفرنسية.

شيء من مثل ذلك شعرت به بعد أن قرأت ملخصًا بالإنجليزية لما كتبته د. سيجال جورجي. فقد التفتت إلى مواقف ونظرات وعبارات لم ألتفت أنا إليها. أنا قلت كلمتي.. مليون كلمة ومضيت أبحث عن كلمات لعبارات أخرى. ولكن تعبيرها وفهمها ووعيها واقتدارها ربطت كل المعاني في سلك ذهبي –لا أعرف كيف– ولا أعرف كم من الوقت شغلتها وانشغلت بي.. أما الذي وصلت إليه فهو أنني لم أكن

أظن كذلك أنني بهذه الصورة ولا أنني قلت ولا كتبت ولا تمنيت ولا تعذبت ولا أسعدت ملايين الناس. ولكنها عرفت واهتدت. ثم أهدتني هذا البحث الذي أشرف عليه أستاذ جليل هو د. موريه الحجة الأوحد في تاريخ الجبرتي وفي دراسة مخطوطاته والانفراد بها بعد أن جمعها من مكتبات الدنيا..

وأسعدني أن باحثًا مصريًا في أستراليا هو د. رفعت فودة قد حصل على الدكتوراه أيضًا في دراسة أفكاري الأدبية والفلسفية والسياسية. وكانت رسالة ضخمة فخمة.. إنها قدرة على الصبر والاحتمال والإصرار والحب لا حدود لها.. إنها التفاتة نافذة إلى ما قلته العمر كله.. وكنت والله قد نسيت وأنسيت ماذا كان من أمري وأمر الناس.

وأشكرهما شكرًا عميقًا. وأنتهز هذه الفرصة وأهنئ د. سينا روجنم على كتابها الجديد «مع أنيس منصور لست وحدك».

بقلم السنهوري باشا

أنا لا أعرف فقيه الفقهاء د. عبد الرزاق السنهوري. وهو على العين والرأس عند كل فقهاء القانون في العالم العربي. ولكن لي تجربة وحيدة معه. عندما كان وزيرًا للمعارف فقد أرسل إليه زميل شاب خطابًا يسأله: ماذا أعمل؟ إنني حائر يا سيدي.. وروى له قصته الساذجة ودوخته بين المؤسسات الصحفية. وفوجئ بخطاب طويل جميل العبارة أنيق الحروف من د. السنهوري.. شيء عجيب!

الرسالة تحفة أدبية. أخذتها منه وعرضتها على الأستاذ إحسان عبد القدوس فنشرها في روزاليوسف. وقد أعجبتني أول عبارة في هذه الرسالة وكانت بيتًا من الشعر يقول:

ألف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الحروف تقدما

ولم أكن أعرف أن السنهوري شاعر أيضًا. وأخيرًا قرأت كتاب (السنهوري –من أوراقه الشخصية)– إعداد ابنته المرحومة نادية السنهوري وزوجها توفيق الشاوي (دار الشروق)..

والمذكرات بسيطة عابرة خاطفة؛ فهي ملاحظات يومية لحياته في فرنسا وفي مصر.. ولابد أنه كان في نيته أن يجعلها أكبر وأشمل. ولم يستطع ويكفيه فخرًا وشرفًا ما كتبه في القانون –إنه عظيم الاحترام عند كل رجال القانون..

يحكي د. السنهوري عن أول مرافعة له في المنصورة سنة 1917. كان معاون نيابة، وكان لابد أن يترافع أمام محكمة الجنح

المستأنفة. وكان المطلوب منه أن يطلب التأييد أو التشديد أو الإلغاء. ولكنه (22 سنة) لم يقبل ذلك وقرر أن يترافع في قضية لا تحتاج إلى مناقشة فقهية ولم يكن مألوفًا من شاب مثله أن يتعرض لقضايا فقهية ويحاول التوفيق بين مدرستين في الفقه: المدرسة الفرنسية والمدرسة البلجيكية. وقد اندهش القاضي.

وبعد أن فرغ من المرافعة التفت القاضي –وكان رجلاً مرحًا– إلى الفلاح المتهم وقال له: وأنت ما رأيك: تختار الفرنسية أم البلجيكية؟ وضحك الحاضرون وغرق السنهوري في عرق بارد.. ولكن بعد أسبوع ترافع في تهمة انتصر فيها على أكبر المحامين في ذلك الوقت وأسعده النجاح والانتقام!

رسالتـــــان..

أشهر رسالتين للدكتوراه حضرت مناقشتهما: عبد الرحمن بدوي وجيهان السادات. في مناقشة عبد الرحمن بدوي كان الموضوع صعبًا جدًّا. ولكننا –طلبة الفلسفة– كنا سعداء بأن نرى عبد الرحمن بدوي يناقش ويرد ويصد.. وكانت لجنة الامتحانات مكونة من طه حسين ومصطفى عبد الرازق وباول كراوس وعلي عبد الواحد وحسن إبراهيم. أما طه حسين فهو عاشق لتلميذه عبد الرحمن بدوي وأطلق عليه لقب أول فيلسوف مصري.. ولم يكن باول كراوس المستشرق الألماني اليوجوسلافي اليهودي مجاملاً. ولكنه اعترف بموهبة عبد الرحمن بدوي..

ومن المؤكد أن الطلبة لم يفهموا ما قاله د. بدوي في معنى (الزمان الوجودي).. ولكن إعجابهم به وإغاظتهم للذين يكرهون بدوي ويحقدون عليه مثل د. علي عبد الواحد وافي أستاذ علم الاجتماع هو الذي جعلهم يرفعونه على الأكتاف، وهو ما لا يحدث في الجامعات وفي المناقشات العلمية الأكاديمية الجافة!

أما مناقشة رسالة السيدة جيهان السادات فقد جاءت مبكرة قبل الأساتذة وراحت تقلب في الأوراق مهمومة تمامًا. وفجأة جاء الرئيس السادات وأفراد الأسرة وبدأت المناقشة. وسألوها فأجابت.. وسألوها وأطالوا فأجابت. وكنت أداعبها وأقول لها: يا تلميذة شدي حيلك، وكان القلق والاضطراب واضحًا عليها..

وحصلت على الدكتوراه وهنأتها وتناولنا بعض (الملبسات) التي امتدت أيدينا إليها. وفي اليوم التالي قابلت الرئيس السادات ووجدته يضحك من قلبه. قال لي: هل لاحظت أن جيهان بتقول: أيوه يا فندم وحاضر وسيادتك.. ها ها.. ها ها.. لا أعرف كم مرة قالت يا فندم، ونعم.. كم مرة ها ها..

ثم قال لي الرئيس السادات: هل لاحظت أنهم عندما سألوها عن الشاعر الرومانسي شيللي وقالوا لها: وانت إيه رأيك في قصيدته.. مش عارف القصيدة اسمها إيه.. ها ها.. والله يا جيهان إنت كنت ممتازة.. يا فندم.. ونعم.. ها ها..

أنا مش عارف ما بتقولش كده ليه في البيت.. ها ها!

كنت أعرف أنها مخالفة لأوامر رأس الكنيسة الأرثوذكسية. ولكن أنا وعدت وكافأت. وهذا شأني..

إنها حكاية السيد مدير الحسابات في (دار المعارف). وعدته إن هو فرغ من إعداد الميزانية في زمن قياسي فسوف أبعث به إلى القدس؛ أي ليحج ويصبح المقدس فلان الفلاني. واتصلت بالسفارة الإسرائيلية ووافقوا. وطلبت إليهم أيضًا استضافته. وكنت قد وعدته أن يسافر هو وزوجته. وفوجئت بالدكتور بطرس غالي يقول لي: في عرضك كفاية هوَّ. لا أريد مشاكل مع شنودة! وسافر هو كصحفي وليس كمسيحي أرثوذكسي مخالفًا بذلك أوامر الأنبا شنودة.. وعاد يشكرني ويقول: كل ما أستطيعه هو أن أشكرك في أذنك؛ لأن العقوبة هي (الشلح) أي الطرد من الكنيسة!

وقبل ذلك كانت لي مغامرة أخرى: في سنة 1955 ذهبت إلى القدس مع وفد كبير من المصريين وهناك طلبت من صديقي قدري طوقان الذي صار وزيرًا لخارجية الأردن أن يساعدني في أكذوبة.. وتردد ولكن أمام إصراري وافق. فقد كان لي صديق متواضع الأسرة أحب فتاة صعيدية غنية.. ورفضه أبوها؛ لأنه فقير.. وسألني: ولد مين؟ قلت له: ولد أبيه وأمه! ولم يكن لديه أي استعداد للهزار في أنه لن يزوج ابنته لواحد (هلاس) يدخن ويشرب الخمر وسيرته على كل

لسان.. وأكدت له أنه تاب وأناب. وقدمت له الوثيقة المفبركة التي أعددتها مع قدري طوقان. الوثيقة تقول: إن المقدس فلان قد صلى وبكى بدل الدموع دمًا في طريق الآلام وعند الجلجثة وزار كنيسة المهد وكنيسة القيامة.. وأنه... وأنه... ولا تزال هذه الوثيقة معلقة في بيته. وكانت السبب الوحيد في هذا الزواج. هو يعلقها كنكتة وفي نفس الوقت أكبر دليل على طيبة قلب الأب الصعيدي الذي عاشت ابنته في التبات والنبات وأنجبت له الصبيان والبنات!

تعجبني الأغاني الجديدة.. نوع من البسكوت.. من السندوتشات الخفيفة السريعة.. لا بأس.. ولكنها لا تشبعك.. لا ترويك.. لا تملأ جوانب نفسك. لا تريح قلبك. لا تقول بعد سماعها وأثناءها: الله.. الله.. وليس من الضروري أن يكون هذا رأيك أو يكون. المهم أن هناك من لا يزال تمتعه أغانينا القديمة –هذا إذا اعتبر عبد الوهاب وأم كلثوم والسنباطي وزكريا أحمد والقصبجي وعبد الحليم وبليغ والموجي والطويل من الرموز القديمة.. أي سماع عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم بأصواتهم أو بأصوات غيرهم من الشبان.

آخر ما رأيت (ليالي الصهبجية) من إعداد وتقديم الإذاعي الكبير وجدي الحكيم. بمنتهى الأمانة لقد أعجبني البرنامج. وسهرت. وعلى استعداد أن أفعل ذلك كثيرًا. الجو شرقي مريح للأذن والعين. وتظل تقول: الله.. الله.. ففي البرنامج أصوات شابة. لم أرها من قبل.. وأكثرهم قد أعجبني. إنهم صغار. بعضهم أذناه أكثر حساسية من حنجرته. وبعضهم حنجرته أكثر حساسية من أذنيه. فهم في حاجة إلى تدريب وإلى تشجيع وإلى عناية بعد ذلك. وإلى دراسة لفنون استخدام الميكروفون.. وإلى ضبط التنفس والاهتمام بالصحة وإلى إطالة الاستماع والتذوق لعبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم..

وليس صحيحًا أننا أفلسنا تمامًا؛ فهناك مواهب.. وليس أقرب الناس إلى الميكروفون أجملهم صوتًا؛ ولذلك يجب أن نمد

الميكروفونات إلى الناس تلتقط أصواتهم وآذانهم. وهنا يلتقي الفن والواجب الوطني والأخلاقي.. إن في القنوات العربية الأخرى برامج مماثلة ـ لا بأس. ولكن الذي يهمني أن تلقى مثل هذه البرامج مساحات أكبر من الوقت ومن اهتمام القنوات والمستمعين، فليس هناك من سبيل آخر لاكتشاف المواهب الصاعدة إلا من خلال مثل هذه البرامج..

وعندنا في التليفزيون المصري برنامج للناقد القديم عصام بصيلة، ولكن عيب هذا البرنامج أن عصام بصيلة يبدو كمفتش على إحدى المدارس جاء يضبط التلامذة متلبسين بقزقزة اللب. فهو يخفي عصاه وراء ظهره، لا بأس ولكن لا أستطيع أن أقول: الله يا عصام!

الفراعنة أولًا

الفراعنة هم أول من استخدم النحل في تلقيح الزهور.. وكانوا يفعلون بالضبط ما يفعله الأمريكان الآن، كانوا ينقلون خلايا النحل في سفن تقف عند الحقول والحدائق تنقل حبوب اللقاح من الزهور وتعود بالرحيق وتفرزه في الخلية وتغطيه بالشمع.

و60٪ من الفواكه والخضراوات لولا النحل ما أثمرت فهناك مصدران لنقل حبوب اللقاح: الهواء، إذا كانت حبوب اللقاح خفيفة.. والنحل، إذا كانت ثقيلة والنحل أسرع وأوقع..

وفي السنوات الأخيرة ظهرت آفات زراعية تقضي على النحل من داخله فماتت الملايين، هناك المبيدات الحشرية أيضًا. ثم إن عسل النحل يدخل في كثير من الأطعمة ومواد التجميل والأدوية.

وتتنافس المناحل في تجديد صناعة العسل. باختيار الأزهار العطرية وتجفيفها من الماء وتزويدها بالفيتامينات للصغار والكبار.. وفي الأسواق خرافات عن عسل النحل: فيقال إن هذا العسل الأسود من أعالي جبال اليمن؟!

ولماذا اليمن؟ ليكون صعب المنال نادرًا غالي الثمن، وهناك عسل يجيء من كوريا أبدعته ملايين النحل في ضوء القمر على سفوح الجبال، وهذه اللوحة الشعرية تغري النحلة بأن تفرز شعرًا وموسيقى!

وأحمد الله أنني من مدمني عسل النحل، وأنقله من مكان إلى مكان وأتابع أخباره وألوانه وطعمه ورائحته، ولي شركاء كثيرون في هذه الوجبة رغم تحذيرات الأطباء من أن العسل يساعد على زيادة الوزن، وزيادة الوزن توجع الركب والمفاصل..

ونحن في مصر في محنة حقيقية؛ فقد ماتت الملايين من النحل بسبب المبيدات الحشرية والآفات الزراعية والطفيليات والإهمال الشنيع لهذه الصناعة التي توشك أن تنقرض..

هل أذكر ماذا تفعل دول مجاورة؟ هل أصف البطرمانات في العلب الذهبية وحولها قصة حياة النحلة ونوع العسل.. لقد شاهد هذه العلب عشرات من القادة والرموز، ويومها تنهدنا جميعًا وقلنا: ليس صعبًا أبدًا، فلماذا لا نفعل ما هو أفضل؟ وكان هذا السؤال نهاية المقال لشهرزاد التي أدركها الصباح فسكتت!

ولـم يعـرف الرئيـس

المرحوم شوقي عبد الناصر شقيق الرئيس عبد الناصر كان صديقًا، التقينا كثيرًا وتكلمنا، ولم يخف ضيقه بالأوضاع وبالناس حول الرئيس، وهو لا يستطيع أن يصارح الرئيس، فكتب له خطابًا طويلاً قال كل ما في نفسه وفي نفوس الناس، ودخل مستشفى القوات المسلحة، وكان الرئيس في طريقه إلى العلاج في سخالطوبو بروسيا، وذهب لزيارة شقيقه، وكان شوقي في غاية الفزع خوفًا من أن يفاتحه الرئيس في الذي كتبه، ولكن الرئيس لم يفعل، وليس إشفاقًا على أخيه، ولكن لأنه لا يعلم بالخطاب، فقد حجزه سكرتيره الخاص محمد أحمد!

وكان الكثيرون حول الرئيس مثل شوقي عبد الناصر لا تأتيهم الشجاعة في أن يقولوا للرئيس ما لا يجب.

وعندما تصل حالة مصر إلى هذه الدرجة من التعمية والعماء، فقل على الدنيا السلام!

حتى في أيام الرئيس السادات، لقد طلبت مني السيدة جيهان السادات أن أنقل للرئيس أخبارًا صحيحة غير الأخبار الكاذبة التي نُقلت إليه في إحدى القضايا، واندهشت وقلت لها: حضرتك أقرب! قالت: أقرب، لكن أنت تجلس معه أطول!

وقلت: يا ريس هناك اجتهاد.. فهذه الأخبار مبالغ فيها جدًا.

وبسرعة كان رده: اجتهاد؟

الله أنت قابلت جيهان..

– أيوه يا ريس..

وغضب الرئيس ولكني قلت: إنها نفس المأساة عندما تقوى الحاشية.. البطانة.. وتتعالى أسوار غليظة وسحب كثيفة تحجب كل شيء عن الرئيس.

على ظهور الجمال

الدولة الوحيدة أو القارة الوحيدة التي اعتمدت في نشأتها على الإبل هي أستراليا -وليست السعودية.. فأستراليا واسعة شاسعة حارة جافة. ولولا الإبل ما استطاعت أن تمد أعمدة الكهرباء والسكك الحديدية.

والدول العربية التي صدَّرت الإبل إلى الدنيا لم تعد تعتمد عليها. وإنما هي رياضة تتفرج عليها. وهي صورة للماضي البعيد. وإذا كان العرب يذهبون بطائراتهم وسياراتهم إلى (سباق الهجن) سباق الإبل فهي رحلة تاريخية إلى الماضي البعيد.. وهم أيضًا حريصون جدًا على الحفاظ عليها.. حرصهم على شكل الآبار والخيام والحرف اليدوية.. إنها زيارة للتاريخ في أجمل السيارات وأفخم الطائرات بملايين الدولارات!

وفجأة احتجت لجان حقوق الإنسان على ما يفعله أصحاب الإبل: إنهم يستخدمون أطفالاً صغارًا خفاف الوزن لقيادة الإبل في السباق. وهم حريصون على أن يكون الطفل خفيف الوزن: حتى لا يعوق وزنه سرعة انطلاق الجمل.

رأوا في ذلك قسوة على الأطفال وإساءة لاستخدامهم. وكان لابد من حل. وتقدمت إحدى الشركات السويسرية بالحل. وهو استخدام إنسان آلي مصنوع من التيتانيوم يربطونه فوق ظهر الجمل. وعلى

صلة إلكترونية بصاحبه الذي يوجهه ويدفعه إلى الانطلاق وذلك بالضغط عليه؛ فيخرج منه كرباج يضرب الجمل من الأمـام أو من الخلف تمامًا كما لو أن طفلاً (جوكي) هو الذي يقوده ويستحثه على الجري. وسوف يزودون الروبوت بعدسات تجعل صاحب الجمل يرى بوضوح ماذا يفعل وماذا يفعل غيره من الإبل المنافسة له.. وهي فرصة جديدة لشركات الإلكترونيات للتنافس في صناعة (الجوكي الإلكتروني).. وتزويده بصوت وصورة حتى يبقى الماضي حيًا وفي أحدث صورة!

لا أعرف كم مرة ولا كم سنة ناديت وطالبت وصرخت واستصرخت العلماء أن ينقذوا أطفالنا من (عروس المولد). إنها ليست عروسًا وإنما هي قاتلة.. وإن كانت لا تلد فمن المؤكد أنها أم السرطان الذي يظهر بعيدًا خفيًّا في دماء الأطفال. ولا من شاف ولا من دري. والحكاية أن العروس –أسطورة العروس– ليست هي السبب.. وإنما إنتاج العروس في آنية صدئة وفي مهب الذباب في الريف هما السبب.. ولكن السبب الأليم هو اللون الأحمر الصارخ الذي يستخدمونه لتبدو العروس جذابة تلفت عين الطفل. هذا اللون هو السام. قلت ذلك كثيرًا.. وتلقيت دعوات وبكائيات من باحثين وباحثات جف ريقهم وهم يقدمون دراساتهم العلمية إلى وزارات التموين والصحة والداخلية والسياحة!

وقد تلقيت من الكيميائي عباس صادق المدير العام السابق بالهيئة القومية للرقابة الدوائية: أن هناك جداول معترفًا بها دوليًّا بالألوان المسموح باستعمالها في الغذاء والدواء، وهذه الجداول تضع أرقامًا للألوان المختلفة. والمشكلة تكمن في هذا السؤال: هل لدينا رقابة كافية على الأغذية والأدوية تضمن عدم تسرب أي لون غير التي وردت في الجداول الدولية؟! ولا أعرف كيف أرد على سؤالك. ولكن هناك كل شيء. عندنا كل القوانين لكل شيء. ولكن ثبت لدينا جميعًا أن أبغض الحلال عندنا هو القانون. وأحب الأشياء لدينا هو

أن ندوس القانون وأن نتفنن في ذلك! وأذكر أن أحد وزراء الصحة السابقين تحمس لهذا الذي قلت وكررت ومللت.. فذهب إلى أحد المصانع، وأغلقه وظن أنه بهذا يخيف بقية المصانع.. وظننت أنا أيضًا. وبعد أسبوعين ذهبنا لنرى. فعلاً كان المصنع مغلقًا. ولكن صاحب المصنع فتح أربعة مصانع أخرى على مدى أمتار!

ليس لون العروس فقط.. وإنما لون الورق الذي نلف به الحلوى.. طبعًا لا أستطيع أن أمنع أحدًا من استخدام ورق الصحف ذي الحبر الأسود من أن يلف به الجبنة والحلوى وغير ذلك من الأطعمة! يعني إيه؟ ليس القانون وإنما حماية القانون بالقانون الذي في يده عصا غليظة هو الحل!

أم لكـــل الصغـــار

في كل التاريخ أثبتت أمهات الحيوان أنها أم لكل الصغار من الحيوانات والإنسان. فذئبة أرضعت طفلاً -كما في القصة الفلسفية (حي بن يقظان) للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل، فالغزال أرضعت طفلاً. وكم من أمهات الذئاب أرضعت أطفالاً وكلابًا، وكذلك أمهات الإنسان أرضعت حيوانات صغيرة يتيمة. والصغار سعداء بهذه الأمومة، والأم سعيدة بهذه البنوة.

ومن حديقة حيوان موسكو، خرجت نداءات للبحث عن أم بديلة فقد ماتت نمرة أم، وتركت صغارها بلا أحد يرضعها. وتقدمت أمهات ليرضعن هذه النمور، ووجدوا كلبةً ترضع نمرًا صغيرًا. ومن المعروف أن النمر الصغير يزيد كيلوجرامًا عند ولادته وينمو بمعدل 80 جرامًا يوميًّا. وإذا كبر فمن الصعب أن يجدوا له قطة أو كلبة ترضعه. فحاجته إلى اللبن أكبر من قدرة أي أم أخرى.. ويظل النمر يكبر حتى يبلغ وزنه نصف طن..

وقد عرض التليفزيون الروسي صورة النمور وهي ترضع من كلبة.. وكلها سعيدة معًا!

وجاءني من د. أحمد شفيق الخطيب أستاذ بكلية التربية للبنات بالطائف بالسعودية أن هناك كتابًا تراثيًّا معروفًا هو (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) من تأليف أبي بكر محمد بن خلف بن

المرزبان، وفي الكتاب قصة كلبة أرضعت طفلاً، وجاء طاعون جارف أهلك القرية. وأغلق الناس بيوتهم. وبعد شهور عادوا إليها وفوجئوا بطفل صغير يحبو ويلعب مع كلب صغير هو ابن لكلبة كان يملكها أصحاب البيت، ولما رآها الطفل أقبل عليها فاحتضنته وأرضعته..

وكتب أ. د. سيمون نجار مصري يعيش في كندا أنه كان يبحث عن كتاب عن كلب يملكه، فوجد بالصدفة كتابًا عن (الكلاب والإنسان). وفي أحد الفصول وجد قردًا يرضع طفلاً ولبوءة ترضع ذئبًا وذئبة ترضع قطة وكلبة ترضع طفلاً وأمًّا بشرية ترضع نسناسًا، وكلها حكايات ونوادر موثقة.. سبحان الله!

إنها الأمومة الخالدة التي لولاها -أي لولا عطاؤها وتسامحها مع كل أنواع الصغار- ما عاش الإنسان والحيوان.

الهجوم على التليفزيون

رمضان الكريم هو موسم الهجوم على التليفزيون المصري لكثرة برامجه وتنوعها في كل القنوات، ولكنه ليس موسم الهجوم على المشاهد المصري الذي يريد أن تكون قنوات التليفزيون مثل موائد رمضان: فيها البارد والساخن والحلو والحراق والفول واللحم، ومن الضروري أن يبتلعها كلها. ثم نسمي هذا الشهر الكريم هو شهر الصيام!

فليس من المفروض ولا من المعقول أن يجلس المشاهد من الفطور للسحور يرى قناة واحدة أو يتقلب بين القنوات المصرية والعربية والعالمية وأن يتابعها ويستوعبها كلها! وإنما بعض القنوات بعض الوقت.

أما أن يجد متعة أو لا يجد فهذا شأنه. والتليفزيون قد قام بواجبه على قدر استطاعته. أما المشاهد فله أن يختار وليس من الممكن عرض كل المسلسلات معًا في وقت واحد. ولا من المعقول أن يراها كلها أي إنسان ولا أن نجعلها كلها مضحكة وفي الوقت نفسه نسمي ذلك فنًا واقعيًا.. فالواقع لا يبعث كله على الضحك وإنما هناك مشاكل اجتماعية ونفسية وتاريخية. والفنانون يحاولون إرضاء المشاهد، ولأنهم يحاولون فقد ينجحون أو يفشلون.. وقد يزهق المشاهد.. وهذا طبيعي، ولو أننا جلسنا أمام أعظم شبكة تليفزيونية

وهي (سي. إن. إن) فإن الإنسان سوف يصاب بالجنون؛ لأنها سريعة الإيقاع وسريعة التنقل بين أركان الدنيا والفضاء، وأعماق البحر، وكل العواصم، وتعيد وتزيد فتفوتة إخبارية كل ساعة. إن ملاحقة الأحداث تصيب أي إنسان بالتوتر الشديد، ولا يمكن أن يرضى عنها أي أحد.. ولا أن يهرب منها. ولكن لابد أن يهرب.. لا لأنها رديئة، ولكن لأنها تحطم الأعصاب برغم اعترافنا بأنها أعظم ما ابتكر الإنسان في هذا الزمان.

وكما أن موائد رمضان ليست سيئة فكذلك التليفزيون المصري.. والعيب في المشاهد أو الصائم الذي يريد أن يلتهم كل ما أمامه وبسرعة، دون وجع في عينيه أو في بطنه!

نفرتيتـــي قاتلـــة

لا أحد يتصور لحظة واحدة أن الملكة نفرتيتي قاتلة. صحيح أنهم قتلوها لأنها ساندت زوجها أخناتون أول من دعا إلى التوحيد في التاريخ ولكن عالمة الآثار البريطانية جوان فلتشر في كتابها الجديد تؤكد أن الملكة الرقيقة الناعمة قد قتلت بدافع الغيرة؛ فهي قد أنجبت للملك أخناتون ست بنات. ولم تفلح في أن تأتي له بولي العهد. ولكن زوجة مجهولة أتت له بالولد توت عنخ آمون والحكاية لها بداية سنة 1898 عندما كشف الفرنسيون عن مقبرة في وادي الملوك بها ثلاث مومياوات إحداها للملكة نفرتيتي: قوامها، رقتها، عمرها، ملامحها. ولكن المومياء بلا قدمين. هل قتلوها ثم شوهوها حتى إذا بعثت يوم القيامة كانت مشوهة.. أو بعد أن ماتت؟

وفي كتابها «البحث عن نفرتيتي ـ القصة الحقيقية لإعادة كشفها» تقول جوان فلتشر إن نفرتيتي كانت فاتنة وكانت مثيرة.. وكان من عادتها أن تتفانى في إدخال السعادة على زوجها.. تضع العطور والدهون.. وكانت ترقص عارية أمام فرقة موسيقية من العميان.. وكانت تجلس على عرشين في وقت واحد: عرش مصر وقلب وعقل الملك أخناتون. حتى علمت أن زوجة لا تعرف أين هي الآن قد أتت بالولد، ثم ماتت وهي تلد للمرة الثانية.

فهل هي ماتت أو نفرتيتي قتلتها؟

أمـا الملك تـوت فقد مـات قتيلاً. ضربوه على دماغه ولا يزال واضحًا في الجمجمة. والملك توت هو أشهر ملوك الدنيا.

وهو لم يكن لـه أي أثر في مصر ولا فـي الحضارة الإنسانية. وإنما موته كان أعظم من حياته. ومقبرتـه هـي كنز الكنوز الفرعونية.

أما تمثال نفرتيتي فقد عثروا عليه سنة 1912 وعندما طلبنا من ألمانيا أن تعيده لنا، رفض هتلر.. والتمثال بعين واحدة.. فعندما هاجم الكهنة الاستوديو الذي يعمل به الفنان أخفاه في الأرض قبل أن يضع إحدى العينين في مكانها. ولم تعثر العالمة البريطانية على صنادل الملكة نفرتيتي. فقد كان من عادة الملوك أن يرسموا أعداءهم على نعال أحذيتهم؛ ولذلك لم نعرف إن كان الكهنة فقط هم الذين قتلوها. ولابد من إكمال حلقات هذه الجريمة من مقابر أخرى!

العـــرب يذبحـــون؟

ما الذي يجري في دارفـور؟ نحن لا نعرف إلا ما تقوله وسائل الإعلام العالمية؛ إنها صورة مصغرة لما حدث بين السودان العربي شمالاً والسودان الزنجي جنوبًا. مـاذا حدث؟ يقولون: العرب يذبحون الزنوج. العرب يبيدون العبيد. إنه الهولوكست العربي..

ففي دارفـور –إحدى المحافظات غرب السودان– يوجد تمرد.. الزنوج يتمردون على العرب بمساعدة قرنق، وقد جندت حكومة السودان قوات مرتزقة هي الجنجاويد أو (الأجاويد) تقتل وتنهب وتسلب وتغتصب وتهتك الأعراض وتذل العبيد.. أما البنات الصغيرات فبعد اغتصابهن فإنهن للبيع.. ويصف الإعـلام الغربي سياسة السودان الرسمية في دارفور بأنها: إبادة بشرية.. اغتصاب منظم.. إحراق للقرى.. إذلال.. امتهان.. الخرطوم وحدها لا شريك لها هي المجرم الحقيقي.. ويجب أن تلقى ما تستحقه من عقاب عالمي؛ ولذلك تحطم قلب الأمـم المتحدة والدول الأوروبيـة، والمنظمات اليهودية فأرسلت الطعام الذي تلتهمه الخرطوم، والدواء الذي تحتجزه الخرطوم.. وبريطانيا تهدد بإرسال قوات إلى السودان.. والإنجليز أكثر خبرة وأقدر على تفتيت السودان، وإيجاد المشكلات الحدودية والاجتماعية والعرقية والدينية والقومية.

فـإذا جـاءت قـوات بريطانيا ومن بعدها قـوات الأمـم المتحدة فمعنى ذلك أنه يستحيل وقف الدماء بين الشمال والجنوب، أي أن

الانفصال الذي تسعى إليه أوروبا وأمريكا قد تحقق نهائيًا؛ لأن دارفور نموذج صغير وبؤرة جعلوها سامة وأكبر دليل إدانة لحكومة السودان. إذا كانت الأمم المتحدة قد سكتت عن السودان شمالاً وجنوبًا، فقد نفد صبر العالم الرقيق القلب، والذي لا يرق ولا يدق لشهداء فلسطين والعراق!

إن غلطة حكومة السودان كانت فادحة في دارفور عندما سلطت شعبها على شعبها، وأعطت العالم الفرصة الذهبية التي ينتظرها.

فعلى الاتفاق والوفاق بين البشير وقرنق السلام، ولا أمل في أي سلام بعد ذلك!

قصــة يوســف وإخوتــه

إنها قصة هابيل وقابيل، قصة يوسف عليه السلام وإخوته، قصة حقد أخ على أخ، أخ مغمور على أخ مشهور..

وفي العصر الحديث نماذج كثيرة لذلك، أخو الأديب الأمريكي همنجواي وأخو الرئيس كارتر الذي كان صديقًا لعدو أخيه: القذافي يبيع له ويشتري منه، وأخو الرئيس كلينتون كان سكيرًا عربيدًا يخرج من حانة ليدخل سجنًا، وأخيرًا أخو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا، كان يحتكر جمع القمامة في ميلانو، وكانت عنده أكبر شركة زبالة في أوروبا، فقد فرض على الناس إتاوات وكسب عشرات الملايين.. ودخل السجن، وخرج ليدخل مرة أخرى لإعطاء شيكات بلا رصيد، ودافع عنه أخوه رئيس الوزراء واتهم خصومه بأنهم يريدون تشويه صورته حتى يسقط في الانتخابات..

وأخيرًا المرشح الرياسي جون كيري له أخ اسمه كاميرون كيري اعتنق الديانة اليهودية سنة 1981، وأوفده أخوه أخيرًا إلى إسرائيل، والمعنى أنه قريب منهم وأنهم على البال والخاطر.

والحقيقة أن جون كيري من أصل يهودي، وأخوه عندما تحول إلى اليهودية، لم يكن الهدف أن يتحول وإنما أن يرتد إليها، وأن يؤكد أن أخاه جبان وأنه خاف من الأغلبية المسيحية؛ لأن عينيه على البيت الأبيض من زمان، فالأخ لم يكن حسن النية!

وكذلك إخوة الرؤساء عبد الناصر والسادات والأسد وصدام.. أما أخو الممثل المخرج المؤلف والموسيقار شارلي شابلن، فقد حاول كل شيء يسيء إلى أخيه، حيًّا وميتًا، فادعى أنه هو الذي كتب له، وادعى أن موسيقى (أضواء المدينة) قد سرقها منه، وأنه ليس صحيحًا أن حيوية أخيه نابعة من ذاته، وإنما من خلاصات نباتية وحيوانية تجيء إليه سرًّا من شرقي آسيا، ولم يمت شارلي شابلن، ولكنَّ أخاه مات –وإخوة الزعماء– وكأنه ما عاش!

وحتى لا أتجاوز حدودي وقدراتي وتجاربي في مشاهدة كرة القدم وقراءة تعليقات الخبراء، فإنني أشير إلى اللاعبين المصريين الذين فسدوا.. انـهـاروا.. ولا أقـول إنهم في الدرجة الأولـى ضحية للجماهير أو الشهرة والفلوس والجنس والمخدرات..

مع أنها جميعًا أسباب تكفي لهدم أي كبير، لاعب أو حاكم. وإنما أنا ألقي اللوم في الدرجة الأولى على النقاد والمعلقين الذين يسرفون في استخدام مفرداتهم المحدودة وتشنجاتهم وتعصبهم الأعمى، للاعب أو النادي..

والمرات القليلة التي استمعت فيها إلى السادة المعلقين أفزعني ما سمعت من أوصاف خرافية وجزافية للاعبين المفاعيص.. ما الذي يراه اللاعب في نفسه إذا قيل له: يا عظيم، يا عبقري.. يا للي ما جبتكتش ولادة.. ياولد يا أبو رِجْل ذهب.. إيه الأبهة دي.. إيه ده؟ بيليه ولاً بوشكاش ولا أويـن.. ولا زيـدان.. إيـه؟ إن أكثر اللاعبين لا يعرفون كتابة هذه الكلمات!

وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذه الرَّكلات التي وصفها المعلق الفذ لم تصب الهدف.. وإنما هو قد رأى الكرة عند انطلاقها من قدم المفعوص العظيم صاروخًا، فليكن!

ولكن كل هذه الصواريخ لم تدخل بين الثلاث خشبات.. وإنما في السماء! سألت الناقد الكبير (....): قل لي من فضلك أنا لا أدعي العلم

بكرة القدم وفنونها ولا أعرف إلا قليلاً من نجومها، وأعرف أن عددًا منهم قد نجح في حياته العملية وفي شركاتهم العالمية. ولا يزالون يحتفظون برشاقتهم وحيويتهم برغم تقدمهم في السن. وأعرف أن قليلاً من هؤلاء الموهوبين قد نجحوا كآباء وأزواج وأحسنوا تربية أولادهم.. أما السبب فهو أن الطبل الرياضي والزمر الإعلامي لم يحطم جوهرهم ويفسد أخلاقهم.. وهؤلاء هم الناجون من النار.. نار الغرور؛ لأنهم على قدر كبير من الاستقامة الأخلاقية.. أما هؤلاء المساكين الموهبون الصغار أبناء الشوارع فهم ضحايا الأقلام والكاميرات والجميلات.. وسوف نرى سقوطهم من مباراة إلى أخرى وانهيارهم بين الأندية دون عذاب للضمير.. ضمير الناقد والمعلق والقراء!

هنـــاك فـرق كبيـــر

ولماذا لا أكتب عن مباريات كرة القدم العالمية مادمت قد تفرجت عليها؟

وجدت صعوبات كثيرة، فأنا لا أعرف كل هؤلاء اللاعبين ولا أستطيع أن أتعاطف مع أي أحد. فلا عندي أسباب شخصية، ولا تاريخية، ولا فنية، ولست مضطرًا إلى ذلك، ولكن حاولت أن أفهم، والذي فهمته لم أستوعبه والذي استوعبته لا يستحق الإشارة إليه.

ووجدت صعوبة أخرى في الاستماع إلى المعلقين المتخصصين، وهناك فرق كبير جدًا بين المعلق المصري والأجنبي، فالمعلق المصري لا يتوقف عن الكلام حتى لو توقف اللعب، بينما المعلق الأجنبي يترك للمشاهد متعة الصمت، أي ألا يستمع إلى المعلق الرياضي، ثم إن كل المعلقين المصريين عندهم عشرون كلمة يرددونها بتفاوت في طبقاتهم الصوتية: يا واد يا لعيب.. يا عظمة.. أهو ده اللعب يا جماعة.. يا خبر.. كان يبقى فيها كلام تاني.

ولاحظت أن المعلق الرياضي لا علاقة له بالمباراة فيمكن تسجيل تعليقاته على أي مباراة.. اليوم، وغدًا، والدورة المقبلة.. إذن لا داعي للاستماع إليه. يبقى المحللون الرياضيون، وهم أساتذة أمامهم خرائط وجداول وكلهم يجلسون في استديوهات مغلقة.. لا راحوا إلى البرتغال، ولا جاءوا منها. وأغلب الظن أنه من الصعب أن نفهم

ما يقولون؛ لأنهم مشغولون بالتنظير طول الوقت، ومعرفة المدارس التي ينتمي إليها اللاعبون الذين جاءوا من أندية أخرى.

إذن لا ضرورة لمتابعة ما يقوله أساتذة كرة القدم وأفضل لي أن أقفل الصوت، وأكتفي بالصورة، وأجري بعيني وراء الكرة ركلة بركلة، وضربة بضربة، وأن أمسح الملاعب الأنيقة ذهابًا وإيابًا، وأكتفي بكرة القدم متعة وعلاجًا!

المــرأة تقتــل الموهبــة

ليس اكتشافًا اهتديت إليه عندما أقول: إن كابتن إنجلترا دافيد بيكام قد انتهى.. وهذه النهاية، هي درس مرعب لكل من تهمه كرة القدم.

ولا داعي لأن أقول ما عرفته مئات الملايين من (مياصة) دافيد وهو يسدد هدفًا خائبًا من ضربة جزاء.. ولا خيبة أمل الملايين عندما سدد هدفًا إلى الشمس من ضربة ترجيحية -أظن لا أمل فيه.. وهي قصة مكررة بعدد النجوم الذين أفسدتهم الفلوس والنساء والشهرة والصحافة. ودافيد بيكام هو النتيجة المؤكدة لهذه القوى التي تذيب الحديد! وقد ذاب بيكام الذي يكسب الملايين من الإعلانات والجميلات والذي هو أقوى من المدربين وفوق مستوى النقد!

وقصة الفتى الجديد روني (18 سنة) هي نفس القصة؛ فهذا اللاعب موهوب ويقولون إنه عبقري من يومه يباع ويشترى الآن بأربعين.. بستين مليون إسترليني.. وله خطيبة عمرها 18 سنة أيضًا. وتعيش معه، وهو شاب كريم اشترى لأبويه بيتًا وأعطى البيت القديم لأحد أقارب أمه.. ثم إنه يساعد المستشفيات والفقراء، ويمكن القضاء عليه بسرعة بإصابته في قدمه أو ركبته، ومن الممكن أن تكون الإصابة خطيرة كما حدث مع مباراة البرتغال فأخرجوه وبلاده تبكي عليه..

وأمام هذا العدد القليل من الموهوبين يطلقون صواريخهم على الشبكة، هم أيضًا هدف لبنات جميلات بالمئات قد نصبن شباكهن في كل مكان، ومن النادر أن يفلت لاعب من شباك بنت جميلة هي صيادة بالغريزة. وقد تحدثت لندن عن الفضيحة التي وقعت بين أسرة روني وأسرة جانيت خطيبته.

والخلاف على فلوس الولد.

أما ما سوف يحدث بعد ذلك فيمكن التنبؤ به. فهناك عشرات البنات في انتظار إسقاطه في شباكهن.. ثم القضاء عليه.. والتاريخ يعيد نفسه في الملاعب والمسارح والشاشات ولكن بأثمان فادحة!

في الكـرة: لا تسامـح!

طلبت المهندس إبراهيم المعلم أحد أقطاب النادي الأهلي وسألته: ما الذي سوف تفعلونه بعد نهاية كأس الدول الأوروبية.. يعني: هل ستعرضون هـذه المباريات كلها على اللاعبين مع نقد دقيق واستخلاص للدروس المفيدة؟

ولأنه كان في برلين والمكالمات على حسابه اتفقنا على معاودة الكلام في هذه القضية.

وأنا لا أعرف ماذا ينوي أن يقول، ولكن عندي ما أقوله؛ فهذه المباريات هي أروع ما حققه أحسن اللاعبين في أوروبا بتوجيه من أحسن المدربين. ومثل هذه التجارب البديعة يجب ألا تذهب هدرًا. وإنما يجب أن تكون موضوع ندوات. فالذي رآه مئات اللاعبين على الشاشة استعراض لأعظم وأجمل ما استطاعه أبرع اللاعبين في أوروبا –من أكبرهم حتى أصغرهم اللاعب الإنجليزيويني رونيو الذي ارتفع سعره من 400 مليون جنيه مصري إلى 600 مليون..

لي قريب أستاذ جامعي زملكاوي. أما متعته فهي أن يتفرج على الأهداف التي سجلها الزمالك في النادي الأهلى فقط!!

وقد بلغ من كثرة مشاهدته لهذه الأهداف أنه يستطيع أن يقول إن في يوم كذا استطاع اللاعب الفلاني أن يسجل هدفًا من الزاوية البعيدة.. بالرأس أو وهو على الأرض.. وأذكر أنني أهديته شريط

فيديو لأحسن مائة هدف في المباريات الأوروبية.. وقد ظننت أنها أجمل هدية لواحد مدمن مثله. ما رأيك أنه لم ير دقيقة واحدة من هذا الشريط -فهو زملكاوي ضد كل ما هو أهلاوي وبس. أما المناقشات التي بيننا فهي غير مجدية. أنا أقول: كيف يكون هذا حال أستاذ جامعي كبير المقام في عالم الفيزياء ومتعصب لهذه الدرجة.. وعنده عمى ألوان.. لا يرى إلا (الفانلة) البيضاء ذات الشريطين- الفانلة خطأ. كيف تفعل في نفسك وفي أولادك وضيوفك هذا الإكراه على الرؤية وعلى الإعجاب بنادي الزمالك فقط!

وقال ويقول وسوف يقول كلامًا لا علاقة له بالتسامح أو اتساع الأفق أو الرياضة!

الإدارة أولاً

لكي نهون على نفسنا نقول: لا ينقصنا إلا الإدارة؛ أي أن لدينا كل شيء: العمل والعلم والطاقة والصبر والانضباط والجودة، ولا ينقصنا إلا شيء بسيط جدًّا هو الإدارة.. مع أن الإدارة هي أعظم من كل ذلك؛ لأنها كل ذلك وزيادة، والإدارة علم وفن. فالإدارة معناها أن تعرف بالضبط ماذا تريد وكيف تنظم إرادتك، وكيف تحققها بتوازن تام. ما هي الصحة مثلاً؟ الصحة هي علم وفن حسن إدارة وظائف الجسم. وليس ذلك سهلاً. ولو كانت الصحة سهلة ما كانت مصانع الأدوية والمستشفيات وجيوش الأطباء والممرضات. ويكفي أن نعرف ماذا فعلته وتفعله الأوبئة عندما تنعدم الإدارة لحياة الإنسان!

وفي كل الوزارات والمؤسسات والجامعات لا نبحث عن (رجال الأعمال) وإنما عن (عيال الأعمال).. فالوزير من الممكن أن يكون عبقريًّا ورئيس مجلس الإدارة ولكن في استطاعة العيال في الوزارات والشركات أن تفسد كل ما قرره الكبار. وهذا واضح في المؤسسات الحكومية فقد اعتدنا على أن نذهب إلى صغار الموظفين القادرين على تعقيد السهل، وتجريف المعتدل.. فأعظم القرارات والنظريات والمبادئ والقيم تضرب سلامًا لهؤلاء الصغار وهؤلاء الصغار بقدراتهم الهائلة هم الذين يدفعون الناس إلى الرشوة وإلى الانحراف.. فمهما تكن المبادئ سليمة والقواعد منضبطة والكبار عظامًا ـ فإن عيال الإدارة قادرون على وقف سير أعظم الأجهزة وتعطيل القانون

وإفساد الحياة العامة والخاصة.. إن هؤلاء الهلافيت جراثيم.. ميكروبات.. طفيليات.. إنهم المرض الذي يفسد الصحة العامة، أي الإدارة العامة للجسم الإنساني ولكل أجهزة ومؤسسات الدولة.

فأخطر ما ينقصنا هو بالضبط أهم ما ينقص الإنسان ليكون سليم الجسم والعقل: فن وعلم الإدارة!

مثلاً: إذا نظرت في المرآة ووجدت قردًا فلا تحاول أن تلتفت وراءك.. توهمًا أن هناك قردًا. الحقيقة أن الذي تراه في المرآة هو أنت..

ولكنَّ هناك عددًا كبيرًا من المرايا في حياتنا؛ هناك مرآتك أنت ومرآة الصديق ومرآة العدو.. أي أنك سوف ترى الصورة في عيني من يحبك ومن يكرهك ومن يتمنى لك ألا تكون.. ثم الصورة التي يجب أن ترى نفسك عليها.. فأي هؤلاء أنت!

أنت في عيني الأم أجمل وأعظم المخلوقات.. ولا تلمها فهي أم. وأنت قرد مسلسل في عيني من يكرهك ومن لا يحب في الدنيا شيئًا أعظم وأروع من اختفائك.. ثم صورتك كأجمل رجل وأذكى وأغنى وأحق الناس جميعًا بأن تنفرد بكل شيء في هذه الدنيا. هذه صورة من رسم خيالك وأحلامك وجنونك أيضًا. لقد حدثنا المفكر الأمريكي إدموند ويلسون عن فتاة كان يعرفها. وكانت لها في شقتها غرفتان واحدة كل ألوانها وردية وفي نوافذها زهور وطيور. فكانت هذه الفتاة إذا احتاجت إلى شحنة شجاعة وصلابة وعزيمة، ذهبت إلى غرفتها وتمرغت على سريرها وفتحت ذراعيها واحتضنت الدنيا كلها وخرجت أنيقة تزفها عصافيرها إلى لقاء الحبيب..

وكانت إذا غضبت أو ثارت أو قررت الانتقام أو قطع علاقتها بأحد، ذهبت إلى غرفتها الكئيبة الألوان الحزينة المعالم وإلى المرآة

لمدشدشة وراحت تنفض التراب من فوق كل شيء وبذلك تزداد نرفًا ورغبة في الانتقام. وتحس أن أظافرها مخالب وأن حرارتها غليان..

يقول المفكر الكبير إدموند ويلسون: ليست هذه قصة خيالية ولكنك وحدك تستطيع ذلك في أي يوم.. وهو يفضل المرآة الوردية؛ لأن الحياة تستحق أن نعيشها!

عرفت أمريكا العار للمرة الثانية فقد كان عارها الأول في فيتنام.. فقد انهار مركز التجارة العالمي في نيويورك، وتحطمت وزارة الدفاع في واشنطن في وقت واحد. سقطت نيويورك، عاصمة المال، وركعت واشنطن عاصمة الدولة التي خرجت منتصرة في كل الحروب، وآخرها الحرب الباردة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي..

لقد كانت الضربة قاسية مثل إغراق اليابان للأسطول الأمريكي في بيرل هاربور.. وكانت صاعقة مثل اجتياح ألمانيا لبولندا سنة 1939. كما كانت عدوانًا على الكبرياء الأمريكية. مثل العدوان على الكبرياء اليابانية بالقنابل الذرية ومثل عدوان ألمانيا على فرنسا باجتياحها خط ماجينو سنة 1940.

وفي التقرير الرسمي «567 صفحة» لما حدث.. كانت لدى المخابرات والمباحث معلومات عن ضربة محتملة، ولكنها احتفظت بها في ملفاتها وسكتت لا حس ولا خبر!!

بينما استطاع 19 شابًا مسلحًا بالسكاكين ومسدسات الغاز تعلموا الطيران في أمريكا وتدربوا في ألمانيا أن يحدثوا معجزة علمية.. صحيح أن بن لادن مهندس مدرب ومحمد عطا أيضًا.. ولكن الذي تحقق وبهذه الدقة الخارقة المخترقة لكل الاستحكامات الإلكترونية، أمر عجب؛ إذ كيف يدبره وينفذه سكان الكهوف الأفغانية؟!!

وتأكد خوف أمريكا وتأكدت كراهية العالم الإسلامي لها -بعد الذي ارتكبته في أفغانستان.. لقد أسقطت نظام الطالبان ليعود أكثر قوة.. ومن أجل البحث عن بن لادن في أفغانستان وباكستان ضربت العراق وغدًا تضرب سوريا وبعد غد إيران.. ولم تجد في العراق لا أسلحة دمار شامل ولا علاقة لصدام حسين بالقاعدة! وضرب العراق مستمر، وقتل الأمريكان أيضًا. فأمريكا أعطت لأعدائها فرصة ذهبية وهي أن يروا دماء وأشلاء جنودها وحلفائها.

وهكذا تسقط أساطير كثيرة: إن أمريكا لم تحارب على أرضها، وإنها هي الحرية والشرف والأمانة والديموقراطية، ثم إن حكام أمريكا يبتزونها: يبيعون ويتاجرون في خوفها وعارها ودمارها من أجل النجاح في انتخابات الرياسة..

فمن أجل البيت الأبيض كانت بورصة أيلول الأسود!

لـــم أجـــد جديـــدًا

تجربة قامت بها صحيفة (ديلي ميل) الإنجليزية.. اختارت أديبة لترتدي ملابس الرجال، وتعايشهم في الكباريهات ولو ليلة.. وفي الكباريه نساء وخمر وتوتر.. أي ساعات الضعف عند الرجل.. فما الذي حدث؟ ثم جعلت أديبًا يرتدي ملابس النساء، ويحشر نفسه وسط النساء، والغانيات ويشرب ويدخن وينتظر. وكتب الاثنان ما شاهداه. وقرأت ولم أجد شيئًا جديدًا لم أكن أعرفه عن الرجل أو عن المرأة؛ فكلاهما قد بالغ في التظاهر بالأنوثة أو بالخشونة. وكل منهما لم يحجب عن القراء خوفه من أن يفتضح أمره بين السكارى.

واختيار الصحيفة للرجل والمرأة كان موفقًا تمامًا؛ فالرجل في ملابس المرأة وماكياجها كان لا يختلف عن أية امرأة.. والمرأة في ملابس الرجل وملامحه وحركاته الغليظة وسيجاره كانت لا تلفت عين أي أحد؛ لأنه في جلباب الجنس الآخر..

فكلاهما لا ينسى أنه ينتسب إلى الجنس الآخر..

ولا يستطيع أن يكون غير نفسه وغير تاريخه؛ ولذلك لم أجد جديدًا قد أضافوه لما نعرفه جميعًا عن الذي يحدث في تلك الأماكن وسط الدخان والكحول والجنس والفلوس والخوف والمغامرة.. لماذا؟

لأن الرجل ليس مائة في المائة رجلاً.. ففينا جميعًا نسبة من الجنس الآخر.. والإغريق عندما صوروا لنا أسطورة الرجل والمرأة، جعلوها حيوانًا له أربع من الأيدي وأربع من السيقان وأربع من العيون. ثم انقسم الاثنان.. ولا يزال كل نصف يبحث عن النصف الآخر.. يجده أو يفشل في ذلك.. والنسبة من الأنوثة والرجولة طالعة نازلة حسب الأحوال –هل تستطيع أن تجرب؟ سوف تندم!

شخصيـــة لا شخـــص..

كانت الجلسة السنوية للمجلس الأعلى للثقافة هادئة، ولم تكن هناك صعوبة في اختيار كثير من المرشحين، ابتداء من الأديبة إقبال بركة والمخرجة إنعام محمد علي مرورًا بالرسام مصطفى حسين والطبيب المؤرخ محمد الجوادي وانتهاء بالنحات آدم حنين والمؤرخ الكبير يونان لبيب رزق.

لقد كانت هناك أسماء لا خلاف عليها –على قدرتها وموهبتها وإبداعها– أمام بعض الأسماء كنا نتساءل ونندهش ما الذي أتى بهم إلى هنا. ويكون الجواب: توريطة إحدى الجمعيات أو الجامعات، وسوف تعود هذه الأسماء في العام المقبل ولنفس السبب.

سألت جاري وبلدياتي المفكر الكبير كامل زهيري، سألت زميلي في الفلسفة أ. د. مصطفى سويف، سألت د. ليلى تكلا سألت د. زاهي حواس. وتبادلنا الإجابات والدهشة والعجب.. واخترنا.. بعض المرشحين الممتازين لم نعرف عنهم إلا القليل، ولكنهم كانوا يعملون ويبدعون وينشرون ولكن أعمالهم لم يعرفها أحد: فقد خجلوا أو تحرجوا أن يبعثوا بإنتاجهم حتى لا يظن أحد أنها رشوة!

وقد تنبأ بعض الزملاء بأن الاختيار سوف يكون صعبًا في السنوات المقبلة عندما تتقارب أقدار المفكرين والفنانين، وعندما تتساوى القامات العالية. هذا أفضل –ولكن من العدل أن ينال كل

صاحب موهبة حقه من التقدير؛ فهذا التقدير الأدبي الرفيع أهم وأغلى وأعظم من الجائزة المادية..

سألني زميل: هل قرأت ما نشرته الصحف البريطانية عندما اختاروا أستاذ الشعر في جامعة أكسفورد؟ هل قرأت كيف انشغلوا باختياره وكم عدد الذين حضروا من القارات الخمس؟ قلت: نعم. إن الإنجليز عندما اختاروه أحسوا كأنهم اختاروا أمير الشعر ملك الحلم إمبراطور الخيال.. جميل الجميلات..

وقلت: لقد جاء في إحدى كلمات الحفاوة بأستاذ الشعر: إننا لم نختر شخصًا. وإنما اخترنا شخصية. إننا لم نختر فردًا لقد اخترنا قدوة.. نموذجًا للموهبة ونموذجًا لحرية التقدير والتعبير.. وأعتقد أن ذلك كان شعورنا جميعًا..

كيف ينطقون؟

من ضمن عاهات المصريين: نطق الكلمات الأجنبية خطأ. وليس الصغار فقط وإنما الكبار أيضًا. ابتداء من كلمة برافو وبرج إيفل وفيفا -فهم جميعًا ينطقون الفاء مثل فيتامين- أي عليها ثلاث نقاط. وبعضهم يدعي أنه يقرأ الصحف الأجنبية. ومن العجيب أن كثيرين يعرفون النطق الصحيح. ولكنهم لا يكلفون خاطرهم بأن ينبهوا إلى هذا الخطأ. وكأن الأمر لا يعنيهم ولا يعني أولادهم الصغار الذين يتأثرون بما يسمعون على أساس أن المتحدثين في التليفزيون هم أكثر الناس ثقافة وعلمًا.

وبقدر ما أعجبني برنامج عمرو الليثي عن صفر المونديال ضايقني جدًا أنه أيضًا ينطق كلمة (فيفا) خطأ. فقد كان كل شيء في البرنامج ساحقًا ماحقًا.. إلا هذه الكلمة التي لطخت البرنامج- فلا يوجد أي عذر لنطقها خطأ!

أما أسماء اللاعبين الأجانب فهي مضحكة أيضًا مع أنه يمكن السؤال عن ذلك. أما المعلومات عن الدول التي تلعب فبعضها هزيل جدًا. وبعضها خطأ أيضًا. فأحد المعلقين قال لنا إن البرتغال مثل البرازيل يتكلمان اللغة اللاتينية. والحقيقة البسيطة أن البرازيل تتكلم البرتغالية..

ومن المعلومات عن هذه البلاد أيضًا ما قاله أحد المعلقين: وهذه البلاد مشهورة بزراعة البرتقال ومن هنا كان حبهم للون الأصفر- يقصد هولندا؟!

ويقول أحد المعلقين إنهم جاءوا ينتقمون من المذابح الألمانية أيام هتلر –أي من سبعين عامًا. ومن سبعين عامًا لم يكن قد ولد من كل الموجودين في الملعب سوى الحكم. ونسي سيادته أن مزايا الرياضة أنها تذيب الفوارق والطبقات واللون والدين واللغة بين الشعوب فيغتسلون من أدران الحياة اليومية في نشوة وحماس نبيل بريء.. ولا يجد الخادم وسيده حرجًا في أن يتحدثا وأن يقول أحدهما للآخر: غلبناكم أو غلبتمونا..

إن بعض المعلقين في حاجة إلى تربية رياضية وتعليم أيضًا. فليس التعليق ثرثرة وزعيقًا، ومن حلاوة الرياضة أنها تقوم بتمشيط مشاعر الناس ودغدغة أعصابهم!

فضـــل أمريكـــا علينـــا

يوم التخرج في أكاديمية القوات الجوية، قال الرئيس بوش كلامًا كالدرر المنظومة في سلك التعالي وسوء الفهم. تحدث بوش عن فضل أمريكا على الدنيا. فهي التي حررت الشعوب كما حررت العبيد الأفارقة والهنود الحمر والأمريكان من أصل ياباني في أثناء الحرب العالمية الثانية، تمامًا كما تحرر الشعب العراقي وتساند تحرير فلسطين، وسجون الخمسة نجوم في أبو غريب وجوانتانامو.

واندهش بوش وهو يهاجم المحللين الذين ينعتون أنفسهم بالواقعيين ويتساءلون:

وما شأن أمريكا بحرياتنا وعقائدنا؟ ويرد الرئيس بوش: إن هؤلاء الواقعيين ينسون واقعًا مؤكدًا هو أن الحرية إذا عطست في أي مكان أصيبت أمريكا بالزكام. ثم يرش ماء الورد على الكرة الأرضية فيقول: إن أعداءنا أصبحوا يتذوقون طعم الحرية: اليابان وألمانيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية وإفريقيا وآسيا (أفغانستان والعراق وفلسطين)... ويقول الرئيس بوش: إننا في حاجة شديدة إلى خبراء في اللغة العربية وتاريخ الشرق الأوسط.. وإلى مخابرات ذكية واعية وأكثر اقتدارًا..

أما اللغة العربية فكثير من رجالهم يعرفونها جيدًا. ولكنه الفهم واحترام حياتنا وعقائدنا. أما المخابرات فقد قالت –وصدقناها–

إنها تعرف دبة النملة في بغداد والبصرة وتعرف ماركة قميص الرئيس صدام وما لا نهاية له من أسلحة الدمار الشامل. وكان من الطبيعي إقالة رئيس المخابرات الذي استخف بالرئيس والإدارة والشعب..

وبالأمس شيعت أمريكا رئيسها ريجان. وهو من أنجح رؤسائها وأخفهم دمًا لدرجة أن كلمات التأبين كانت تتخللها نكت وقفشات ريجان. فقد ضحكوا لما قاله بوش الأب وبوش الابن ورئيس وزراء أيرلندا، أما الرئيس كلينتون فكان غارقًا في النوم..

وكان ريجان يؤمن بأن صدام أعظم زعماء العرب؛ ولذلك أغدق عليه القروض من بنوك إيطاليا وقدم له العالم الكندي الذي صنع له أكبر مدفع في التاريخ وقد اغتالته إسرائيل..

ثم لقي صدام حسين ما لقيه عملاء أمريكا من مثل بن لادن والرئيس نورييجا ومنجستو مريام وأحمد الجلبي وغيره من الزعماء العرب.. لكن ليس قبل أن يضاف نهر من الدم بين دجلة والفرات سوف نعرف هؤلاء الخونة!

إنهــم: ولا حاجــة

جلست أناقش عددًا من الشبان. قالوا. ففهمت شيئًا لم أكن على يقين منه. وفي نهاية اللقاء قلت سوف أكتب عنكم.. وسوف أذكر بعض الأسماء وكتبت. والتقيت بهم بعد أيام. فوجدت أنهم لم يقرأوا ما كتبت. ولا انتظروه.. وعدت أسألهم: ما الذي كنتم تتوقعون أن أكتبه؟ لم يتوقعوا شيئًا. سألتهم: ماذا لاحظتم أنه قد همني وأهمني؟ لم يروا شيئًا. سألت إن كان في نية أحد من الذين ذكرت أسماءهم قد بحث عن مقالي ليرى اسمه وما جاء على لسانه. الجواب: لا..

وفي لقاء مع طلبة (جامعة مصر الدولية) حرصت على أن أعرف من الذي يقرأ في أي موضوع، ومن الذي يمتلك مكتبة خاصة -وقد رخص ثمن الكتب وأصبحت لكل الناس مكتبات عامة.. قليلون يقرأون.. قليلون جدًا من عندهم مكتبة خاصة. سألت عن اللغات التي يقرأون بها.. طبيعي أن الذين تعلموا في مدارس أجنبية يقرأون أيضًا بلغاتها.. قليلاً أيضًا! ثم لقيت عشرين طالبًا تخرجوا في كلية الاقتصاد. سألتهم، أجابوا، تضايقت. لم يتضايقوا. ضحكوا عندما قال أحدهم إنه يقرأ مجلة (ميكي)، وهو لم يضحك وإنما قال: لا أكذب عليك. فليس أسهل من أن أذكر لك عشرين كتابًا سمعت عنها وأدعي زورًا أنني قرأتها؟! حزنت!

رجعت أتساءل وأفكر: ماذا بعد؟ ما الذي نتوقعه من هذه اللامبالاة. وهل هي مرحلة ما بعد التخرج -أي بعد التعب والسهر

والقرف وانتظار الوظيفة وبنت الحلال. قلت: أجيبوني. فأجابني بعض الآباء. إنهم كانوا كذلك ولكن بعد أن انقشع الضباب والهباب مدوا أيديهم إلى الكتب المفيدة.. ثم قرأت في صحيفة (الفيجارو) الفرنسية رسالة يشكر فيها أحد الطلبة والدته التي سافرت يقول لها: لقد وجدت كل الدنيا أقرب. وكنت أتمنى أن تكوني أنت الأقرب.. انتهى كل شيء.. فأبي قد هاجر وأنت سافرت. لقد أفرغتما الدنيا من كل معاني الحب والانتماء دون دمعة على خد واحد منكما. ثم تعيبان على شباب اليوم أنه لا قلب لهم ولا أمل فيهم. من الذي ارتكب مذبحة الأمل في أن يكون الإنسان أي شيء.. منتهى الظلم للجميع.. والحل: أن نجلس ونتفاوض ونتفاهم ونتفق اليوم أو غدًا على حق الحياة الكريمة!

أحد علماء الفلك الإنجليز قال: إن التنجيم لا يخلو من الصحة.. السبب: هو أن الجاذبية لها أثر على حياة الإنسان والحيوان والنبات.. يقصد الجاذبية التي تصيبنا من الأرض والشمس والكواكب الأخرى. وقد اندهشت الهيئات العلمية أن يصدر مثل هذا الرأي من عالم فلكي كبير. ويرى هذا العالم أن من عيوب العلماء ادعاءهم أنهم على يقين من كل شيء. والحقيقة أن اليقين ليست هي الكلمة العلمية الصحيحة. فكثير من النظريات العلمية قائمة على الظن أو الاحتمال أو الترجيح. ومن المعروف أن 2+2 لا تساوي أربعة في أحوال كثيرة. مثلاً: رجلان ورجلان= أربعة رجال. الجواب لا طبعًا. فلا يصح ذلك إلا إذا تساووا جميعًا في الوزن وكل الصفات الأخرى.

وعلى ذلك فرجل + رجل لا تساوي رجلين. ولا تفاحة + تفاحة.. ولا بطيخة + بطيخة. إذن ليس من العلم في شيء أن نقطع بصحة هذا وخطأ ذاك!

حتى في التنجيم لا يستطيع العراف أن يقطع بما لديه من معلومات. وقد تلقيت من المهندس الاستشاري فاروق الحديني أنه نشر في إحدى المجلات الأمريكية سنة 1993 أن الرئيس كلينتون سيتعرض لفضيحة كبرى. وقد كان.. وكتب يحدثني عن برجي أنا وهو برج الأسد تمامًا مثل: كلينتون وجاكلين كيندي ومونيكا

لوينسكي ونـابـلـيـون وكـاسـتـرو وقـائـد جيوش تـحـرير الكويت شفـارتسكويف والممثل داستن هـوفمـان ومـادونـا –كل هؤلاء لديهم الشمس في برج الأسد. فـأين التشابه بينـهم جميعًا؟

ويقول إن تفسيرات وجود الشمس في برج الأسد كثيرة ومتنـاقضة فمن هو العراف الذي يستطيع أن يختـار من هذه المتنـاقضات ما يفسر حـالك اليوم وغـدًا. وكما قلت سيـادتك إن التوائم تـختلف في شكلها وعمرهـا..

وتلقيت من د. صمويل سيدهم من كندا أن لـه خبرة بشئون التنـجيم وأن 80٪ من توقعاته جـاءت صحيحة وخصوصًا إذا كـان يعرف الأشخـاص. فهو يـختـار مـا ينـاسب تكوينـهم الجسمي والنفسي –وكلها اجتـهادات والله أعلم!

يرى المهندس سيد مصطفى أبو السعود أن سبب كرمشة أوراق البنكنوت هو أن الأم تأمر أولادها بأن يطبقوا أيديهم عليها عند الذهاب للشراء.

وأن الأوراق بها فراغات تغري بالكتابة عليها، وأن الأوراق تتدحرج بين الأيدي النظيفة والأيدي القذرة. والمصريون يستخدمون العملة الورقية؛ لأنهم لم يعتادوا التعامل مع البنوك، وقليلون هم الذين يستخدمون البطاقات البلاستيك الائتمانية..

تقول السيدة أنطونيا أرمنيان من أمريكا إن الناس كانوا يندهشون بل يتغامزون عندما أخرج من جيبي ورقة فئة مائة دولار. وكان بعضهم يتطوع بأن ينصحني بأن هذه الورقة عرضة للخطف. يعني يجب أن أستخدم البطاقة البلاستيك، لا أحد هنا ولا في أوروبا يستخدم الأوراق المالية إلا نادرًا.

و د. منى محمد راشد من المعهد القومي للجهاز الحركي والعصبي تقول: إن العملات الورقية القذرة مشكلة صحية أيضًا، وليس حل هذه المشكلة طبعها على ورق جديد، وإنما استخدام العملات المعدنية كما هو متبع في الدول الأكثر احترامًا لعملاتها مثل الاتحاد الأوروبي، فنجد أن العملات فئة الواحد يورو والاثنين بالإضافة إلى 50 سنتًا و25 سنتًا ـ وأتمنى أن نكتفي بالعملات الورقية للفئات الكبيرة..

ويرى د. رفيع آدم الدمرداش من كندا أن نقرر استخدام العملات المعدنية أو البطاقات البلاستيك المعروفة، فإنني أرى أن نجمع هذه القمامة من أيدي الناس وأن نلقي بها في البنك المركزي، فإن هذه الأوراق الزبالة عار علينا، ويكفي أن نرى السائح يفتح محفظته ويستخرج بمنتهى العناية ورقة مالية نظيفة مشدودة الحيل.. وكيف يتلقى ما نعرفه من المهلهلات التي نسميها عملة مصرية، وبعض السياح لا يخفي قرفه!

وتقول د. إيميليا نصر الله من سويسرا إنها ذهبت إلى أحد البنوك التي تسمح بشراء العملات المصرية، ودخلت وفتحت حقيبتها وأخرجت رزمة من الورق.. ولم تتصور لحظة واحدة وهي تقدمها للموظفة المختصة أن هذه العملات بهذه القذارة، وفي الوقت الذي تعد فلوسها، كانت الموظفة تستخرج أوراقًا زي الفل.

ولم تستطع أن تعتذر عن ذلك!

وليس عيبًا أن نقول ونكرر، ولكن العيب أن مسئولاً واحدًا لم يفتح فمه ولا عينه ولا أذنه –وكلها كام يوم ويمر علينا كوفي أنان في طريقه إلى دارفور ونستغيث به!

الرفـــــق بالإنســـــان

نحن نندهش من أن الدول التي تحارب وتنسف وتقتل تهتز إذا عصفور مات أو قطة صعدت شجرة ولم تستطع أن تهبط أو سقطت في بئر.. أو إذا انهال إنسان على حماره أو حصانه بالضرب.. مع أن الوحشية تزول إذا عرفنا أن الرحمة هي المبدأ واحترام الحياة هو الحق.. أما الحروب، فقاتل وقتيل.. ولكن لابد من علاج المرضى وحسن معاملة الأسرى –أي الرحمة وحق الحياة..

ولذلك فجمعيات الرفق بالحيوان غريبة في بلادنا؛ فهي تؤذن في مالطة وجزر أخرى. وقد ذكرت أن أستاذًا إنجليزيًا لنا قد أوقف عربجي حنطور وأصر على اقتياده لقسم البوليس، والناس يضحكون من حوله ويقولون: وانت مالك يا خواجة.. واحد يضرب حصانه ويموته كمان وانت دخلك إيه؟!

وجاءتني هذه الرسالة من السيدة أمينة أباظة ابنة الكاتب الكبير ثروت أباظة بالنيابة عن رؤساء جمعيات الرفق بالحيوان تقول: دعني أخبرك بما يحدث في بلدنا من وحشية في حديقة حيوان مفتوحة توجد في طريق مصر– إسكندرية الصحراوي؛ فهي تعرض عروضًا لتسلية الرواد من الأطفال تقشعر لها الأبدان فهم يقدمون للأسد حيوانًا حيًا ينبض بالحياة ليلتهمه عضوًا عضوًا في فترة تزيد على الساعتين يتلوى فيها المسكين ويستغيث من الهلع والعذاب

ولكن لا مغيث ويموت على مراحل بصورة وحشية لا يتصورها بشر.. فهل هذا المنظر البشع يسلي الأطفال؟ بل يجعل منهم جيلاً متحجر القلب، جيلاً من الإرهابيين تحت التمرين.. هل هذا المنظر البشع يجذب السياح؟ لقد وصلتنا رسائل غاضبة من سياح يجزعون من منظر الحمير وهي تحمل أكثر من طاقتها وفوق ذلك يضربونها بالسياط فماذا عساهم قائلين لو رأوا هذه الوحشية؟ فقد أوصانا ديننا ألا نذبح حيوانًا أمام الآخر؛ حتى لا يفزع هذا الآخر..

وقبل ذلك أرسلوا استغاثات إلى وزير البيئة ورئيس الهيئة العامة للخدمات البيطرية. وكان الرد هكذا: وصلنا خطابكم وقد نبهنا على أصحاب الحديقة الإفريقية أن يقدموا لحومًا وليس كائنات حية.. ونشكركم. ولعلنا نشاهد (كوكب الحيوان) على التليفزيون الذي صورته مؤسسة (ناشيونال جيوجرافيك) نرى الأسود تطارد الغزلان وتموت الغزلان وبعد ذلك تنهشها الحيوانات بعد أن تكون قد ماتت.. فلا تعذبت ولا تعذبنا..

لا نهاية لفوائد عسل النحل من بداية إلى نهاية هذه الصفحة ـ هذا رأي خبراء الطب الشعبي، والطب العلمي. وقد تساءلت في مقال سابق إن كان وضع العسل في الشاي الساخن يقلل من فوائده وجاءتني ردود كثيرة من الخبراء والأطباء والممارسين. يضيف الجراح د. علي صابر إن عسل النحل بما فيه من مكونات تقوي جهاز المناعة؛ ولذلك يشفي من الجروح والقروح والالتهابات. ففي دراسات أجريت في قسم الجراحة بجامعة قناة السويس ثبتت قدرة العسل على منع التصاقات البطن بعد العمليات الجراحية، ويرى د. صابر أن وضع العسل في درجة حرارة 80 مئوية ولمدة ساعة يضعف كفاءة العسل على مقاومة الميكروبات.

ويقول د. حسن محمد علام موجه بالتعليم الزراعي سابقًا: إن الفيتامينات لا تتلف بشكل كبير. ومن الممكن تعويضها بتناول ملعقة عسل قبل الفطور.

ود. محمد حنفي شمة صيدلي من الإسكندرية يقول: إن عسل النحل يحتوي على فيتامينات ومعادن أمينية لحساسية الجسم ونموه وكلها تتأثر بالحرارة الشديدة أو البرودة الشديدة وتتحول إلى مواد ليست لها فائدة للجسم؛ ولذلك تضعف قيمتها الغذائية شأنها شأن اللبن والخضراوات الطازجة!

تقول د. فيوليت جاد الرب من كندا: نحن لا نغلي العسل لأي سبب. ومهما رفعنا درجة حرارته فإنها لا تصل إلى المستوى الذي يقضي على فوائده الكثيرة جدًا؛ ولذلك لا خوف عليه إذا وضعناه في الشاي الساخن أو حتى في الطعام. بل إننا أحيانًا نسخن العسل ليتناوله الأطفال لعلاج التهابات الحلق.

ومن باريس جاءني بحث طويل قد نشره الدكاترة: لوسيان برتوليه واليف كارنك وموريس فضل الله. وفي هذا البحث أن عسل النحل مفيد إطلاقًا. وإن كان بعض الناس لديهم حساسية من تناوله. والسبب ليس العسل وإنما الزهور التي جاء منها العسل. ولم نعرف له أي ضرر من أي نوع. ولا ثبت لدينا أن رفع درجة حرارة العسل ينقص من فوائده الكثيرة.

والقرآن الكريم يقول: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

حجـــر رشيــد

أتاحت فرصة وجودي بلندن زيارة المتحف البريطاني الذي قام بتنظيف أحرف حجر رشيد واستغرقت العملية نحو 8 أشهر مع الإبقاء على مساحة 20×20سم في الجزء السفلي الأيسر.

وقد قام المتحف البريطاني بعرض الحجر بعد تنظيفه عام 1999 بمناسبة مرور 200 عام على اكتشافه تحت عنوان (فك شفرة اللغة المصرية القديمة) مع معروضات لكتابات أصلية لكل من شامبليون الفرنسي ويونج البريطاني.

وأود أن أشير إلى أن الدكتور عكاشة الدالي المقيم في لندن قد أجرى دراسة أثبت من خلالها المحاولات ونتائجها لفك الشفرة قبل يونج وشامبليون والتي أجراها علماء عرب ومسلمون مثل ابن وحشية. الدكتور عكاشة من العلماء النادرين وقد حصل على الدكتوراه من إنجلترا عن هذه الدراسة. بقي شيء تجدر الإشارة إليه وهو أن المسئولين بالمتحف البريطاني سمحوا لي بزيارة المخازن ببدروم المتحف وشاهدت التوثيق العلمي لنحو 110 آلاف قطعة آثار مصرية يعرض المتحف حاليًا جزءًا بسيطًا منها، كما أنني شاركت مع السيد أندرو متخصص الصخور بالمتحف في دراسة حجر رشيد وتمكنت من الوصول إلى أن الوصف الدقيق للحجر وهو «جرانو ديو ديوريت دقيق الحبيبات» وليس «بازلت» والطريف أن القراءة المتأنية

للكتابات أوضحت أن من قام بالنقش على الحجر لابد أن يكون بطلميًا نظرًا لوجود أخطاء في الكتابة الديموطيقية. ويوجد بالمتحف المصري شقيق حجر رشيد يعرض باستحياء في القاعة البطلمية بالدور الأرضي ولكنه منسوخ على حجر أبيض وله الأهمية العلمية نفسها وكان من الأجدر إبراز هذا الحجر بدلاً من التباكي على حجر رشيد.

أ. د. محمد عبد الحميد الشرقاوي

قسم الجيولوجيا –جامعة القاهرة.

ويضيف السيد سامح رضوان الشماع الباحث في الآثار المصرية أنه نبه إدارة المتحف المصري إلى أن حجر رشيد ليس من البازلت وإنما من الجرانيت الأسود تتخلله عروق وردية اللون. ويذكر أيضًا أن هناك حجرًا آخر هو (حجر دمنهور) وهو غير محطم ونصوصه كاملة..

شكرًا جزيلاً..

فلوسنا قذرة

طبيعي أن يشعر بالقرف والخجل كل من وقعت في يده العملات الورقية المصرية؛ لأنها قذرة ورديئة الورق ومكرمشة وملطخة بالأسماء والعناوين والأختام وشيء من الزيت والهباب. ربما نكون قد اعتدنا على قذارتها كما اعتدنا على قذارة الشوارع وأشياء أخرى كثيرة. ولكن الخواجة أو الأخ العربي لابد أن يندهش لهذه القذارة التي اتخذت شكل العملات ولابد أن يندهش كيف تسافر إلى الخارج وخصوصًا رجال البنوك ولا يفعلون شيئًا..

وأسعدني وأتعسني أيضًا أن تلقيت خطابات كثيرة موجهة إلى البنك المركزي يطلبون مسح هذا العار -وليس صعبًا- إذن فهناك من لا يقوى على الصمت.. وضايقني أيضًا أن البنك المركزي كأنه لا رأى ولا سمع ولا في نيته أن يفعل ذلك!

وقد أرسل لي السيد محمد محمود حسن سالم الذي كان يعمل في مصلحة سك العملة وهو الآن عمدة سلمنت شرقية، نص الرد الذي جاءه من البنك المركزي بتاريخ 98/8/27 يقول المدير العام للبنك: بالإشارة إلى المذكرة المقدمة منكم بتسلم أوراق نقد متسخة ومهلهلة وغير صالحة للتداول من مكتب بريد العتبة، نتشرف بأن قمنا بالكتابة للهيئة القومية للبريد لاتخاذ اللازم في هذا الخصوص. ونحن إذ نشكر لكم خالص اهتمامكم في هذا المجال الذي يمثل المظهر الحضاري لمصر..

كأن الخطأ كله والقذارة كلها عند مصلحة البريد! وأنها وحدها التي يجب أن نوجه لها اللوم! فهم الذين يعجنون الأوراق المالية ويخبزونها ويمسحون بها الأرض ويوزعونها على ملايين الناس في مصر –طبعًا هذا هزل وتحشيش!

وصاحب الرسالة اندهش من أن تصدر هذه الأوراق من جهة مفروض أنها أنظف من الحواري ومن أيدي بائعي الباذنجان والفحم والزيت..

لقد جربنا مثل هذا السلوك الرسمي وخسرنا ألوف الملايين. صفقات القمصان الجاهزة وبها دبابيس قد صدئت؛ لأن صناعة الدبابيس كانت في حاجة إلى مليم زيادة يجعلها لا تصدأ. وعادت إلينا القمصان وخسر أصحابها مئات الملايين..

لابد أنها الملاليم التي يوفرها البنك المركزي حتى لا يشتري ورقًا أفضل!

الرئيس كذاب

الرئيس الأمريكي كلينتون أصدر كتابًا وكسب تحت الحساب عشرة ملايين دولار.

الكتاب في 957 صفحة وعنوانه (حياتي). واعترف بأنه كذاب. وقد شهدنا محاكمة الرئيس على الهواء ساعتين «نشف» فيهما ريق الرئيس وألوف ملايين الناس.

ولأن الرئيس محام وزوجته من أبرع المحامين فلما التف الحبل حول عنقه وجد طوق النجاة في عبارة غريبة هي: أنه كانت له علاقة جنسية بالفتاة مونيكا ولكن العلاقة (غير لائقة). وحاول القاضي أن يستدرج كلينتون إلى الكذب. فيقول لم تكن هناك علاقة. أو يعترف بأنه كانت هناك علاقة. ولكنه قال إنها لم تكن كاملة. وفي الكتاب يقول: إنها غلطة أخلاقية حقيرة!

ولكن النساء حول الرئيس كلينتون واللاتي أشار لهن في كتابه يقلن في نفس واحد أنت كذاب يا ريس!

أما الفتاة مونيكا فتقول: إن الرئيس قد دمر حياتها تمامًا، وإن الرئيس كانت له علاقة ونص.. وإن لديها تسجيلات صوتية وصورًا وهدايا وخطابات وإنها سوف تخرب بيته..

والفتاة المطربة التي عرفها أيام كان محافظًا وكان عشيقًا لها 12 عامًا.. وعوضها بثلاثة أرباع مليون دولار تقول: إنها لن تسكت،

فقد كسب الرئيس الكثير من وراء هذه الفضائح. ولكن الرئيس كلينتون يعمل في نفس الوقت على دفع زوجته إلى البيت الأبيض. ومن يدري ربما ظهر لها هي الأخرى (مونيك) ومحاكمة ساعتين وثلاثًا!

وفي نفس الوقت، صدر في إيطاليا كتاب عن فيرونيكا زوجة أغنى وأقوى رجل في إيطاليا: رئيس الوزراء برلسكوني. وهي صديقة وعشيقة له منذ عشرين عامًا، ويعاملها مثل حريم السلطان لا تظهر في الأماكن العامة. وهو على صلة تليفونية بها ليلاً ونهارًا وفي الأعياد الدينية والرسمية.

وفي مؤتمر صحفي لبرلسكوني قال: أنا أعرف أين توجد زوجتي الآن: إنها مع عشيقها الفيلسوف الشيوعي كاتشاري الذي كان عمدة البندقية. ولكن في كتابها تقول إنها معجبة به ولم تره في حياتها؟!

هل الرؤساء اتجننوا؟ يبدو ذلك!

ردًا على قذارة وكرمشة وقرف الأيدي والعينين من الأوراق المالية المتداولة جاءني رد طويل من السيد محمد السيد أحمد مريقة المدير العام بالبنك المركزي بالإسكندرية. يقول: (إن المشكلة لا تكمن في البنك المركزي ولا في ورق البنكنوت المستخدم، ولا في الأفراد القائمين على طباعة البنكنوت. وإنما تكمن في الأفراد الأغبياء الجهلة الذين يمثلون بعملتهم الوطنية بلا شفقة أو رحمة مع أنه يجب الحفاظ عليها مثل العلم الوطني.. والعلاج: إصدار قانون لحماية العملة الوطنية من العابثين بها في أثناء تداولها مثل العملات الأجنبية. وأن يكون القانون رادعًا، فأي تشويه في أية ورقة يؤدي إلى إلغائها)..

ومن الغريب أن من بين هؤلاء القذرين تجارًا أغنياء يتداولون الدولار واليورو، ولم يحاول واحد منهم أن يلطع اسمه وعنوانه؛ لأن العملة الأجنبية لها احترامها.. وقد انتقلت عدوى الاحترام إليه هو أيضًا. أما العملة الوطنية فهي مستباحة -تمامًا كالأرض التي نرمي عليها الزبالة من تحت ومن النوافذ.. ويمكن تجريحها وتمزيقها مثل الجدران والأبواب والسيارات ودورات المياه التي نكتب فيها عبارات نابية.. وكذلك مقاعد السينما والأتوبيسات والكتب في المكتبات العامة -بعض العبارات شتائم وعبارات عارية موجهة إلى أشخاص بأسمائهم، أو ضد السلطات..

وليس ذلك نوعًا من التفريج عن الضيق.. ولا هي حرية في التعبير..

وإنما هو تخريب للمال العام.. تمامًا كقطع الزهور وتحطيم الفوانيس -وفي نفس الوقت قذارة ولامبالاة وانعدام الاحترام والإحساس بالغير وبالجمال والقانون..

قرأت دراسة فرنسية عن الذي يكتبه الشباب على جدران الشوارع وفي دورات المياه.. أكثر هذه العبارات سياسية وهو عذر مقبول، لولا أن شكل التعبير كان قبيحًا. فكأن أصحاب التقرير لا يعترضون على التعبير، وإنما كانوا يفضلون أن يكون عملاً فنيًّا، وأن يكون أصغر حجمًا!

أما الصورة عندنا فمختلفة تمامًا.. فالذين يشوهون البنكنوت المصري برداءة الخط وقبح العبارة، إنما يجعلون العملات زبالة متداولة!

سفينة نوح

جاء في كل الحضارات القديمة أن طوفانًا قد أغرق الأرض وأهلك من عليها.. وكانت المحاولة الأولى سنة 1829 لمعرفة مكان سفينة نوح على الحدود بين تركيا والعراق ومرة أخرى سنة 1840. ولكن أقمار التجسس الأمريكية التقطت لها صورًا سنة 1949. وجاءت قصة نوح والطوفان في الكتاب المقدس.

وفي القرآن الكريم أن الله قد أوحى إلى نوح عليه السلام أن يبني سفينة على البر ليمر الناس ويسخروا منه؛ لأنهم لا يعلمون. وأمطرت السماء أربعين يومًا وليلة وغرقت الأرض وهلكت فيها الحياة. وكان الله قد أوحى إلى نوح أن يحمل على سفينته زوجته وأولاده الثلاثة: حام وسام ويافث وزوجاتهم ومن الحيوانات من كل نوع ذكرًا وأنثى. وكانت أبعاد السفينة 300 × 50 × 30 ومن ثلاثة طوابق ولها نافذة. وانحسرت المياه بعد 150 يومًا. وعندما وقع الطوفان كان عمر نوح 600 سنة وشهرين و17 يومًا.

وأطلق نوح من النافذة غرابًا.. ثم أطلق حمامة فعادت ثم أطلق حمامة ثانية فعادت وفي منقارها غصن زيتون ثم أطلق حمامة ثالثة فلم تعد. وبدأت الحياة على جبل أرارات –وفي القرآن الكريم أن الجبل اسمه (الجودي).

القرآن يقول: ﴿وَاسْتَوَتْ على الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

والمعنى وراء قصة نوح عليه السلام أن الأرض امتلأت فسادًا ودمًا. فأهلكها الله من أجل خلق جديد.. ومن معاني هذه القصة أن الطوفان مهما يطل فسوف ينحسر وسوف تمتلئ الأرض حياة وسلامًا وعدلاً.. وأننا الآن نعيش عصر ما قبل الطوفان.. فالأرض امتلأت قهرًا وعنفًا وظلمًا. وأن القوة حق، وليس الحق قوة. وقصة نوح تقول لنا أيضًا: إن دولة الظلم مهما طالت فهي ساعة، وإن دولة العدل إلى قيام الساعة.

وإننا اليوم في حاجة إلى نوح ومعجزة نوح.

وأذكر ونحن عائدون مع الرئيس السادات من رومانيا أن ذهبت إليه أقول له: تعرف يا ريس أننا الآن على خط عرض واحد مع جبل أرارات. فسألني: يعني إيه؟ قلت: إن سفينة نوح قد استقرت فوق جبل أرارات. وأنت تقوم الآن بدور نوح في الشرق الأوسط.. وسوف يسخر منك الناس.

وقد حاولوا قتل السادات في دمشق.. وفي القاهرة حققوا لهم هذه الأمنية فاغتالوه.

ولابد من نوح في الاقتصاد والسياسة والحياة.

لا بأس من أن يرى الواحد منا أن بلده هو أجمل بلد في الدنيا، أو من الواجب أن يكون كذلك؛ ولذلك نحن نقارن دائمًا بين بلادنا والدول الأوروبية والأمريكية. والدول الأخرى هي التي تكسب. ومع ذلك لا نكف عن المقارنة، أي لا نكف عن الحلم والأمل بأن تكون بلادنا مثلها. ولكن عيب هذا الأمل أننا نريد أن نكون مثلها دون أن نفعل مثلها وندرس أساليبها. وإذا حاولنا دون علم وفهم، كانت الصدمة التي يجب أن نتوقعها. وهناك فارق بين الحب والواقع فنحن نحب لبلادنا كل عافية وثروة وجمال، ولكن الواقع وقدرتنا المحدودة تصدنا عن ذلك. ويجب ألا نسد في وجوهنا أبواب الأمل، ولا أن نضع في أيدينا أغلال الإرادة والعلم..

وإذا كنا طلبة فأملنا أن نجد في جامعاتنا ما نراه في التليفزيون عن الجامعات الأوروبية والعالمية، وننسى الفوارق المالية والإنمائية وننسى كل همومنا وآمالنا العسيرة المنال. وليس غريبًا أن تصلني مثل هذه الشكاوى وهذه الوصفة نيابة عن طلبة جامعة المنصورة: في بعض الكليات العملية بجامعة المنصورة مثل كلية الصيدلة تأتي في أول سنوات الدراسة بها لمعامل كلية العلوم في قسمي الحيوان والفيزياء، وأيضًا أولى سنوات الدراسة في طب الأسنان، وأيضًا الحاسبات والمعلومات، وكل هذا ولا توجد أي عناية أو اهتمام فمباني كلية العلوم قد تسقط في أي وقت.. اذهب بنفسك

ولاحظ الأعمدة والكمرات فيها قد فسدت، خاصة أن معامل قسم الفيزياء غير صالحة لأن تخرج مجموعة من العلماء. أنا آسف فقد أطلت، ولكن أنا أتحرق في النار، فمن المفترض عند تخرجي أن أكون أحد السواعد التي ترفع من تقدم مصر، أما الآن فلا أستطيع.. لا أنا ولا الأجيال القادمة.

عن طلبة جامعة المنصورة.

وفيما يتعلق بكلية الحاسبات فقد علمت ونشرت في هذا المكان أنها سوف تفتح أبوابها الجديدة في فبراير المقبل. وسوف تنقل كل أجهزتها من الكليات الأخرى وتستأنف نشاطها في سيمفونية الأداء الممتاز في جامعة المنصورة التي هي مفخرة لمصر كلها. وإن كانت هناك بعض العيوب ـ فمن الذي لا يخلو منها؟!

قتيـلان يتعانقـان

عالمة الآثـار الإيطالية (إلينا مينوتي) عثرت على اثنين من الهياكل العظمية متعانقين. عجيبة! فهي قد شاهدت قبل ذلك هياكل لأمهات احتضن أطفالهن ولم تعثر على واحدة تعانق رجلاً. وتصايح العمال وقالوا بقايا روميو وجولييت. ولكن روميو وجولييت لم يدفنا في منطقة (منتو) الصناعية التي لا أثر للرومانسية فيها، لا على الأرض ولا تحتها!

واكتشفت العالمة أن هذين شابان ماتا من خمسة آلاف سنة. وأنهما رجل وامرأة. أما الرجل فقد دفن قتيلاً. وأما المرأة فقد دفنت نفسها معه. وهما شابان لأن أسنانهما لا تزال سليمة. ولكن العالمة الإيطالية لم تعرف بعد متى قتل الرجل ولا متى دفن ولا متى قررت المرأة العاشقة أن تموت معه فلا حياة لها على الأرض بغيره، وإنما حياتها معه تحت التراب. وهي بذلك أقدم قصة حب ووفاء وفداء في التاريخ!

ومثل هذا النوع من الموت –موت المرأة– ليس مألوفًا في أوروبا وإن كان مألوفًا في الهند، عندما تلقي المرأة بنفسها في النار التي احترقت فيها جثة زوجها!

وقد حدث كثيرًا أنهم عندما فتحوا المقابر على بعض الموتى أن وجدوا الميت قد زحف من قبره إلى مدخل المقبرة. ولابد أنه كان

ينادي وصرخ ولكنَّ أحدًا لم يسمعه فمات. وليس غريبًا أن الكيميائي (ألفريد نوبل) صاحب الجائزة الشهيرة قد كتب في وصيته أن يدفنوه بعد أيام من الوفاة خوفًا من أن يدفنوه حيًّا –وقد تكرر هذا النوع من الوفاة كثيرًا في القرن التاسع عشر.. وربما كان هذا هو السبب في أن الأديب الدانمركي (إبسن) كان يكتب ورقة إلى جوار سريره تقول:

لم أمت بعد، وإن كنت أبدو كذلك!

فهو أيضًا خائف أن يدفنوه حيًّا!

وقد أكدت الباحثة الإيطالية أن الرجل هو الذي قتل.. أو هو الذي انتحر وأن المرأة هي التي اختارت الموت معه –على عكس مأساة روميو وجولييت، فجولييت هي التي سبقت روميو إلى القبر، وكان يقول على لسان شكسبير: إن أنفاس جولييت سوف تعيدني إلى الحياة!

ومن المشاهد التي عرفناها في أعقاب الغارات الجوية أن نجد تحت الأنقاض زوجًا وزوجته متعانقين حتى الموت؛ أي أنهما في مواجهة الموت أعلنا أن الحب أقوى.. وأن الحياة أبقى!

شـــيء مـن أشيـاء

الأديبة سناء صليحة صارحت القارئ بأن هذا الذي تقدمه له ليس قصصًا ولا مقالات ولا نثرًا ولا شعرًا. وإنما هو شيء من كل ذلك ووصفته بأنه نقوش وخدوش رسمت ظلالها ملامح مكان وزمان وبشر؛ أي أنها فتافيت من الزمان والمكان. وكما أن هناك مدرسة في الفن التشكيلي اسمها مدرسة النقط أو التعبير بالنقط.. نقطة إلى جوار نقطة إلى جوار نقطتين.. ومنها جميعًا يتكون خط مستقيم، أو خط قد التوى فكذلك في علم النفس مدرسة (الجشطالت)، أي المساحات التي تؤدي إلى شكل ما.

فكذلك ما قدمته سناء صليحة في مجموعة الخربشات أو النقوش أو القصاقيص أو الفتافيت.. وهي أجواء نفسية أدبية.. هل هي بداية قصة أو نهاية قصة، أو شروع في قصة أنت حر في اختيار التسمية. فإذا وصفت الجو أو حالة المتحدث فهي تيار شعوري على درجة من الوعي أو السرحان ولكنها في جميع الأحوال قرف في ملل في يأس.

فالقصة التي اتخذت اسمها وجعلته عنوانًا للكتاب (بياع الفرح) لا أحد فيها قد باع، ولا أحد قد اشترى.. وإنما كانت هناك نية شراء عقد ياسمين.. وكذلك كل الصور أو البقع أو الأجواء النفسية..

وإذا كانت القصة القصيرة هي مساحة زمنية قصيرة، فإن هذه المساحة لها أسماء: قصة حادثة، أو قصة شخصية، أو قصة جو..

وكل ما جاء في هذا الكتاب هي أجواء.. أو مساحات في مكان وزمان ما.. ومن هذه البقع أو المساحات أو القطاعات الضبابية نسجت الأديبة سناء صليحة هذه العبثيات.. والعبث أدب وفن، وكذلك اللامنطق واللاجدوى.. إنها ليست مريحة، فلا أول لها ولا آخر.. ولا حادثًا قد وقع ولا شخصية قد برزت.. وإنما أشياء غامضة وأحداث هلامية.

ومع ذلك فهي فن، وهو مختلف عن المألوف في الكتابة، ولكنها كتابة، وهي أيضًا أدب خاص؛ لأن المؤلفة أديبة من نوع خاص أيضًا. فإن لم تعجبك فهي تعلم ذلك، وإن أعجبتك فهي تشكرك على ذلك.. وهي وجبة خفيفة أو دعوة إلى ذلك، وهي إيهام لك بأنها مأدبة.. والحقيقة أنها وعود بكل ذلك!

ملحوظة: إذا كانت قصص سناء صليحة على هذه الصورة التي رسمتها، فمقالي عنها كذلك!

طالبت بأن يقرأ كل المصريين كتاب «موسوعة مصر القديمة» لعميد المؤرخين المصريين سليم حسن.

وتمنيت على المجلس الأعلى للثقافة أن يلخصها أي أحد من المؤرخين.. أو أن تقوم لجنة بذلك.. فالعمل ضخم والجهد شاق والهدف نبيل.. وألححت على المرحوم د. سمير سرحان أن يعجل بذلك.. وأن يجعل الملخص على ورق أبيض بدلاً من هذا الورق المتهالك الذي ظهرت به وعليه الموسوعة الأصلية.

وقد استجاب لهذه الدعوة قارئ يعمل في محافظة الجيزة واليوم أريده أن يعيد النظر فيما كتب لأن الأستاذ عريان لبيب حنا أول من استجاب لدعوتي وصدر الجزء الأول من «مختصر» الموسوعة.. وأسعدني ذلك. واتصلت بالأستاذ عريان وشكرته. وشكوت إليه أن المختصر كان خشنًا وقد أفزعني هذا الاختصار العنيف.. فمثلاً عندما تحدث عن الثورة التي وقعت في مصر في الأسرة السادسة ووصفها الأستاذ سليم حسن بأنها أول ثورة بلشفية في التاريخ وقد وصف هذه الثورة بأسلوب رائع ومروع أيضًا أحد المؤرخين.. وجاء الوصف بعنوان (تحذيرات نبي).

أما الذي جاء في مختصر الأستاذ عريان فكان على هذه الصورة الخاطفة: نستشف من (تحذيرات نبي) ومع ظهور حكيم يدعى (أبور)

بما حدث في البلاد من فوضى في حياة الأسرة السادسة فانتشرت الفوضى والانحلال والإلحاد أيضًا. ولكن في (تحذيرات نبي) كانت الأوصاف عميقة والألوان كئيبة والصيحات والصرخات والموتى بلا قبور وإنما في بطون التماسيح.

وفي الموسوعة نصوص كثيرة ترجمها سليم حسن. وقد حذفها الأستاذ عريان، وكان لابد أن يفعل ذلك. واقترحت على الأستاذ عريان أن يجمع كل هذه النصوص القيمة في مجلد واحد وأن يشير إليها في المختصر. وكثير من المختصرات تفعل ذلك. فكان من الصعب الإبقاء عليها؛ ولذلك فإن هذا المختصر يجب ألا يكون نهائيًا. فلا يزال هناك مجال لمختصرات أخرى لهذه الموسوعة العظيمة لتاريخ مصر الفرعونية..

سألته: قل لي من أنت؟ وأقسم بالله العظيم ثلاثًا لن أذكر اسمك ولا رسمك ولا وصفك ولا مقعدك ولا مستقبلك ـ المستقبل الذي تريده أنت بكل الطرق.. وكل الطرق عندك مشروعة.. فأنا أعرفك من عشرات السنين.. واختلفنا ولم نتفق على أشياء كثيرة.. ووالله العظيم لن أشير إلى هذا الحوار بما يجعلك معروفًا لأحد.. لأقرب الناس إليك.. إن كان هناك أحد فليس أقرب إلى قلبي إلا قلبك..

قال: أنا أكثر وضوحًا بيني وبين نفسي. لا تسألني ما الذي أقوله للناس ولا الذي أقوله لمن هو أقوى وأغنى.. فهناك أكثر من لغة.. كما أن هناك الفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية.. فهناك أكثر من لغة للتخاطب مع الناس.. فالذي تقوله لطفلك غير الذي تقوله لوالدك.. لأخيك.. لخادمك.. لكلبك.. لرئيسك الضعيف.. ولرئيسك القوي.. وقد تندهش لتعدد اللغات.. ولكن، لماذا لا تندهش لتعدد الأزياء التي ترتديها في الحمام وفي السرير وفي البيت وفي الشارع وفي المسجد.. وصاحب الرأي الواحد، مثل صاحب الزي الواحد.. مثل الشيء الساكن الجامد، من السهل على أي أحد أن يصيبه وأن يسقطه.. والله سبحانه وتعالى قد جعل لبعض الحيوانات والطيور هذه القدرة على «التلون»..

والحقيقة أنه ليس تلونًا، وإنما هو انسجام مع البيئة؛ أي أن تكون مثلها فلا يستطيع أحد أن يفرق بين الحرباء وأوراق الشجر، ولا بين

الأسماك والشعب المرجانية.. والحكمة هي أن الله أعطى الحيوانات القدرة على أن تتفادى الخطر لتعيش.. وقدرة هذه الحيوانات محدودة. فلا عقل لها.. ولكن عقل الإنسان قادر على الإبداع.. قادر على أن يتوافق مع كل المتغيرات؛ هذه هي حكمة حياتي كلها.. فهمت؟

قلت: أنا شديد الأسف!

قال: لماذا؟

قلت: لأنني لا أستطيع أن أجعل من جسمي كله أصبعًا تشير إلى موقعك.. وخطورتك على هؤلاء الناس الطيبين الذين يصدقونك!

إنـــه الرجـــل الأبيـــض

لا أحـاول أن أنكت ولا هـي قفشة تـاريخية إذا قلت إن الإرهـاب صناعة أمريكية إنجليزية أيرلندية، والتاريخ شاهد علينا.. فالرجل الأبيض عندما وصل إلى الدنيا الجديدة كانت هوايته قتل الهنود الحمر وتعليقهم في الأشجار وإطلاق النار عليهم وإحراقهم وتعذيبهم وتقطيع أجسادهم..

ويكفي جدًّا ما فعله خريستوف كولمبوس وحده في رجاله الذين قتلهم وألقى بهم في المحيط.. وبعد ذلك ما فعله في الهنود الحمر.. من قتل وإحراق ودفن بالجملة قبل مئات السنين من ميلوسفتش..

وقد امتلأت الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب بكل أنـواع الوحشية.. الأبيض ضد الأبيض حتى هرب الناس إلى كندا.. واغتيال الرؤساء كان أكثر انتشارًا في أمريكا.. ابتداء من اغتيال الرئيس إبراهام لنكولن في أحد المسارح.. والمظاهرات الدموية ضد الأيرلنديين الكاثوليك..

ثم تجارة الرقيق والإتيان بهم من إفريقيا عبر المحيط في رحلة العذاب والرعب والجوع والإغـراق أحياء في المحيط.. ولم يسكت الزنوج بل كثيرًا ما ثاروا.. وكان العقاب شاملاً للأبرياء من الأطفال الذين ولدوا والذين لم يولدوا.. ومن أهم صفات الأمريكان في ذلك الوقت هو إيمانهم بالعدل والمساواة بين الزنوج في الإغـراق والإحراق أحياء.. والتاريخ شاهد على ذلك..

وعندما وقف ياسر عرفات أمام الأمم المتحدة سنة 1974 وقارن بين كفاح الأمريكان من أجل الحرية ضد الاستعمار البريطاني، وكفاح الشعب الفلسطيني ضد إسرائيل من أجل حريته وكرامته وأرضه قالوا: وهل شعب فلسطين مثل شعب أمريكا وهل عرفات مثل واشنطن؟

ويوم نادى الرئيس مبارك كل شعوب الأرض أن تقاوم الإرهاب قالوا: ولكن أين حقوق الإنسان، فمصر تحاكم الإرهابيين وتنفذ فيهم حكم القضاء بلا رحمة.. فماذا قال هؤلاء بعد أن حشدوا الجيوش والأساطيل وسفن الفضاء.. ويوم سقطت جهنم على أفغانستان.. ولا كلمة من الذين كانوا يندبون على مصير الحرية في مصر.. لقد ابتلعوا ألسنتهم فلا كلمة واحدة ضد أمريكا.. ويكفي أن يقال: إن طالبان وبن لادن وغيرهم صناعة أمريكية!

المفكر المغربي مهدي المنجره هو أول من استخدم تعبير (صدام الحضارات) عندما وصف التدخل الأمريكي في حرب الخليج بين دولتين إسلاميتين. وانتصر الأمريكان والحلفاء على صدام حسين، ولكن الحرب لم تنته.. غير أن حربًا أخرى قد سبقتها أطول وأعنف 1979ــ 1989، وهي حرب أفغانستان والاتحاد السوفيتي.

وقد اعتدت القوات السوفيتية على أفغانستان لمساندة حكومة عميلة لها. وتدخلت أمريكا بالسلاح والمال والتدريب للمتطوعين في باكستان والأردن وهي التي اخترعت بن لادن، وكان هدف الرئيس ريجان هو هزيمة الاتحاد السوفيتي، وكانت الهزيمة زلزالاً للمجتمع الروسي.. وبذلك تكون أمريكا قد انتقمت لما أصابها من هزيمة شنيعة في فيتنام، وقد أدت هذه الهزيمة الروسية إلى انهيار الإمبراطورية الحمراء.

وقد رأت أفغانستان والعالم الإسلامي في هذه الهزيمة لدولة عظمى انتصارًا للدول الصغيرة ذات المبادئ الإسلامية، فهو انتصار للإسلام على الشعوب الكافرة.. انتصار للجهاد الإسلامي على الشيطان.

وكان من الطبيعي أن تنقلب أمريكا على الدولة الإسلامية التي ساعدتها.. فلم تكن مساعدتها من أجل انتصار الإسلام، وإنما من

أجل هزيمة الشيوعية، وأمريكا لا مانع عندها من مساعدة روسيا ماليًّا واقتصاديًا حتى تستقر فيها الأوضاع وحتى تظهر عناصر متطرفة تطالب بعودة الاتحاد السوفيتي ولذلك فإن أمريكا لم تنطق بكلمة واحدة عند الغزو الروسي لدولة الشيشان.

ورأت هي أيضًا أنها حملة تأديب داخلية.. تأديب لإحدى الولايات السوفيتية التي أعلنت الاستقلال عن روسيا.

ونحن الآن نرى بوضوح أشكال وألوان الحروب الباردة والساخنة في القرن المقبل. إنها استمرار لصراع الحضارات والديانات.. وسوف نرى صورة أخرى لذلك في جنوب السودان.. فأمريكا والكنيسة تشجعان على الانفصال.. انفصال الجنوب الزنجي المسيحي والوثني عن الشمال العربي المسلم.. وسوف تتوغل أمريكا والكنيسة في جنوب السودان وتدفع بالأموال والسلاح والتدريب والتعليم والتبشير إلى أقصى درجاته.. وهنا تستطيع أمريكا أن تتحكم في مياه النيل.. وواضح جدًّا أن أمريكا تريد أن تنفرد بالسودان في القرن المقبل، وسوف تستأنف كل أنواع الحروب الساخنة والباردة والعصابات الدينية والعرقية.

مـن غيـر جيـــش

كان ستالين يسخر من الفاتيكان ويقول: كم فرقة في جيش الفاتيكان؟

ولكن الفاتيكان هو الذي هزم الشيوعية في أوروبا الشرقية وفي روسيا نفسها.

وكانت أمريكا تحتقر فيتنام فخرجت منها تاركة وراءها سبعين ألف قتيل!

وكانت إسرائيل تستهين بمصر بعد هزيمة 1967 حتى قال موشى ديان إنه يستطيع أن يهزمنا عشرين مرة وبنفس الطريقة.

ولكن في حرب 1973 هزمناها بالأسلحة الروسية القديمة رغم أسلحة إسرائيل الأمريكية التي (على الزيرو).

وكانت إسرائيل تستخف بـ (حزب الله) فأخرجها من لبنان.

وقال إيهود باراك تعليقًا على هذا الخروج: إنه كان من الصعب عليه أن يقتل البعوض واحدة واحدة؛ ولذلك ردم المستنقع!!

أما البعوض فهم رجال حزب الله، وأما المستنقع فهو لبنان، والحقيقة أنه لم يردم المستنقع وإنما جعله يمتد إلى إسرائيل نفسها وكل البلاد العربية. وتراجعت إسرائيل لتواجه شعبها الغاضب الحزين، تمامًا كما عادت أمريكا بعد هزيمة فيتنام تواجه شبابًا

ساقطًا ساخطًا يمضي نهاره في الحشيش وليله في الجنس ثم ينتحر بعد ذلك!

وإذا كانت إسرائيل هي الأقوى، فإن الشعوب العربية هي الأقوى إرادة. وإذا كان شباب إسرائيل قد كره بلاده، فإن شباب العرب أشد حبًا لأرضه.. وإذا صار في كل بيت إسرائيلي حائط للبكاء، ففي كل بيت عربي طبل وزمر وفرحة بالنصر.. وإذا كانت إسرائيل هي الأغنى، فالشعوب العربية هي الأقوى عزيمة.. وإذا كانت قدرة إسرائيل القتالية هي الأعظم، فإن معنوياتها هي الأحط.

إن الذي تسميه إسرائيل انسحابًا، يسميه العرب أكتوبر للمرة الثانية.

وقد ندم كثير من اليهود على انتصارهم في حرب يونيو؛ لأن هذا النصر قد نفخ فيهم الغرور والغطرسة التي أودت بهم في حرب أكتوبر سنة 1973.

وإذا كانت إسرائيل ترى أن الشعب الفلسطيني مثل أسد يطاردها فتلقي له من حين إلى حين قطعة من اللحم لعلها تعطل مطاردته، فهي قد فتحت شهية هذا الأسد، ثم إن إسرائيل لم يعد لديها ما يكفي من اللحم لإشباع من جاع مائة سنة.

وما حدث في لبنان يؤكد حكمة قديمة للملك سليمان تقول: ليس النصر حليفًا للقوة دائمًا!

عملية اختطاف الزعيم الكردي أوجلان، شرف تدعيه مخابرات إسرائيل وأمريكا فعدد من رجال المخابرات في إسرائيل أشاروا إلى أنهم وراء هذا الحادث. ونفى آخرون بشدة لكي يتأكد أنهم وراء عملية الاختطاف من أولها لآخرها..

ولكن كلارك مستشار الرئيس الأمريكي لمكافحة الإرهاب اعترف بأن أمريكا وراء كل ذلك. وأنهم هم الذين أعطوا تركيا بداية الخيط. ونهايته أيضًا. وزودوهم بسرعة بمواد القانون الدولي لإلقاء القبض على أوجلان ومحاكمته في تركيا. وقال أيضًا: إنهم فعلوا مثل ذلك عشرات المرات بالشرق الأوسط.. بل إنهم يمارسون هذه الحيلة كل يوم في القارات الخمس..

فما اسم هذه الخطة؟ قال: إن اسمها اسبق واضرب.. أو الانقضاض!

وتفسير ذلك أنهم يسبقون الجماعات الإرهابية ويضربونها قبل أن تنفذ خطتها. يضربون الخلية الإرهابية أو الأفراد ويحولون دون وصول الأموال والأسلحة إليها أو ينقلون معلوماتها إلى الدول المعنية وفي نفس الوقت يستعدون تمامًا لكل الاحتمالات. وأنهم على استعداد لأن ينفردوا بهذه العمليات من أولها لآخرها. وبذلك يفلتون من قبضة الكونجرس الأمريكي الذي عليهم أن يعرضوا عليه كل عملياتهم قبل تنفيذها حتى لا يورطوا الدولة معهم!

وقال مستشار الرئيس: إنه في حالة العمليات الكبرى فقط يطلعون الكونجرس على عملياتهم. والكونجرس كان يعلم تمامًا اقتراب الإيقاع بالزعيم الكردي. فقد تمت الرقابة والمتابعة بمنتهى الدقة. ولما ألقي القبض عليه هنأ الكونجرس رجال المخابرات وتبارت أجهزة المخابرات في العالم في تقديم التهنئة للمخابرات المركزية.

أما كيفية القبض على الزعيم أوجلان فقد جاءت من كلمة.. من غلطة من مكالمة تليفونية بين روسيا وإيطاليا، وتابع رجال المخابرات الصوت والأرقام والرموز التي قيلت حتى تأكد لهم أن الشخص المشار إليه بأسماء مختلفة هو أوجلان. ركبوا معه الطائرة وكان سائق التاكسي في نيروبي واحدًا منهم. والتقطت صورته وصوته وأذيعا على الهواء والتقطتها كل شبكات المخابرات في كينيا وتركيا واليونان وفي إحدى دول الشرق الأوسط.

نظــام جديــد

بدأ اللعب في الشرق الأوسط. فأمريكا تهدد صدام حسين الذي تجرأ واعترض على الأمريكان الذين يفتشون أرض وسماء العراق.. وإذا لم يوافق العراق فسوف تفرض أمريكا مزيدًا من التجويع على الشعب العراقي -والجوع كافر. والمطلوب أن يكفروا بصدام حسين فيحاولوا اغتياله. كأن صدام حسين تمثال في أحد الميادين يمكن لكل إنسان أن يقتله.. وتزعم أمريكا أنها حاولت اغتيال صدام حسين. وأمريكا كاذبة. فهي لم ولن تحاول. لأن وجود صدام ضروري لإرهاب عرب الخليج وإيران. وأمريكا ليست حريصة على حل مشاكل الخليج والشرق الأوسط.. وإنما تريدها (والعة) لكي تقوم بدور رجل المطافئ الذي يعرض خراطيم المياه والسلاح والسلام القائم على الدولار..

ولم يكن الرئيس بوش يتلاعب بالألفاظ عندما تحدث عن (نظام جديد).. أي عالم ترتبه أمريكا وتنظمه على هواها. وهوى أمريكا: ألا تكون دولة قوية وألا تكون وحدة قومية أو إقليمية.. وإنما «فتافيت» دول تتسابق على النوم في ظل -انطقها ذل- أمريكا والرئيس بوش لم يغلط مرة واحدة في إدارة أزمة الخليج التي صنعها الرئيس ريجان وأكملها وأنهاها الرئيس بوش.. ويستأنفها بصورة أخرى الرئيس كلينتون..

وليس مؤتمر الدوحة إلا فرصة أمريكية سعيدة لإشعال الخلافات بين العرب.. وفي الوقت نفسه لن تتقدم المفاوضات بين فلسطين وإسرائيل وسوف تزداد الممارسات الأمريكية ضد العراق.. وهكذا يكون أمـام العرب ثلاثة أسباب لعدم الاشتراك في قمة الدوحة: مفاوضات السلام التي لم تتقدم والتهديد بالحرب بين أمريكا والعراق وقمة الدوحة الأمريكية الإسرائيلية.. وهكذا تتسع الفجوة بين العرب ويبقى التهديد بالمقاطعة والحرب..

وإن لم يكن هذا هو (النظام الجديد) الذي كان يتحدث عنه بوش، ولا يتحدث عنه كلينتون فهذا هو (النزال الجديد) بين دول المنطقة.. مع صياغة مبتكرة للعبارات الرقيقة للسلام وبيع السلاح والتهديد بقطع المعونة الأمريكية.. وقطع الرقاب أيضًا!

من الذي سيربح المليار مسلم؟

أمريكا تحاول ذلك بأن تباعد بين أن يكون الإنسان إرهابيًا عربيًا.. أو إرهابيًا مسلمًا. فالإرهاب لا علاقة له بالعروبة ولا بالإسلام.. ففي دول العالم أناس ينتحرون فرادى وجماعات. ولا أحد يقول: إن الدين هو السبب. والأصح أن نقول إن الفهم الخاطئ لأي دين هو السبب!

ولذلك فالرئيس بوش الابن عندما وصف الحرب القادمة في أفغانستان بأنها (صليبية) -أي بين الإسلام والمسيحية كانت غلطة فادحة. ولذلك استدركها بسرعة. قبل وبعد أن هبت عليه عواصف الألف مليون من المسلمين في كل الدنيا.. ذهب إلى المسلمين وأبدى الاحترام الواجب للإسلام والمسلمين..

ورئيس وزراء إيطاليا بيرلسكوني -الذي يحكم إيطاليا بالتليفزيون الذي يملكه، هو الآخر تطاول على الإسلام وقال: إن الحضارة الغربية تقدمت على الإسلام 14قرنًا- وهي عمر الإسلام. وربط بين المظاهرات ضد العولمة وضرب واشنطن ونيويورك.. وبسرعة قال: إنهم المسلمون!

وهي غلطة استدركها في اليوم التالي باعتذار أمام مجلس الشيوخ.. ولم يقل إنه أخطأ وإنما الناس هم الذين أخطأوا في فهمه

وحوروا. ودوروا المعنى الذي أراد. وضرب مثلاً قال: إنه كان كالذي يشير بأصبعه إلى القمر.. ولكن الناس انشغلوا بالنظر إلي أصبعه عن أن يتملوا جمال القمر؟!

فليس السبب فقط هوأن عدد الملسمين مليار، وإنما لأن الإسلام حقًا وصدقًا لا يدعو إلى قتل الأبرياء وسفك دمائهم.

.. وليس بن لادن هو المسلم الوحيد في هذه الدنيا ولا هو الفقيه صاحب المرجعية التي لا ترد. وقد عايشنا وعانينا من أمثال بن لادن في مصر فقتلوا لنا السادات رئيس الدولة والمحجوب رئيس مجلس الشعب. وحاولوا اغتيال الرئيس مبارك ونجيب محفوظ وعدد من المفكرين والوزراء.. ثم إنهم أصابوا السياحة والتجارة والأمن، وأساءوا إلى الإسلام الذي يزعمون أنهم يدافعون عنه ويموتون ويميتون في سبيله!

الرئيس بوش هو أتعس الرؤساء الثلاثة والأربعين الذين حكموا أمريكا.. فلم يصادف واحد منهم هذا الموقف الفريد في التاريخ.. موقف الاعتداء على عزة وكرامة أمريكا.. فلابد له أن ينتقم من الذي أو الذين فعلوها –والذي لا يعرف من هو.. ما أرضه.. ما سماؤه.. ما حدوده.. ما قدرته –إنه يحارب الأوزون.. أو يحارب الإنفلونزا التي استقرت في ملايين الأنوف في كوكب الأرض.. أما بن لادن فمتهم لا شك في ذلك.. سواء فيما حدث في أمريكا أو خارجها.. ولكن كيف كان الطريق إلى أدق أسرار أمريكا.. ومن هم الذين نفذوا له ما أراد.. وكيف كانوا طيارين مهرة فيجيء أداؤهم خرافيًّا في وقته ونجاحه.. وكيف استطاعوا أن يسقطوا أمريكا في عيون أهلها دموعًا سوداء ودموع الفرح في أعين أعدائها وخصومها والشامتين فيها؟

ولا يمكن أن يكون بن لادن هو الكاره الوحيد لأمريكا الغنية القوية.. فهناك أسباب كثيرة للتآمر على بهدلة أمريكا على أرضها واغتيال أصدقائها وعملائها في كل مكان.. وليس المسلمون وحدهم ولا العرب ولا المافيا العالمية..

أما أمريكا فقد قررت ونفذت استعدادها للهجوم على جبال وكهوف أفغانستان التي بدأ الجليد يزحف على أبوابها ودروبها وسفوحها وقممها.. وسوف يشعر شعب أفغانستان بالامتنان العظيم

للرئيس بوش الذي عجل بموت أرحم من الحياة.. فلا طعام ولا شراب..
إن شعب أفغانستان قد ولد ليموت شهيدًا طامعًا في جنات النعيم..
فلن يخسروا بموتهم إلا جوعهم وعريهم..

والرئيس بوش الصغير يدفع فاتورة حساب الذين سبقوه والذين جعلوا خدودهم مداسًا لإسرائيل جيلاً بعد جيل ولا يزالون -لسوء تقديرهم- يرون محاربة الدنيا من أجل إسرائيل التي تتجسس على أمريكا وتتآمر ضدها حتى أتت لها بالدمار والعار في عزيز لديها: قلعة التجارة وقلعة وزارة الدفاع وأحد عشر موقعًا لم يتم ضربها..

مسكين الرئيس بوش فقد أراد فقط أن يكون رئيسًا لا أن يكون بطلاً.. ولكنه لكي يبقى رئيسًا يجب أن يصبح بطلاً مع أنه لا عنده قوة روزفلت، ولا شجاعة ريجان، ولا ذكاء كلينتون.. ولا دهاء أبيه!

أبلغ ما قيل هو الذي قاله الرئيس مبارك مؤكدًا ما سبق أن حذر منه أمريكا والغرب. ولم يصدقه أحد. حتى ضربت نيويورك وواشنطن.. هنا فقط أدركوا أن الرئيس مبارك كان أحكم وأبعد نظرًا.

وأحسن (نص أدبي) هو ما قاله الرئيس (بوش بن بوش) في نصف ساعة صفق له الكونجرس وقوفًا ثلاثين مرة. وقد أعيدت صياغة خطابه هذا 12 مرة. والذين كتبوا الخطاب لم يرفعوا عيونهم عن الذي قاله تشرشل سنة 1940 وما قاله روزفلت يوم أغرق اليابانيون الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور وما قاله الرئيس كيندي أيام أزمة صواريخ كوبا.

تشرشل قال: سنحاربهم على الأرض في البر والبحر. وبوش قال: إن حربنا للإرهاب سوف تبدأ من ضرب (القاعدة) ولن تنتهي هناك. وسوف نأتي بهم إلى العدالة، أو نأتي بالعدالة لهم. قال تشرشل: ليست هذه بداية النهاية، وإنما هي نهاية البداية.

قال بوش مقلدًا كيندي: سوف نثيرهم بعضهم على بعض ونطاردهم حتى لا يجدوا لهم مأوى. سوف نتعقب الدول التي تؤويهم في كل مكان. وإما أن يكونوا معنا وإما أن يكونوا علينا.

وفي سنة 1962 قال كيندي: هناك خط فاصل بين الذين يحبون الحرية والذين يحطمونها. سنحارب الذين يحاربون أسلوبنا في

الحياة حتى لا يجدوا مكانًا يختبئون فيه، ولا مفرًا ولا مستقرًا. وفي نهاية خطابه قال بوش: لن أستسلم ولن أهدأ ولن ألين في هذه الحرب من أجل حرية وأمن الشعب الأمريكي. كيندي قال أيام أزمة صواريخ كوبا: سوف ندفع أي ثمن ونتحمل أي عبء ونواجه أي صعوبة من أجل بقاء الحرية وانتصارها..

ويوم أغرقت اليابان الأسطول الأمريكي قال روزفلت: ليس هناك ما يخيفنا إلا الخوف نفسه!

وقال بوش: هل مستقبل أمريكا هو الخوف.. إن أمامنا صراعًا ومخاطر. ولكن أمريكا هي التي تصوغ زمانها، وليس زمانها هو الذي يصوغها!

فقد أكد استفتاء الرأي العام أن بوش يؤيده 90٪ من الشعب وهو ما لم يحدث في تاريخ أمريكا. وجاء خطابه اعتذارًا عن كل الكلمات الطائشة التي تدحرج إليها الرئيس بوش.

كل هذا مؤكد.

ولكن الشيء الذي ليس مؤكدًا حتى الآن هو: من الذي فعلها؟!

قاعـــدة إرهابيـــة

نجحت إسرائيل في إقناع أمريكا بأن فلسطين (قاعدة) إرهابية. وأن الذي يفعله شارون في فلسطين هو بالضبط ما يفعله بوش في أفغانستان.. اقتلاع جذور الإرهاب وإبادته بلا رحمة.. ولم يعد أحد يسأل عن عدد القتلى واليتامى والأرامل في أفغانستان.

فكل ذلك لا يهم، المهم ألا يكون للإرهابيين آباء وأمهات وزوجات وأولاد. وأن تجيء «أستيكة» أمريكية بريطانية فتمحو من صفحات التاريخ كل بقعة دم زكية وكل دمعة على خد بريء.

ولذلك فمهما يفعل شارون أو الحكومة التالية في إسرائيل فهو يتماشى مع المنطق. والمنطق أنه لابقاء للإرهاب وما دامت فلسطين إرهابية، فلا بقاء لها ولا رحمة بها ولا أثر باقيًا في هذه الدنيا.. ولكن المصيبة أن فلسطين ليست قاعدة إرهابية. وإنما هي حركات تحرير ليست منضبطة. فمن الصعب أن يضبط المظلوم والمقهور والجائع والعريان نفسه. كيف نرغم العين على أن تكون دموعها منضبطة مع عقرب الساعة -دمعة كل دقيقة أو دقيقتين؛ كيف تضبط القلب على توقيت جرينتش؟!

إن عبارة قالها نابليون عن الجيوش تصدق تمامًا على الشعوب الفقيرة.. قال إن الجيوش كالأفاعي تزحف على معدتها!

فالمعدة الخاوية هي التي تحول الأمعاء إلي كل أنواع الأفاعي السامة والخانقة والمخيفة. فإذا أضفنا الجوع إلى الطعام جوعًا إلى

الحرية وجوعًا إلى الكرامة والتعطش للعدل.. فما الذي يستطيعه أي إنسان مهما أوتي من القوة؟!

ولكل الدول ذاقت المر قبل أن تعرف طعم الحرية.. وكل الشعوب انتقلت من الكفاح والجهاد إلى النصر على قوات الاحتلال والعدوان.. وإذا كان أحد قد عرف كل ألوان العذاب فبنو إسرائيل، فهم يتظاهرون بالنسيان مع أنهم لم ولن ينسوا ما فعله هتلر، ولن ننسى أيضًا دير ياسين وجنين!

إن استشهاد الأحرار هو أقصى ما في استطاعتهم أن يفعلوه من أجل تقرير المصير والحكم الذاتي.. لأنه حكم على النفس بالموت.. ما دام أهله وشعبه عاجزين عن تحقيق الحرية والكرامة والمصير!

لــو قــــــرأ..

لو كان الأستاذ عزت السعدني قد قرأ للرئيس عزت بوجوفتش ما كتبه عن الفلسفة الإسلامية، أو ما كتبه المستشرق الألماني مراد هوفمان أو قرأ الفصل الذي جاء في كتابي (الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله) عن الرسول لتغيرت مقدمة وخاتمة كتابه الممتع (عام الإفك والبهتان) في سلسلة (اقرأ).

ويكون قد وفر على نفسه القرفة والكركديه وكعك العيد الذي قدمه لأعلام الإسلام: ابن سينا وابن رشد وابن ماجه والجبرتي والخوارزمي والجاحظ. واكتفى بأن قدم لهم القهوة السادة والأرجيلة. فقد أقام الأستاذ عزت السعدني وليمة ضخمة لعظماء الإسلام وناقش معهم ما أصاب الإسلام والمسلمين وما أصاب (القاعدة) وفلسطين بسبب العدوان الصهيوني والأمريكي في كل مكان..

إن الأستاذ عزت السعدني رجل ظريف لطيف وقد استدعى أمة لا إله إلا الله ليسألهم ما الذي نفعله في الرئيس بوش وبطانته وشارون وعصابته. وقالوا. وقال. وأعاد وزاد. ولكن.

ولابد من (ولكن) هذه لأن الأستاذ السعدني ولأنني أيضًا وغيرنا يتحدثون إلى الغرب بلغة الضاد. وحريصون على ذلك. ولا يهم كثيرًا أو قليلاً أن يفهموا ما نقول. وهذه هي الغلطة الكبرى في دماغنا عن

العروبة والإسلام. ولكن هناك أناسًا من علماء ومفكري الغرب استطاعوا أن يحدثوا أهلهم بلغتهم. ولا أظن أحدًا استطاع بمثل براعة وصدق الرئيس عزت بوجوفتش. فهو يستخدم المصطلحات الغربية الحديثة، ففي كلامه عن قضايا الإسلام تتردد أسماء فلاسفة الحضارة الغربية وعلماء النفس والفلك، فقد استطاع بقوة وبلاغة وجمال أن يحدثهم بلغتهم وأن يقنعهم بمنطقهم.

إذا كان الأستاذ السعدني يرى أن المستشرقة الألمانية سجريد هونكه مؤلفة كتاب (شمس الله على الغرب) تساوي مائة رجل فإن مراد هوفمان يساوي مليونًا وعزت بوجوفتش يساوي مليونين!

ويبقى كتاب الأستاذ عزت السعدني وليمة خفيفة لمن ينظر وراءه في غضب وأمامه في يأس!

أمريكا تعرف من الذين سوف تحاربهم برًا وبحرًا وجوًا وفي كل عواصم العالم وبنوكها ومصانعها. وقد ساعدتها كل الدول بالمعلومات. وساعدتها في حصار أفغانستان فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها. وتعرف أن جبالها وهضابها وعرة. وأن الجليد سوف يجعلها أصعب وأقسى. وقد حاول الإنجليز في القرن التاسع عشر غزوها وفشلوا وحاول الروس عشر سنوات عندما أمر الرئيس السوفيتي برجنيف باقتحامها في سنة 1979 من جمهورية طاجكستان. وكانت مفاجأة كبرى للعالم. وكانت هدفًا للباكين على حقوق الإنسان. وكما دخلت روسيا السوفيتية خرجت روسيا الاتحادية وتركت وراءها مئات الدبابات والطائرات وألوف الضحايا..

وكانت تجربة قاسية جدًا لروسيا.. في أفغانستان وفي الشيشان ولذلك فالروس يشفقون على الأمريكان من هذه الحرب التي هي أقسى كثيرًا من حربهم في فيتنام. بل إن بعض القادة الروس عندما سألوهم في موسكو اعتبروا فيتنام إذا ما قورنت بأفغانستان نزهة عسكرية. وكان من الممكن أن تتدفق الشعوب الإسلامية في القتال إلي جانب الأفغان ضد الكفار الأمريكان، لولا أن أمريكا نجحت بسرعة في سد الأبواب والنوافذ دخولاً وخروجًا من أفغانستان، ثم جمدت ملايينهم في كل بنوك أوروبا وأمريكا واليابان والسعودية واعتقلت الألوف من الأعوان والعملاء.

وقد نشر الجنرال الروسي يوري فاليشف مقالاً يقول فيه: إنه في أفغانستان كان يحارب عدوًّا لا يراه. فلم ير مجاهدًا واحدًا. إنهم وراء الجبال في الكهوف. يسبقونه دائمًا بخطوة ثم يستديرون ويطلقون النار. فهم أشباح فرشوا الأرض بالألغام.. إنهم نوعية غريبة من المقاتلين. طعامهم قليل ونومهم قليل، ولكنهم توهموا أنهم باعوا أنفسهم لله. فهانت عليهم الدنيا.

ولكنني لا أشفق عليهم. ثم إن بن لادن ليس الإرهابي الوحيد.. ولكنه أخطرهم. ويصفونه بأنه جينكيز خان. ويقولون عنه عبقري يستخدم أمواله لشراء أحدث الأسلحة وأخطر المعلومات.. ولكنه يستحق الموت وكل الذين على شاكلته.. وإذا كان الإرهابيون المجانين قد باعوا أنفسهم للشيطان، فإنهم أيضًا قد باعوا المكان للزمان؛ لأنهم قد أودعوا مشروعهم الإجرامي للتاريخ الطويل حياة وموتًا!

قيــادة جاهلــة

الإرهابيون يفشلون عادة في الدفاع عن القضايا التي ينادون بها.. شيء غريب حقًا أن تجد هؤلاء الشبان المتطرفين يرفضون أن يقيد حريتهم أحد.. ثم يسلمون أنفسهم إلي مجموعة من الجهلاء.. وأول ما يفعلونه هو أن ينزلوا عن حريتهم.. ويرفضوا السلطة وألقابها.. ثم يسلموا رقابهم إلى أمراء الجماعة.. وأمراء المؤمنين.. ولأن الفرصة لم تواتهم بعد لكي يحكموا ويتحكموا ويظلموا ويقهروا ويكمموا الشعوب التي أفرزتهم، فإنهم يمارسون كل ذلك على أنفسهم.. وقد عرفنا كل ذلك في الجماعات المتطرفة في مصر.. وفيما يعانيه الآن ذلاً وهوانًا شعب أفغانستان.. فهناك أمير وهناك أمير المؤمنين، من الذي جعله أميرًا ومن الذي جعلهم مؤمنين؟! إنهم هم وحدهم الذين اختاروا الجوع والهوان، ووضعوا على رأسهم من ليس أميرًا.. وارتضوا ظلمه وعذابه.. حتى تتاح لهم فرصة تعذيب الآخرين في بلاد أخرى!

وليس بن لادن إلا واحدًا عنده فلوس في بلد يأكل العشب وينام على الجليد، ويأوي إلى جحور الأفاعي.. وأمراؤه يملكون الملايين ويتزوجون كل يوم من أجل انتشار المسلمين.. ووالد أسامة كان عنده 67 ولدًا واسامة عنده عشرون حتى سنة 1995..

وسوف تحتاج هذه الحرب الأمريكية، الجديدة الأساليب، المتطورة للقتال، وعبقرية الإعداد، وقتًا طويلاً في أفغانستان وباكستان وكل

الجمهوريات الصغيرة التي تنتهي أسماؤها بكلمة «استان» التي معناها دولـة.. وفي بقية القارات اقتصاديًّا وسياسيًّا ومذهبيًّا ودينيًّا.. ولن تكسب أمريكا.. بل سوف تخسر كل الذين اشترت وهددت وابتزت..

ولأن هناك أسبابًا عديدة لظهور الإرهـاب، فالإرهابيون شباب يائس خاب أمله.. ولذلك فهو كاره للمجتمع الذي نشأ فيه.. وإذا قال بن لادن إنه من أجل فلسطين سوف يبهدل أمريكا.. فهذا رأيه، وليس من حق ياسر عرفات أن يستنكر ذلك.. فقضية بن لادن أكبر من قضية ياسر عرفات.. وهو حر فيما يقول وفي أن يختار العقاب الذي يستحقه!!

جاءني من د. ناريمان عبد القادر المحامية بالنقض وأستاذة محاضرة بجامعة قناة السويس تقول: كلما قرأت لسيادتك مقالاً عن (رابطة) أبناء الدقهلية أتمنى البحث عنها والانضمام إليها، إلا أن مشاغلي اليومية سرعان ما تتغلب على هذه الرغبة التي أتمناها وأفتخر بها دائمًا، وأعترف بأنني عندما أملأ أي مستند رسمي أشعر بالفخر والاعتزاز عندما أكتب أمام محل الميلاد (المنصورة) حتى ولو كنت في آخر الدنيا. ويسعدني الانضمام إلى رابطة أبناء الدقهلية.
وتلقيت من د. أسامة إبراهيم المطراوي من ميلانو بإيطاليا يقول: يا سيدي العزيز المهم أن تكون (رابطة) أو جماعة أو هيئة أو منظمة أو اتحادًا لأبناء الدقهلية. وقد فكرت أنا وآخرون هنا في أن ننشئ رابطة أو جمعية لنا في إيطاليا. فعدد المهندسين والأطباء والتجار في إيطاليا يبلغ أربعين.. فإذا أضفنا إليهم زوجاتهم وأولادهم فنحن في عين الحسود مائة وشوية.. وإذا كان كل من الوزير البلتاجي واللواء فخر الدين خالد يريد أن نبعث له بالأسماء والعناوين والتليفونات فأنا على استعداد لذلك. ولي أخ يعيش في ألمانيا من 27 عامًا هو طبيب ناجح وزوجته ألمانية وأولاده أطباء ومهندسون سعداء.. وفي استطاعتهم أن يحصوا عدد أبناء الدقهلية في ألمانيا.. وقد سمعت منه في إحدى المرات أن عددهم يصل إلى الخمسين.. وعلى كل حال سوف نجيء إلى مصر لزيارة الأهل والأصدقاء في أغسطس المقبل.

فأرجو أن أراك وأن أسعدك بأخبار أولاد بلدك.. وتلقيت من اللواء متقاعد أحمد نور الدين الزهيري أن له ابنًا يعيش في بولندا.. وهو يعرف عددًا من المصريين ناجحين في الإنتاج الزراعي.. ومن بينهم أستاذ في الكيمياء، وأنهم جميعًا من مركز السنبلاوين وأنهم هاجروا من حوالي عشرين عامًا.. وليس من الصعب عليهم أن يدلونا على عناوين أبناء الدقهلية. ولا من الصعب أن ندعوهم وأن نطلب منهم أن يساعدوا ويسهموا.. وأنا على يقين من أن هذه الدعوة سوف تسعدهم.. وسوف تجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا بعيدين عن أهلهم ووطنهم الأصغر: المنصورة.. وأنتهز هذه الفرصة لأبعث لك بصورة حفيدتي التي جاء ترتيبها الأولى في كلية الهندسة.. والتي تنظم شعرًا باللغة البولندية وإن كانت -مع الأسف- لا تعرف كلمة عربية واحدة!

وباللغة الإيطالية تلقيت رسالة رقيقة من السيدة لندا أبو الفضل تقول: عندنا في البيت صورة لمدينة المنصورة القديمة ولمنطقة شجرة الدر وتوربيل، وجانب من البيت القديم الذي ولد فيه زوجي. وأملي أن أجيء وأرى كل ذلك..

شكرًا.. وبارك الله فيكم أينما كنتم!

خطاب اللواء فريد

هذا الخطاب أرسله اللواء د. محمد فريد حجاج أملاً في أن يصل إلى الوزير الفنان فاروق حسني.. يقول: أشكركم كمواطن مصري على الاهتمام بالثقافة بفروعها بصفة خاصة؛ حيث إن الأمم بدون تاريخها كزرع بدون بذور وحيث إن الظروف أتاحت لي زيارة العديد من بلدان العالم شرقًا وغربًا لفت نظري التجربة التي رأيتها في كندا، ففي أثناء زيارة مدينة كنجستون في ولاية أونتاريو وجدت قلعة بنيت عام 1832 كحصن لرجال المدفعية، وحضرت العرض الذي يتلخص في زيارة القلعة وأماكن مبيت القائد والضابط، وكيف كانت الإعاشة في تلك القلعة وأماكن التدريب ونظام العمل.. ثم انتهى العرض باستعراض عسكري بالزي القديم مع إطلاق المدافع.

ولما كانت قلعة صلاح الدين تمثل علامة بارزة في التاريخ المصري فمن الممكن أن ينفذ هذا العرض وذلك بتحديد جزء من القلعة وتنفيذ عرض حي يمثل إما فترة المماليك (إقامة - إعاشة - ملابس - مباريات - مواكب) وإما فترة حكم محمد علي بالأسلوب نفسه.. فمثل هذه العروض تنشط ذاكرة الأمم والسياحة الداخلية والخارجية مع العلم بأنه يتوافر كثير من المراجع الدقيقة لكل مرحلة تاريخية مطلوبة. وفقكم الله في خدمة بلادنا العزيزة.

أما تعليقي: لقد أحسنت اختيار من توجه إليه هذا الخطاب. فلم يخدم الثقافة في مصر أحد مثلما فعل فاروق حسني. ولا التفت

أحد إلى إبراز الآثار وإضاءتها وبعث الحياة فيها كما فعل، وليس هذا رأيي وحدي، وإنما رأي الهيئات العالمية أيضًا.. ولن يجد فاروق حسني صعوبة في تحقيق هذا الأمل الممكن.

وهو قد خطا خطوة طويلة إلى ذلك عندما أخرج الآثار الإسلامية من تحت الأرض ومن غياهب اللامبالاة والنسيان..

وتلقيت من د. نورهان أبو العلا من ألمانيا خطابًا وجهته إلى الوزير فاروق حسني تطلب منه إقامة معرض دائم لأوبرا عايدة.. فيخصص قاعة للملابس والشخصيات والوثائق التي تتعلق بهذه الأوبرا العالمية، وتكون هذه القاعة ملحقة بدار الأوبرا المصرية مع النموذج لدار الأوبرا القديمة التي احترقت.. ومعها مكتبة للمخطوطات وللمؤلفات التي صدرت عن الموسيقار فردي وعن أبطال هذه الأوبرا..

وليس هذا صعبًا على الفنان فاروق حسني وذكائه وقدرته الفذة على الإبداع!

وزير خارجية بريطانيا قال إن المشكلة الفلسطينية هي أحد أسباب الغضب في العالم الإسلامي والعربي والأوروبي. فقد ضاق الناس بالحروب والدخان والدم والحديد والنار. أوروبا اكتوت وآسيا أيضًا.. ولكن أمريكا التي لم تحارب على أرضها مرة واحدة هوجمت وأهينت وهزمت وانهار شعبها على أرضه وفي عاصمته، ويستحق العزاء في عزيز لديه: مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع.. وكان الهدف ضرب البيت الأبيض وطائرة الرئيس والمراكز النووية، كل ذلك في وقت واحد!

ولكن أمريكا عندها فائض أسلحة ومعدات وفلوس وغضب ورغبة في السيطرة العالمية وجرجرة الشعوب وراءها تقترض ولا تعترض، تقتل ولا ترحم..

وإذا كان الرئيس بوش قد حاول إصلاح عثرات لسانه بخطاب هو تحفة أدبية، فإن عالم النفس فرويد يقول لنا إن أخطاء بوش ليست جهلاً بالسياسة، وإنما هذه هي حقيقة شعوره، وإن كان قد اعتذر عن ذلك!

وظهرت الصحف في إسرائيل تصف وزير الخارجية البريطانية بأنه قليل الأدب، وأنه عدو للسامية، وأن توني بلير رئيس الوزراء قد اعتذر لشارون فأصدر بلير بيانًا يقول إنه لم يعتذر! وقد نجحت

إسرائيل في تخويف العالم من هذه التهمة: العداء للسامية، مع أنها لا تخيف.

فكل الشعوب المعادية لإسرائيل شعوب سامية، بينما معظم شعوب إسرائيل ليست سامية. ومع ذلك أصبح الأوروبيون والأمريكان يخافون من هذه التهمة، التي ليست تهمة، ويجب ألا تكون!

فإسرائيل هي الأخرى تقول: من ليس معهم فهو عدو للسامية!

ومن الممكن أن تمسح أمريكا بأسلحتها جبال أفغانستان وتجعلها هضابًا سهلة، وأن تقضي على شعبها دون أن تدري أنها قدمت لهم خدمة جليلة: حين حرمتهم من الجوع والعري ومن حياة الموت أرحم منها كثيرًا. ولكن سلاحًا آخر أقوى قد جعل الشعب الأمريكي يركع ويسجد هو: الخوف!

أمريكا سوف تنتقل من غلطة شنيعة إلى غلطة قاتلة. وأظنها سوف تفعل. فكل المفكرين والعسكريين يقولون: لابد من العراق وإن طال الزمن! فهم يرون أن العراق على صلة قوية بـ«بن لادن» ولذلك لابد أن تلقى المصير نفسه. وليس بن لادن أو صدام حسين هو المقصود باستخدام الصواريخ والجواسيس ومليارات الدولارات يوزعونها يمينًا ويسارًا للقضاء على منظومة بن لادن ونظام صدام حسين.

وبعد صدام حسين سوف يقولون سوريا وليبيا ولبنان وفلسطين وهم جميعًا يقومون بدور (بدل الفاقد) وكان الفاقد هو الاتحاد السوفيتي.. وانهار السوفيت وصاروا الدولة الاتحادية التي تتنافس سرًّا مع أمريكا في السيطرة على أفغانستان من جديد. واستطاعت أمريكا بفلوسها أن تكتسح الجمهوريات السوفيتية السابقة ومعها وقبلها وبعدها: روسيا الاتحادية.

وإذا لم تكن أمريكا قد خسرت الكثير من ملايين المسلمين، فإن التفكير في ضرب العراق سوف يقضي على البقية الباقية من العرب والمسلمين في العالم. وسوف يعرف الشعب الأمريكي، إن لم يكن قد عرف الآن، أن أمريكا هي التي تدفع ثمنًا فادحًا من فلوس شعبها وأمنه وأمانه من أجل إسرائيل التي تتجسس على أمريكا وتبيع وتشتري فيها وتسيطر على مالها وأقوالها.

وقديمًا قالوا لنا في الفلسفة إن سقراط وجد أمامه كومتين من القمح فحاول أن يعد إحداهما.. فلم يستطع فحباتها كثيرة. ولكي يسهل على نفسه الموقف قرر أن يقوم بعد الكومتين معًا!! وكذلك سوف تفعل أمريكا بعد غرقها في دماء الأفغان.. وتمزيق باكستان والجمهوريات السوفيتية السابقة وبقية المسلمين في الدنيا.. أما امتداح أمريكا للمسلمين فهذا ما فعله هتلر وموسوليني أيضًا، حتى أشيع في ذلك الوقت أن هتلر أسلم واسمه الحاج محمد هتلر. ومن قبلهما أشيع أن نابليون قد أسلم وللسبب نفسه. فلا هو مسلم ولكنه في حاجة إلى تهدئة المسلمين والضحك على ذقونهم..

وإن لم تكن هذه هي نهاية الأمن والأمان فهي نهاية الإمبراطورية الأمريكية المتحدة!

انعكست الأوضاع؛ فأمريكا القوية الجبارة الغنية التي حشدت الدنيا وراءها أصبحت خائفة من الرجل ساكن الكهوف آكل الأعشاب يشويها على نار الغيظ والرغبة في الانتقام: أسامة بن لادن.

وطالعتنا صورة بن لادن ذلك الملتحي الهادئ الملامح الذي له وجه الكمبيوتر غير المعبر. وراءه رجال عندهم خبرة وفلوس يشترون بها المعلومة من أمريكا والخيانة لها. ولم يعد في حاجة إلى شهادة خبرة فائقة بعد الذي حدث في واشنطن ونيويورك.

أما كيف يحرك كل هذه الشبكات في العالم في سرية بعيدًا عن عيون وآذان مخابرات الدنيا، فهذه هي القضية التي تشغل أجهزة المخابرات.. أو بالضبط ما هي السياسة الأمريكية التي تواجه بن لادن؟ إنها سياسة: من تكسب به العب به. وقد لعبوا بكل عملائهم، بمن فيهم بن لادن. فلما تغيرت سياسة أمريكا لم تغير عملاءها. وإنما تركتهم في مواقعهم القديمة التي عدلت عنها.

وبدلاً من أن يكون بن لادن رجلها ضد الروس صار عاملاً ضدها، ولذلك كان لابد من عقابه.. إنه يشبه الممثل الذي يؤدي نصًا.. ولكن المؤلف دون أن يخطر الممثل بأنه قد غير النص تركه يظهر على المسرح يؤدي النص القديم، فكان ذلك خروجًا عن النص الجديد. إذن لقد خرج بن لادن عن النص.. خرج عن (طوع أمريكا) وهو لذلك

خائن، يجب القضاء عليه وإنزال الستار وهدم المسرح ومعاقبة الذين صفقوا له ومشوا وراءه.

وكلنا يذكر ما فعله الرئيس بوش الأب برئيس جمهورية بنما. فقد كان عميلاً للمخابرات المركزية برياسة بوش. ثم أصبح العميل رئيس جمهورية. كما صار بوش رئيسًا لأمريكا. وخرج العميل عن النص المسرحي، فخطفه الرئيس بوش ووضعه في السجن.

وهذا بالضبط ما يحاوله بوش الابن.

وإذا كان الأب قد استخدم صدام حسين (بعبعًا) لدول البترول، فإن بوش الابن قد اتخذ بن لادن كذلك، لكي يقوم بحماية دول البترول الجديدة من شر بن لادن وأعوانه.

وأمريكا كانت قد استغرقتها الحرب الباردة ضد روسيا وتفرغت لها عشرات السنين. ولما سقطت روسيا السوفيتية، اتجهت أمريكا إلى همومها الداخلية وأغفلت السياسة الخارجية فظهر بن لادن ومئات آخرون..

وقد سئل كسينجر مستشار الأمن القومي السابق: ما الذي تفعله أمريكا الآن؟ فقال: إنها تغلي مياه البحر من أجل القضاء على الغواصات!

لم نعد نتعجب أن تجيء المرأة رئيسة للجمهورية أو رئيسة للوزراء وأن تكون ناجحة أيضًا، ثم إنها تولت كل الوزارات في كل البلاد.

ولكن الجديد أن نجد المرأة مستشارة للأمن القومي في أمريكا أقوى دولة في كوكب الأرض.. ووزيرة الدفاع في الحكومة الفرنسية الجديدة، ونائبة لوزير الدفاع في إسرائيل، ولا يمكن أن يكون هذا الاختيار المهم سدًّا لخانة في الوزارة، وإنما لابد أن يكون لدى هذه الدول ما يبرر هذا الاختيار بتفضيل المرأة على الرجل، وليس اختيارها لهذه المناصب العسكرية لأن هذه المناصب لم تعد مهمة، ولا أنه لا يوجد رجل يصلح لهذه المناصب..

ولابد أن يكون هناك سبب سياسي، فنحن نعرف أن هناك نوعين من الحكومات: حكومة (علماء) وحكومة (علمية).. حكومات العلماء هي التي يكون فيها وزير الصحة طبيبًا ووزير الداخلية ضابط شرطة ووزير الدفاع ضابطًا عسكريًّا ووزير التعليم أديبًا ووزير العدل قاضيًا ووزراء الري والكهرباء والصناعة من المهندسين.. إلخ..

أما (الحكومة العلمية) فهي الوزارة التي وضع لها الحزب الحاكم سياسة محددة، ويختار لها الحزب من بين أعضائه من يقوم بتنفيذها.. فإذا فشل بقيت الوزارة والسياسة، ولكن أتوا بوزير غيره..

وعيب وزراء العلماء أن كل وزير يعمل ما في دماغه، ويبذل جهدًا عظيمًا لكي يثبت لنا أن الوزير السابق كان حمارًا لا يفهم أي شيء.. وعندما يثبت أنه هو الرجل المناسب في المكان والوقت يجيء الدور على واحد غيره ليجلس في مكانه!

فالوزارة العلمية في بريطانيا اختارت رجلاً أعمى وزيرًا للداخلية لأن المطلوب شخص (يفكر) في سياسة الدولة ويلتزم بها ويحاول تطبيقها..

ولا يهم إن كان رجلاً أو امرأة المهم هو خط وخطة الحكومة!

الضحيــــة: إسرائيــــل

كتاب جديد يقول إن صراعًا بين الإسلام والمسيحية سوف يستغرق 25 عامًا. أما الضحية الأولى لهذا الصراع فهي إسرائيل التي سوف تختفي من الوجود تمامًا..

الكتاب عنوانه (نوستراداموس -ونبوءاته الأخيرة) للكاتب الإيطالي لوتشانو سامبيترو. أما عدد الكتب التي صدرت عن العراف الفرنسي نوستراداموس في الأعوام العشرين الماضية وفي كل اللغات فهي بالألوف. ولكن المؤلف الإيطالي يقول لنا في المقدمة إنه قد اهتدى إلى (اللغة الخضراء) أي اللغة الخاصة التي استخدمها العراف الفرنسي الذي أعلن سنة 1555: النار تشب في مركز العالم.. برج في (المدينة الجديدة) أي نيويورك سوف يقع وقبل ذلك عشرات النبوءات: الثورة الفرنسية وشنق الملك والملكة وهتلر وصدام حسين وحرب الخليج ونهاية السوفيت بعد 73 سنة وسبعة أشهر بالضبط! وكذلك مصرع الأميرة ديانا.

وقال إن روسيا سوف تضم إلى الغرب لأنها في حاجة إلى فلوسه.. ثم تنضم إلى العرب ضد الغرب. وسوف يتحطم البيت الأبيض بقنبلة ذرية. وهذه هي بداية الحرب العالمية الثالثة. وسوف يؤدي سقوط إيطاليا إلى انهيار الكاثوليكية وسوف تنضم الصين إلى العرب، وفي 2022 تشتعل الحرب مرة أخرى بعد هدنة أربع سنوات

وبعد ذلك يسود السلام وتدخل البشرية في عصر ذهبي لمدة ألف عام.

ونوستراداموس (1503– 1566) كان ينظر في إنـاء من الماء ثم يغيب عن الوعي ويرى بوضوح ويقول في عبارة رمزية خوفًا من الحكام. فجاء كتابه (القرون) غامض اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية وقد تنبأ بموته في اليوم والساعة وكيف؟ قال إنه سيموت بالضبط واقفًا على الأرض. فوجدوه بين الحائط والسرير. وقال إنه سوف يدفن تحت ما لا نهاية له من الكتب بكل اللغات. وقد حدث! ويقول المؤلف إنه استطاع أن يجد اسمه هو كاملاً في بعض عبارات العراف الفرنسي وإنه كاد يعرف متى سيموت وكيف ولكن الخوف جعله يتوقف عن المضي في فك هذه الرموز!

حلوة جدًّا هذه اللعبة التقليدية: الكونجرس يهاجم مصر والحكومة تصالحنا.. الكونجرس يقرر أن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل والخارجية الأمريكية تقول: مش بالضبط كده.. إحدى لجان الكونجرس أوقفت المعونة عن مصر والحكومة تقول: لا يهم فكلينتون عنده فلوس كثيرة جدًّا في حسابه الخاص.

وهو سلوك تقليدي لجأت إليه كثير من الدول: تضرب وتلاقي.. حتى لا تنقطع (شعرة معاوية)..

فاليابان اعتذرت لأمريكا عن إغراقها الأسطول في بيرل هاربور -وأمريكا لم تعتذر عن ضرب اليابان بالقنابل الذرية.. واليابان اعتذرت لكوريا لأنها أكرهت نساءها على الدعارة لصالح قواتها المسلحة..

ومرجريت تاتشر اعتذرت لتشيكوسلوفاكيا عن الممارسات العنيفة ضدها أثناء الحرب الأخيرة.

وجون هوارد رئيس وزراء أستراليا اعتذر للزنوج عن إرغامهم على الحياة الأوروبية ولم تعتذر بريطانيا عن شحن المجرمين إلى أستراليا وتعذيبهم وهم أجداد سكان أستراليا الحاليين!

والرئيس كلينتون اعتذر عن التجارب المعملية النووية العنيفة التي أجريت ضد 400 من الزنوج.. واعتذر عن تجارب المخابرات على

عقول الأسرى الأمريكان والألمان.. واعتذر عن إسقاط المخابرات لرئيس هايتي سنة 1993!

والبابا يوحنا الثاني اعتذر عن دور المبشرين الكاثوليك في تجارة الرقيق، وفي حرب جزر فوكلاند استخدمت الأرجنتين صاروخًا فرنسيًا اسمه اجزوسيه (الضفدع النطاط) الذي ينطلق على ارتفاع شبر من الماء فأغرق ثلاث بوارج بريطانية. واعتذرت فرنسا لبريطانيا ثم قدمت لها أسلحة مضادة لهذه الصواريخ!

وأخيرًا اعتذر توني بلير رئيس وزراء بريطانيا للشعب الإيرلندي عن المجاعة التي فرضتها بريطانيا على إيرلندا من سنة 1845 حتى 1850! ورغم التأييد الأمريكي المطلق لإسرائيل فإن اليهود يطلبون من كلينتون أن يعتذر عن الذي فعله هتلر باليهود.. فقد كانت أمريكا تعلم ثم لم تفعل شيئًا!

مسكين غلبان جدًا الشعب الفلسطيني الذي يلقى كل أنواع العذاب والهوان من أمريكا ولا ينتظر اعتذارًا من أحد!!

أسرع من العدل

الكاتب الكبير الأستاذ:

تحية طيبة وبعد -بالإشارة إلى ما نشرتموه في عمودكم اليومي بأهرام الاثنين 16 ديسمبر سنة 1996 عن تحصيل مبلغ ثلاثة آلاف جنيه مقابل الخدمة من كل يخت أجنبي يدخل الموانى المصرية حتى لو كان عابرًا لليلة الواحدة.

أجد من واجبي أن أوضح الآتي:

1- أن ما جرى تحصيله تم عن طريق الخطأ وقد تمت محاسبة المسئول ويرجو السيد وزير المالية من صاحب الشكوى مقابلته لاسترداد ما دفعه بشخصه أو بمن يوكله عنه.

2- أن القرار الوزاري رقم 749 لسنة 1996 الصادر عن وزير المالية بشأن الإفراج المؤقت عن سيارات الركوب واليخوت لا يطبق على اليخوت العابرة (الترانزيت) ولا على اليخوت التي يطلب أصحابها البقاء في البلاد مدة لا تتجاوز عشرة أيام، ولا يتم التقاضي مقابل الخدمة إلا إذا تجاوزت مدة البقاء بالبلاد هذا الحد. وإنني إذ أشكر لكم هذه الغيرة الموفورة على سمعة البلاد بكشف النواقص والأخطاء في الأداء مما يعطينا الفرصة للتصحيح الفوري لها قدر الإمكان، وأؤكد

أن الحكومة لا تدخر وسعًا في معالجة كل ما يكشف من أخطاء أولاً بأول.

مع خالص تحياتي وتقديري..

(طلعت حماد)

وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة.

كان المثل يقول: الظلم سريع والعدل بطيء.. والشائعات أرنب، والحقيقة سلحفاة!

والآن فليس أسرع من العدل والحقيقة.. بالقرار والعقاب والجزاء هذا شيء جديد يا دكتور. نرجو أن يظل جديدًا حازمًا حاسمًا..

ولم يعد سرًّا الآن أن د. كمال الجنزوري قد أصدر قرارات كثيرة أراحت الناس ويسرت عليهم وأصبحت القاعدة الآن أن د. الجنزوري لا يكاد يعرف حتى يبحث وإذا بحث فإنه يقرر. ولذلك فالناس عندما يتقدمون بالشكوى فإنهم على يقين من أن العدل سوف ينتصر. وهذا ما حدث ويحدث وسوف يحدث. وهذا حلم وأمل كل الناس..

شكرًا جزيلاً.. ولا يهمك ما يقوله الحاسدون لك الحاقدون عليك فهذه نوعية من الناس تقوم بدور الحشائش الشائكة في الطريق المستقيم وقد نبتت لتبقى تافهة!

مريض نموذجي

السيد الفاضل:

جزعت عندما قرأت أن الطبيب قد منعك من تناول كل الأطعمة التي لها أوراق خضراء خوفًا من أن تؤدي إلى زيادة التجلط في الدم لاحتوائها على فيتامين (ك).. ومن حقي كقارئ يخاف على كاتبه المفضل من أي ضرر يلحق بصحته ويمنعه من مواصلة العطاء رجعت إلى مذكراتي التي دونتها من قراءاتي في المكتبات العامة في أمريكا وسويسرا فوجدت أن النباتات الورقية تساعد على الوقاية من السرطانات وتقاوم أمراض القلب وتحمي من الجلطة وكذلك الطماطم والفجل تمنع السرطان والخس والسبانخ والبامية والكرنب. ولذلك فإنني أستحلفك بالله أن تراجع الطبيب الذي منعك من تناول كل هذه الخضراوات المفيدة جدًّا. وأذكر أنني أثناء زيارتي لمستشفى القديس لوقا بولاية بنسلفانيا وجدت على الجدران لافتات تقول: إذا تناولت خمسة أصناف من الخضراوات والفواكه يوميًّا تزداد مناعة الجسم ضد السرطان..

كيميائي عباس صادق

مدير بهيئة الرقابة الدوائية سابقًا

احترامًا مني للعلم فإنني لا أناقش ما يقوله الطبيب وخاصة إذا كانت ثقتي عظيمة بعلمه وضميره. وقد حدث أن أكلت ملوخية من

نفسي فكانت لخبطة هائلة في سيولة الدم فامتنعت. وقد أحس أ. د. جعفر رجب أنني أتشكك في تعليماته المشددة فجاءني عند منتصف الليل بدائرة المعارف الطبية الأمريكية سنة 1997ووضع إصبعي على تحذيرات الأطباء من كل الأطعمة ذات الأوراق الخضراء لاحتوائها على فيتامين (ك) الذي يساعد على التجلط..

ولم يكن أمامي إلا أن أقول: السمع والطاعة. ومن يومها وأنا أنظر إلى هذه الأوراق الخضراء كأنها عفريت يريد أن يقفز إلى أحشائي فيخنقني من داخلي..

وقد خرجت من تجربتي المرضية –لم أخرج بعد– بكراهية شديدة للونين الأخضر والأبيض.. أما الأبيض فهو لون الجدران وعربات الإسعاف وغرف الإنعاش وملابس الممرضات والأطباء.. وموجات الأشعة الباهرة في غرف العمليات. ولذلك فأنا أكتب على ورق أصفر يكسر ضوء الأباجورة.. ثم أنه وسط بين الأبيض والأخضر..

وأرجو الله ألا يطول ذلك. وإن كنت لا أكف عن شكره والامتنان العظيم له فهو قادر على أن يجعلني أعود إلى أشهى الأطعمة عند واحد نباتي مثلي: الطماطم والخس!

الغردقــــة غرقــــت

السيد الأستاذ:

ـ لاحظت أن وسائل الإعلام المصرية لم تعرض ما حدث في مدينة الغردقة السياحية التي غرقت وانقطعت عن الدنيا بسبب السيول.. لماذا لا تخطف رجلك وترى الخراب اللي على أصله؟

م. محسن أحمد البرادعي

ميونيــــــخ ـ ألمانيـــا

أقول لك يا سيدي إن الله هو الذي خلق السيول، والإنسان هو الذي أقام الغردقة بلا صرف صحي وجعل كابلات التليفون تذوب في الماء. ولما جاء السيل وألقى فوق الغردقة ملايين الأطنان من الماء أظلمت المدينة وتحولت الشوارع إلى برك مغطاة بملايين الذباب وأضعافه من البعوض.. واختفى رغيف العيش.. ولم يعد ألوف السياح قادرين على الاتصال ببلادهم وأنا شخصيًّا حاولت الاتصال بالقاهرة أيامًا فلم أستطع. إن مكتب السيد المحافظ الفريق زاهر حاول أربع ساعات وأخيرًا لجأ إلى القوات المسلحة، كما لجأت المدينة كلها للقوات المسلحة تنقل الماء وتنقذ المواطنين.. وإن مطار الغردقة الذي صار أنظف وأجمل من مطار القاهرة استطاع أن يستأنف نشاطه بعد عشر ساعات وقد اختار مئات السياح أن يناموا ويأكلوا في طائراتهم.. بينما سياح آخرون ساعدوا في غسل وكنس

فنادقهم.. وسياح آخرون طالبوا الفنادق بأن تعطيهم ما يثبت أنهم عجزوا عن الاتصال بشركاتهم في أوروبا، خوفًا من العقاب.

لقد جاء الوقت لكي نرتفع بمستوى المدينة التي تضاف إليها كل يوم قرية جميلة، بينما تليفوناتها والصرف الصحي عار قومي..

لقد استمعت إلى وزير السياحة د. ممدوح البلتاجي وهو يضيف الأمل إلى الشجاعة والإصرار على أن يتضاعف عدد السياح في مصر كلها.. وصفقت للمحافظ وأصحاب القرى السياحية وهم يؤكدون قدرتهم على النجاح والرخاء وكل ما يتمنونه هو أن تساعدهم وزارتا المواصلات والتعمير على ذلك.. وفي نفس واحد يقول أبناء أطول محافظة (ساحلها ألف كيلو متر وبها 75٪ من البترول و80٪ من مناجمها): بركاتك يا سيدنا الجنزوري!

الأستاذ الكبير..

أنت لا تعرفني. ولكن أحاول أن أذكرك بشيء حدث من ثلاثين عامًا.. أنت ذهبت إلى النادي الأهلي وكان إلى جوارك المرحوم نجيب المستكاوي وعبد المجيد نعمان..

وكنت أجلس وراءك.. وكنت أتفرج عليكم. وأنت لا مؤاخذة (تايه) وغير قادر على أن تتابع المباراة.. وكانت على الكأس بين الزمالك والأهلي. وأنت لا تتكلم ولا يبدو أنك قد تابعت ما يجري على الملعب.. فقلت في نفسي لعلك ترسناوي. ولاحظت أنك تميل على الأستاذ المستكاوي تقول له شيئًا في أذنه.. ثم تضحكان.. ولما انتهت المباراة.. لاحظت أنك لا حزين ولا مبسوط.. فقد انهزم الأهلي. وكان الحزن باديًا على وجه الأستاذ نعمان فهو أهلاوي متعصب جدًا.. والمستكاوي ترسناوي. واندهشت لماذا جئت أنت بالذات إلى المباراة.. وهل الفلاسفة كلهم مثل حضرتك لا يتحمسون لا مع ولا ضد.. وانتظرت أن أقرأ لك شيئًا عن هذه المباراة التي تجلت فيها عظمة الزمالك.. ولكنك لم تكتب ولا كلمة.. حتى اعترفت أنت أخيرًا بأنك أهلاوي. مفاجأة ولكن بمنتهى الصراحة أنا لا أصدق أبدًا أن مفكرًا مثلك من الممكن أن يكون أهلاويًا.. فالزمالك هو نادي الشعب وأولاد الشعب.. وهو النادي الذي يكافح ويقاتل وسائل الإعلام

المتعصبة للنادي الأهلي.. أستاذ أنيس منصور.. عد إلى صوابك واعترف بأنك زملكاوي.. فإذا لم تعترف فسوف أنشر أنك زملكاوي وأنك اعترفت بعضمة لسانك أنك أحد مؤسسي هذا النادي العظيم..

د. حسني نوار

طبيب وبلدياتك

بالذمة ده كلام.. هل هناك تعصب أكثر من ذلك؟ إن د. نوار يرفض أن يكون لي ميل إلى أي ناد آخر.. يعني هو زملكاوي متعصب ولا دخل لي في ذلك.. ولكن تعصبه هذا لا يعطيه الحق في أن يجردني من أي حق في أن أميل علنًا أو سرًا إلى أي ناد مع أنني معترف منذ البداية بأنني متفرج فقط ومشغول بما يشغل الناس.. فهذه هي لعبتي.. فأنا ألعب بملايين كريات الدم التي تجعل للإنسان ميلاً.. هوى.. عمى.. حبًا.. كرهًا.. ولا تهمني الشبكة التي تستقر بها الكرة.. وأجد في ذلك حريتي ومتعتي. لا أكثر ولا أقل..

تاريــخ وجغرافيــا

تلقيت من د. عبده أنور استشاري الأنف والحنجرة:

مصر عبقرية الزمان والمكان معشوقة جمال حمدان الذي عشقناه فنسيناه واعتزلنا فقتلناه فنحن نقتل أحياءنا ونبكي موتانا كأننا في المقابر نحيا وفي دنيا العبث نموت. وإليكم وصاياه:

1– إن كان التاريخ هو ظل الإنسان على الأرض فالجغرافيا هي ظل الأرض على الزمان فالجغرافيا بين العلوم علم الفطرة كما أن الإسلام بين الأديان دين الفطرة.. لقد تغيرت ظروف العالم المعاصر والعالم العربي من حولنا فلم يعد الأول بعيدًا نائيًا ولا عاد الثاني مجرد أصفار على الشمال ولم تعد مصر تملك ترف الاستخفاف والاستهتار بمن حولها من الأشقاء أو الانعزال المريض باستثارة النعرة الوطنية.

2– نحن نكره أن نسمع عن عيوبنا ونرفض أن نواجهها بل أسوأ من ذلك قد نتباهى ونتفاخر بل ولعل هذا تجسيد للشخصية الفهلوية. وحتى عن مستقبل مصر نحن إما متفائلون بإسراف أو متشائمون بإسراف.. فمصر إما بخير دائمًا أو في خطر أبدًا.

أقول: شكرًا يا دكتور على هذه الكلمات البليغة الجميلة التي اخترتها للمرحوم جمال حمدان.. لقد عاش غريبًا ومات غريبًا. ونحن لا نعرف ما هي الحقيقة التي اهتدى إليها وكان من نتيجتها أن

تحولت الدنيا إلى كرة ضربها بالجزمة.. كيف صفى حسابه مع الناس.. كيف تضاءلت كل الأشياء.. كيف جعل كل شيء تافهًا فارغًا من المعنى والحكمة.. وأنه هو وحياته وفكره وما قاله وما اهتدى إليه، كل ذلك لم يعد يساوي شيئًا.. كيف؟ وكم وقفنا ببابه.. وكم داخت أقراص التليفون في أيدينا.. وكم ألقينا بالخطابات تحت الباب وانتظرنا في مكاتبنا شخصًا مجهولاً يأتي بالرد.. قليلون جدًا هم الذين دخلوا بيته.. ولكن كانت سعادتنا غامرة عندما يجيء إلينا.. وتنفتح النفس للنقاش والحوار.. في جغرافية الفلسفة أو فلسفة الجغرافيا.. والسياسة والدين والحضارة.. كيف تحول كل ذلك إلى (مدينة الماس) التي تحدثت عنها (ألف ليلة)؟ فكل شيء من الماس.. لامع.. حجر.. ولكن لا توجد بها قطرة ماء ولا لقمة عيش.. إنها صحراء.. هي والموت من الماس.. وكذلك أفكار ودنيا جمال حمدان صارت في كفن من الماس في نعش من الماس في مقبرة من الضياع في بلد اللامبالاة!

ربما كانت محاولة أحد إخوة جمال حمدان إصدار كتاب ملخص لموسوعته البديعة (شخصية مصر) هي الدلالة الوحيدة على أن أحدًا يشير إليه ويدعونا إلى ذلك ..

يرحم الله جمال حمدان.. لقد اختار الموت مبكرًا.. أو اختاره الموت.. إن فيلسوفًا يونانيًا قد سبقه إلى ذلك عندما صعد أحد البراكين وألقى بنفسه في فوهته.. في القمة.. لقد اختار القمة مقبرة والدخان كفنًا والبركان نعشًا.. أما النسيان فهو النهاية المصرية التقليدية لكل عظيم!

الأخ العزيز.. لقد فقدت حب الأغلبية عندما تحدثت عن النادي الأهلي وأعلنت ميلك إليه ثم ذكرت نادي المنصورة معلنًا تفضيلك له إذا ما كان في الميدان مع النادي الأهلي –نسيت الزمالك بالرغم من أنك أخي وصديقي وتعلم أنني زملكاوي، ولا يعطيك عذرًا في هذا المجال إلا أنني أعلم عنك أنك بعيد عن الكرة، ولعلك تذكر كم من المرات رفضت مصاحبتك لي في الفرجة على مباراة مهمة. ولكنك ترفض وتبدي العجب لأنك تراني وقد ثقلت واجبات العمل على كاهلي، إلا أنني أوثر مشاهدة مباراة لكرة القدم عن إتمام عمل تخصصت فيه.. وأنا في هذه السن أطير فرحًا إذا ما فاز نادي الزمالك –وأهيم حبًا بكل لاعبيه ومحبيه.. وأجدها مناسبة لكي أطالبك بألا تتعصب لمدينة المنصورة لأنها مهدك ومحل مولدك، ولأنك بحبك لها قد تخيل للبعض أن يجعل حبك لمصر هامشيًا، وكأنك تسعى لأن تقيم إمبراطورية في الدقهلية عاصمتها المنصورة!

أحمد شنن

المحامي بالنقض

– ليس أحد في حاجة إلى أن يتأكد أن هناك قبيلة اسمها الزمالك.. وأن الأستاذ شنن إن لم يكن شيخها فهو أحد شيوخها. ويرى أن الأغلبية في مصر زملكاوية، وأن الإنسان يجب أن يتعصب لمصر كلها أي للزمالك.. أما أن يتعصب بعضنا

للدقهلية فهذه نزعة انفصالية ودعوة لأن تكون إمبراطورية ذات حكم ذاتي عاصمتها المنصورة.. فكل تعصب يجب أن يكون للزمالك فقط وليس لأي ناد آخر مهما كانت شعبيته..

- وأنا لا أدعي في أي وقت أنني مهتم بكرة القدم أو بأية كرة أخرى، وإنما فقط منشغل بما يشغل الناس.. ميداني الذي اخترته طول عمري هو هموم واهتمامات الناس.. أيًّا كانت ألوانهم وأديانهم وقبائلهم في مصر أو في غيرها. ولا أظن أن مثل هذا التعصب هو عمل (عاقل)..لأن التعصب أعمى، فهو يرفض كل الألوان إلا لونًا هو لون قميص وبنطلون الزمالك.. بذمتك يا محامي النقض الكبير ألا نبدو أنت وأنا مضحكين.. أن نتحمس بلا عقل، لشيء لا عقل فيه؟ فالذين يلعبون الكرة عندهم كرات أخرى بالملايين هي رءوسنا يلعبون بها أيضًا.

- آسف يا أستاذ أنني أفضل أن أحتفظ بهذه الكرة الغالية على كتفي والثانية على جزمتي!

الأستاذ الفاضل..

ومن قال لسيادتك إن النادي الأهلي هو نادي الأغلبية.. إنه ليس كذلك. إنه رأي هذه الصحيفة. ولكن لو قرأت صحفًا أخرى فسوف ترى الحقيقة أنه نادي الزمالك يا سيدي.. اذهب إلى الاستاد وتفرج وشوف الزمالك بيعمل إيه.. وأنا لست مواطنًا عاديًا.. إنني مهندس قد الدنيا.. تعلمت في مصر وتخرجت في بريطانيا. ورأيت بعدد شعر رأسي (إنني أصلع شوية) مباريات في بريطانيا وأيقنت أن نادي الزمالك يرقى إلى مستوى الأندية الإنجليزية وأحيانًا يفوقها في الأداء والتهديف والتسديد. صدقني.. وأنا لا أصدق أنك أهلاوي وإنما لابد أنك تريد أن تغيظ أحد الزملكاوية.. وأنا أعلم.. الكابتن عصام بهيج الزملكاوي الدقهلاوي أحد أقاريك.. صح ولا لأ؟ صح طبعًا.

فأرجو أن تسارع بإنكار صلتك بالنادي الأهلي فورًا. فقد زعلنا جدًا أنك تحاول مجرد أن تكون أهلاويًا. يا شيخ سيبك.. الزمالك هو النادي وهو اللعب وهو الحرفنة..

مهندس أحمد سماحة

بوسطن ـ أمريكا

أولاً أنا لم أقل إن الأهلي هو أغلبية مصر. الذي قال ذلك هو الكابتن الأهلاوي جدًا حسن حمدي. والذي قال إن الزمالك أغلبية هو

المحامي الكبير والزملكاوي الأكبر أحمد شنن.. وأنا لا أعرف على أي أساس هذا أكبر من ذلك.. وما يقوله المهندس سماحة هو أيضًا كثير من التعصب للزمالك والتعصب ضد الأهلي. وهذا التعصب يفرض عليه ألا يرى غير الزمالك وفي نفس الوقت يرفض أن يكون لأي إنسان أي ميل لأي ناد آخر..

ولا ضرر من هذا التعصب الأبيض.. أو الإعجاب الشديد باللاعبين من هذا النادي أو من ذلك النادي.. ومن غير هذه الدرجات من الحب تفقد الرياضة طعمها ولونها وحرارتها.. فليكن!

إنني لم أطلب إلى أحد أن يكون أهلاويًّا.. ولكن الزملكاوية يرفضون أن يتعصب مثلهم أي أحد لأي ناد آخر!

إنه هوس الرياضة.. ومحاولة الإنسان أن يجعل من اهتماماته دينًا له مؤمنون يتمسكون به -مع أننا لا نتمسك بديننا الحنيف بنفس الدرجة!

أجسـام مضيئـة

الأستاذ المفكر..

أبعث إليك بصورة من صفحات من الجزء الثاني من كتاب (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) للعلامة الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي طبع في مصر سنة 1299 هجرية. وهو يتحدث عن (تناثر الكواكب) من أول الليل إلى الصباح فخاف الناس.. وعن ظهور شيء مستطيل في السماء دقيق الطرف عريض الوسط من المغرب إلى العشاء.. ثم ظهر خمس ليال وليس له ضوء الكوكب ولا كان كوكبًا له ذنب ويقول الكتاب:

إنه في أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم من السماء إلى الأرض ففزع العلماء والمنجمون وقال أحد الشعراء:

قالوا تساقطت النجوم   لحادث فظ عسير

فأجبت عند مقالهم   بجواب محتنك خبير

هذي النجوم الساقطات   نجوم أعداء الأمير

محمود حافظ

في كثير من الكتب القديمة نجد أجسامًا مضيئة تظهر في سماء المدن وتختفي.. وقد تكون جسمًا واحدًا أو عشرات. وقد رأى هيرودوت في سماء مدينة منف مثل هذه الظاهرة. وكذلك في العصور الوسطى في أوروبا.. بل إن الروس رأوا أخيرًا في سماء موسكو شيئًا كذلك..

وسارع جورباتشوف الشيوعي الملحد الخائف من أن يتحرر الناس إلى الإيمان فنفى أن تكون أطباقًا طائرة أو أجسامًا غامضة -مع أن روسيا هي رائدة السفن الفضائية ولا تزال أكثر تفوقًا من الناحية التطبيقية من أمريكا..

وفي أمريكا الآن يؤكد العلماء أن رواد الفضاء رأوا أطباقًا طائرة. وأن كائنات غريبة هبطت أرض أمريكا وقابلت أيزنهاور وأن الشعب الأمريكي في مجلاته العلمية طالب رؤساءه كارتر وبوش وكلينتون بأن يكشفوا هذه الحقيقة. لم يفعلوا لعجزهم حتى الآن عن التفسير.. ولكن هذا لا يهم. المهم أن كائنات لا نعرف أين، أرسلت سفنًا لا نعرف كيف ولا لماذا.. ولكن سوف نعرف!

الأستاذ الفاضل..

في ألمانيا منهج العلاج بالمياه، وفي اليابان أيضًا. وهذا المنهج الجديد يمكن أن نسميه (الطب الهادي) وكما ذكرت سيادتك فهو فن جديد في العلاج له تفسير علمي. وكانت المياه يومًا ما سببًا في علاج سيدنا أيوب عليه السلام من أمراض باطنية وجلدية.

وقد أراد الله أن يمن علينا بمياه معدنية شفائية بمنزلي بدمنهور ساعدت مئات المرضى. ولغرابة الاكتشاف فلم يصدقه كثير من الناس. ولكن منذ عامين اتضح أنها تساعد في خفض نسبة السكر بالدم وضغط الدم وحالات الصرع والأمراض العصبية والنفسية والتهابات المجاري البولية والفشل الكلوي دون الحاجة إلى غسيل كلوي أو عملية زرع كلى. والشهود أحياء يرزقون ومعي إقرارات موثقة من الشهر العقاري من بعض المرضى الذين استفادوا..

فهل كان لنا أن ندعو محمد علي كلاي للعلاج طرفنا في دمنهور؟

د. أنور سليمان الغرباوي

دمنهــور -حـــي زمـزم

لست مؤهلاً لرفض الذي تقول. ولكني أبادر فأرفض تمامًا أن يكون للطب البديل -أي غير التقليدي- كل هذه المعجزات في شفاء

الأمراض المستعصية. وليس هذا رأيي ولكنه رأي الأطباء والعلماء في الهيئات عظيمة الاحترام..

ولابد أن تقرأ أو تستمع لأحد من علمائنا في هذه (المعجزات) التي تحققت على يديك وبفضلك في دمنهور..

ولكني فقط أستطيع أن أشارك بقدر قليل من التأييد لك في استخدام الماء علاجًا لبعض أوجاع الظهر وعضلات الساقين. فقد جربت ذلك في ألمانيا والنمسا. واسترحت كثيرًا. وسبب الراحة أنه لم يكن هناك مرض. وإنما هناك إرهاق بسبب التوتر العصبي الذي يؤدي إلى توتر عضلي.. وإلى أن أتوجع وأقول: آه طويلة وقصيرة متلاحقة!

فقد جربت التدليك تحت الماء، وجربت الطين الساخن وجربت اندفاع الماء إلى نقط ومراكز عصبية وعضلية في جسمي، فكانت لي هذه الراحة المؤكدة فقط!

أما أن المياه لها هذا السحر، فأتمنى لي ولكل الناس. ولكن الذهاب إلى أبعد من ذلك في شفائها لمثل هذه الأمراض الصعبة أو التي استعصت على العلاج فاعذرني إذا لم أستطع أن أصدق سعادتك بما وصلت إليه من شفاء الناس، أو رغبتك أو رغبتهم في ذلك!

المعايـــرة الدقيقـــة

السيد الأستاذ..

اطلعت على مقالكم عن الأجهزة التي تعطي مدلولات وقراءات متضاربة لها التأثير على حياة الإنسان.. فالمعايرة هي عملية مقارنة جهاز اختبار أو قياس بآخر معروف درجة دقته. والغرض هو اكتشاف الحيود عن القراءات القياسية. وفترة المعايرة هي الوقت بين إجراء عمليتي المعايرة بفترة زمنية يؤدي فيها الجهاز وظائف داخل المساحات القياسية ويعتبر صالحًا للاستخدام خلال هذه الفترة. أما شهادة المعايرة فهي الإجازة الممنوحة لاستعمال الأجهزة بعد إصلاحها أو تعديلها حيث تؤدي القياسات المطلوبة والتحقق من مطابقة أسلوب الأداء ونتائج القياس المعلومة. وهذه المعايرة يجب أن تتم على جهاز أكثر دقة للقياس أو لدى الشركة المنتجة أو الوكلاء المسئولين عن أعمال الصيانة بواسطة الخبراء المعتمدين.

ولكن هل يتم ذلك في مصر في جميع المصالح أو الوحدات سواء علاجية أو اقتصادية، تلك التي تؤثر القراءات فيها على حياة الإنسان. ولكن كما حدث لك وأنت في الإنعاش أن جاءت الممرضة وخبطت حيث الزنبرك معلق وقالت: كل شيء تمام وعال العال؟!

محاسب/ عبد المنعم الطيب

كبير مراجعي ضمان الجودة

المقاولون العرب- الإسكندرية

لعلك تذكر أن الرئيس حسني مبارك قال لي: إن القوات المسلحة تلتزم تمامًا (بالمعايرة) العلمية وضبطها على أدق الأجهزة.. لأنها مسألة حياة أو موت.. في الطائرات والدبابات والعقول الإلكترونية. وقال لي إنه لفت نظر الكثيرين بضرورة المعايرة الدورية..

وقد سألت في مستشفى (أوتل ديو) الذي تولى علاجي في باريس.. فوجدت أن كل جهاز تعلق في رقبته شهادة تاريخ المعايرة.. أولها وآخرها.. وأن عقوبة غليظة تقع على المسئول إذا لم يتنبه قبل الموعد المحدد بأيام.

أذكر أنني تأخرت عن رسم الأشعة ساعة ونصف الساعة واندهشت كيف أنهم أيقظوني عند الفجر ولطعوني كل هذه المدة. وكان السبب الوجيه راحة لي: أكبر الخبراء جاء بنفسه يجرب جهازًا حديثًا لم يمض على استعماله ثلاثة أيام!

ولولا الفضيحة لنا لأشرت بأصابع يدي وقدمي إلى عدد من المستشفيات حيث لا داعي لأن أقول وأعيد وأزيد في الذي يعرفه الكثيرون ويحزنهم حال بلدنا الغارقة في الهيصة واللامبالاة بأرواح الناس!

السنهوري مثلًا

أخي..

هل يقتصر الأمر في بلادنا على أن نخلد الزعماء دون العلماء؟! فلم يأخذ د. عبد الرزاق السنهوري حقه من القانونيين. كما أنه لم يأخذ هذا الحق من المصريين عمومًا. إن براعة السنهوري القانونية لم يأت مثلها، وقد كان ومازال وسيصبح كتابه (الوسيط) في القانون المدني نبراسًا لكل القانونيين إلى يوم القيامة. ولعلي أهديكم جزءًا من الأجزاء العشرة التي انتظمتها سلسلة الوسيط كي تعرف مدى كفاءة وعلو شأن وسمو السنهوري.

فإذا كان ابن مصر البار قد أعطى كل فنه وعلمه لمصر والبلاد العربية التي شارك في كل قوانينها، فلماذا لا يقام له تمثال حتى تعرف الأجيال أن في مصر علماء بجوار معرفتها أن بها زعماء؟

أحمد شنن

المحامي بالنقض

ولابد أن هناك في كل العلوم والفنون من يستحق أن يكون له تمثال في القاهرة والإسكندرية، وليس البلد الذي ولد فيه: كالعقاد في أسوان وأم كلثوم في المنصورة، ومثل سعد زغلول ومصطفى كامل وطلعت حرب وأحمد ماهر ونوبار ولاظوغلي وشوقي وحافظ.. وفي استطاعة أية جامعة أن تضع من التماثيل بعدد الأشجار في حدائقها.. وكذلك النقابات..

ولكن أعتقد أن السنهوري باشا إلى جانب عظمته كرجل قانون أو كمشرع أو أستاذ أساتذة القانون، فإنه يجسد لنا ما نريد أن ننساه جميعًا، وهو أن هذا الرجل العظيم قد ضربناه بالجزمة مرتين - عندما ضربناه فعلاً وعندما أهملناه. والحقيقة أننا نتستر على فضيحة.. على عار قومي، وذلك بمحاولة نسيان اسمه ورسمه.. ولكن نصف سكان مصر لا يعرفون من هو، ولا ما الذي أصابه.. أو أصابنا حتى نحشد كل جهلنا وحقدنا واحتقارنا للعلم والعلماء في حذاء يمسكه واحد أو عشرة. فيكون العدوان عليه عدوانًا على القيم الأخلاقية والعلمية..

إن الروس شعروا بالعار عندما وجدوا زعيمهم خروشوف يخلع جزمته ويضرب بها منصة الأمم المتحدة لأنه فلاح جلف قد فضح الشعوب السوفيتية كلها -هو الذي انضرب وليس هو الذي ضرب!

فالوقت مناسب لإقامة هذا التمثال لأن القيم لا تزال تنهار.. فلعل هذا التمثال أن يكون إصبع اتهام لأنفسنا وزماننا.. ويكون اعتذارًا له أيضًا!

مـن أجـل الكسـوف

آخـر كسوف للشمس في القرن الماضي وقع يوم 11 أغسطس 1999م. والكسوف المقبل يوم 3 سبتمبر سنة 2081. وسوف نرى في باريس اختفاء 96٪ من الشمس تحت ظل القمر.. أما المدينة الأوروبية الوحيدة التي سوف ترى الكسوف كاملاً فهي بوخارست.. وكذلك في بعض بلاد الشرقين الأوسط والأقصى..

وفي المحال وأكشاك الصحف ظهرت نظارات سوداء ننظر من ورائها إلى الكسوف خوفًا من أشعة الموت فوق البنفسجية التي تصيب بالعمى أو بأحد أنواع السرطان. كما ظهرت كتب كبيرة وصغيرة كثيرة عن الكسوف تاريخيًا وفلكيًا وخرافيًا.

وقد ذكر لنا المؤرخ الإغريقي ذيو جانسي اللائرسي أن الفراعنة رصدوا 373 كسوفًا و832 خسوفًا. وكان تفسير الفراعنة ككل أبناء الحضارات القديمة خرافيًا، فكانوا يؤمنون بأن الأفعى المقدسة تبتلع قرص الشمس.. أو عندنا في ريف الدقهلية اعتقاد بأن هناك في حلقها جوهرة مضيئة. وإذا أرادت أن تصيد في الليل عصفورًا أو فأرًا ألقت الجوهرة خارجها.. ثم تعيد ابتلاعها، وهذه هي الصورة الباقية من ابتلاع الأفعى لقرص الشمس.

وكان القدماء يعتقدون أن السماء إذا غضبت من الإنسان حجبت عنه ضوء الشمس.. فهذه الظاهرة كانت نذير شؤم وأمراض وكوارث على الإنسان..

ونحن في العصر الحديث نعزو ظهور الأمراض والميكروبات والفيروسات التي لم نعرفها من قبل إلى سقوط ملايين النيازك على كوكب الأرض. وهذه النيازك أحجار تدور ملايين السنين حول الأرض والشمس ثم تسقط وعليها كائنات صغيرة شديدة البطش وعلى استعداد لأن تفتك بالإنسان فقد قاومت البرودة والحرارة ملايين السنين.. ولا تزال أقوى من الزمن!

وفي التاريخ الإنساني أحداث كبيرة وقعت يوم كسوف الشمس..

فيقال إن صلب السيد المسيح عليه السلام قد صادف كسوفًا للشمس.. ويقال إن خريستوف كولمبوس هرب من الموت سنة 1502 في جامايكا بسبب خوف السكان الأصليين من الكسوف الذي حدث.. ويقال إن المغامر الإنجليزي (لورانس العرب) قد هاجم قلعة يتحصن فيها الأتراك يوم 4 مايو سنة 1917 فهربوا منها بسبب الخوف من الكسوف..

ويوم توفي أحد أبناء الرسول ﷺ كسفت الشمس. فقال الناس: حدادًا على وفاته! ولكن النبي ﷺ نفى تلك الخرافة نفيًا قاطعًا. وقال إن الكسوف والخسوف من آيات الله ولا يقعان لوفاة أحد!

دمـــه تقيـــل

في أمريكا نـائب رئيس الجمهورية يريد أن يكون رئيسًا. وهذا طبيعي. وهو قد شارك في كل أمجاد كلينتون في الأعوام الماضية.. وفي الوقت نفسه يريد أن يتنصل من فضائح كلينتون. ولكن آل جور ليس «حليوة» مثل كلينتون.. إنه جاف خشن. ليس له حضور مقبول. واستفتاءات الرأي العام تقول: دمه تقيل!

وكلينتون يريد أن يختم سنوات حكمه بمزيد من الانتصارات، أو الاحتفال بالانتصارات في كرة القدم والتنس، والرحلات الفضائية والبورصة ونقص البطالة.

وزوجة كلينتون هيلاري تجتاز المرحلة الصعبة في الدعوة إلى قبولها عضوًا في مجلس الشيوخ عن نيويورك التي لا تعرفها، ولكنها تعتمد على قواها الشخصية في الصمود والشجاعة، والاعتماد على عدد من كبار الأصدقاء.

ويقف آل جور وحده ضد كلينتون وزوجته، وضد المرشح من نفس الحزب برادلي. وهو رجل ثقيل الظل أيضًا..

ويظهر بقوة جورج بوش ابن الرئيس السابق جورج بوش. وهو قد أعده أبوه إعدادًا جيدًا. ولكنه جاهل في السياسة، ثم في إحدى خطبه قد لخبط في الأسماء كأن يقول طمطا وهو يقصد طنطا.. وكان يقول إنه الرئيس بدلاً من أن يقول المرشح للرياسة، والرئيس بفضل المشجعين له!

وقالوا من أسباب فشل نيكسون عدة مرات قبل أن يكون رئيسًا أن الماكياج جعله يبدو شخصية مفبركة.. أو كأنه أراجوز. بينما اعتمد

كلينتون على أنه «حليوة» وصوته مبحوح مثير.. ثم إنه يأتي بحركة شفتيه كما تفعل المطربة وردة، ورجل الأعمال فريد خميس. ويقال إن هذه الحركة قد زلزلت قلوب النساء!

ويقولون أيضًا إن الفرق بين صوت كلينتون وصوت آل جور كالفرق بين صوت عبد الحليم حافظ وصلاح السعدني.

والمشكلة الكبرى الآن أن الرئيس كلينتون مشغول تمامًا عن صديق عمره وزميل كفاحه في الرياسة وقبلها آل جور... وهو مشغول أيضًا عن تأييد زوجته.. لدرجة أن زوجته قد أعلنت في إحدى خطبها أنها غيرت اسمها فقط عندما أصبح زوجها رئيسًا. ولكنها شخصية مستقلة ومحامية ناجحة وهي تريد أن تنجح بهذه الصفات.

وقالت أيضًا: لعلكم تعرفون أنني شاركت في كل شيء إلا في الفضيحة! والذين يستمعون إلى آل جور نائب الرئيس يقولون: وأنت شاركت في كل شيء حتى في فضيحة الرئيس.. والسكوت عنه لا يكفي. بل كان لابد من الاعتراض والاستنكار..

ولما نشرت الصحف العالمية أن هناك جفوة صارت فجوة بين كلينتون وآل جور لم تكن مبالغة. بل يقال كانت هناك خناقة أمريكية رفيعة المستوى استخدمت فيها ألفاظ منحطة المستوى والأداء -هم الذين يقولون وأنا لا أستبعد ذلك فقد حدث ما هو أسوأ من ذلك بين كلينتون وزوجته، وعلى مسمع ومرأى من رجال ونساء البيت الأبيض!

إذن هذه هي الصفة السيئة التي نجح كلينتون في إخفائها ثماني سنوات -لا وفاء ولا امتنان عنده لأي أحد!

الملـــك القـــادم!

قبل الاحتفال بعيد الثورة الفرنسية، يوم 14 يوليو الحالي، مات آخر المطالبين بالعرش عن 90 عامًا، و11 ولدًا، و41 حفيدًا وعن زوجة طلقها بعد 52 عامًا من الزواج.. إنه دوق دورليان. ولم ينس أنه هو الملك القادم هنري الرابع. وكان الجنرال ديجول سنة 1964 يناديه بكلمة مولاي!!

ولا أحد يعرف إن كان ديجول قد وعده بشيء ولكنه أرسل في مهمة إلى شمال إفريقيا التي تخصص فيها وقد رفض أن يكون وزيرًا للتموين سنة 1940، كما رفضت وزارة الدفاع الفرنسية قبوله جنديًا في الحرب العالمية الثانية لأنه مواطن فرنسي، ولكن لا يقيم على أرض فرنسا!

والشعب الفرنسي يحب الأبهة والفخامة. وكل ما لديه في الميادين والشوارع من صنع الملوك. ولا يذكر لرؤساء الجمهوريات أن أقاموا شيئًا اللهم إلا ميتران الذي أقام هرمًا من الزجاج ودارًا للأوبرا على أرض سجن الباستيل.. ولكن كل الأسماء الساحرة في الميادين والجسور وأقواس النصر والكاتدرائيات كلها أنشئت في عهد ملوك فرنسا..

وقد تردد الشعب الفرنسي كثيرًا في إعدام لويس السادس عشر، وزوجته ماري أنطوانيت.. فأعدمه بعد 3 سنوات من قيام الثورة.. ثم إن التصويت على إعدامه كان بأغلبية ثلاثة أصوات (337 مقابل 334

صوتًا).. وكان الناس يبكون ويصرخون فرحًا بإعدامه وفي الوقت نفسه بكاء عليه وعلى زوجته التي ظلمها التاريخ، ولم يكونوا يعرفون مأساتها الحقيقية مع زوج لا يعرف لا القليل ولا الكثير عن العلاقة بين رجل وامرأة، رغم كثرة المدربين له والمدربات!!

وملوك فرنسا لم تكن لهم سلطات رئيس الجمهورية الآن. بل إن رئيس جمهورية فرنسا له من السلطات ما يعادل سلطة كل ملوك فرنسا في كل عصورها: من القرار والفرفشة والعشيقات والأبناء غير الشرعيين.. وفي العالم الآن عشرون ملكًا لا تبلغ سلطاتهم ما بلغته سلطة الملك الاشتراكي ميتران الذي اتهمه بالتعاون مع النازي أيام احتلال فرنسا، وهو وغيره من الساسة والقادة..

ودوق أورليان هذا كان عنده برنامج لإصلاح أداة الحكم في فرنسا. وعنده برنامج لتعديل الدستور بما يقلص من السلطات المطلقة لرئيس الجمهورية، وعنده برنامج لتحرير كل المستعمرات الفرنسية..

وشيء غريب أنه هو الآخر مثل المستشار الألماني هلموت كول قد ألف كتابًا في الطبخ لأنه يحب الأكل اللذيذ، خاصة إذا كان هو الذي يصنعه بيديه.. وقد كان يشترك في الإعلانات عن عطر جديد اسمه (روياليسمو) أي الملكي جدًّا جدًّا..

ولما طلبوا إليه أن يكتب مذكراته كان رده: ليس قبل أن أكون ملكًا؛ فالملوك والرؤساء وحدهم هم الذين لهم تاريخ مملوء بالأخطاء. أما الذين يحلمون فالحلم نفسه ليس خطأ.. ولا تاريخ ولا مذكرات بلا أخطاء.

سياحـــة الألفـــاظ

خذ هذا الكتاب ولا تخف سوف تجد فيه صفحات مسلية. الكتاب اسمه (التطور اللغوي –مظاهره وعلله وقوانينه) –مطبعة الخانجي لعميد كلية الآداب الأسبق د. رمضان عبد التواب أشهر الباحثين اللغويين العرب في الخارج. يرى د. عبد التواب أن لتطورات اللغة قوانين ثابتة تكاد تكون كقوانين الفيزياء والكيمياء يجب البحث عنها. يكفي هذا.

والآن ننتقل إلى الجانب السهل من نظريات كثيرة معقدة: حرف الجيم هو في الأصل كما ينطقه أهل القاهرة. وهذا نطق فصيح – وهي حقيقة يجب أن يعرفها المصريون العاملون في هيئة الإذاعة البريطانية!

وحرف الجيم ينطقونه في الصعيد كحرف الدال. فأهل (جرجا) ينطقونها دردا.. ويقولون: دمل وداموسة أي جمل وجاموسة.. وتحولت الجيم إلى (ياء) في جنوب العراق يقولون مسيد أي مسجد.. ويقولون دياي أي دجاج..

وحرف القاف ينطقه القاهريون: ألفًا وفي السودان ينطقونه كالغين فيقولون الاستغلال أي الاستقلال.. ويقولون يغدر ويقصدون يقدر.

وهناك ظاهرة في اللغة اسمها: سياحة الألفاظ.. أي رحلة الألفاظ من بلد إلى بلد ثم عودتها إلى البلد الأصلي بعد أن تغير شكلها –

وتسمى هذه الظاهرة أيضًا استيراد الصادرات- أي نسترد ما قد صدرناه للغير.. مثلاً كلمة (تفيدة) وهو اسم نطلقه على الأنثى.. أصلها (توحيدة) -ولكن الأتراك أخذوه وحولوا الواو إلى فاء ثم أنهم لا ينطقون الحاء.. فعادت إلى مصر تفيدة وانتشرت!

وكلمة (ميرفت) أصلها العربي: مروة أخذها الأتراك وحولوها إلى ميرفت.

ومن عندي أنا: كل الأسماء التي تنتهي بحرف التاء لم تكن كذلك في اللغة العربية: عزت ورفعت ومدحت وحشمت ودولت وهمت أصلها: عزة ورفعة ومدحة وحشمة ودولة وهمة.. إلخ)..

وسوزان أصلها: سوسن.. ويقول د. رمضان عبد التواب إنه يعرف صديقًا عنده ابنتان واحدة اسمها سوزان والثانية اسمها سوسن.. وله صديق له ابنتان واحدة اسمها مروة والثانية اسمها ميرفت!

وكلمة (الكحول) أصلها عربي هو (الغول) بتسكين الواو. القرآن يقول: ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾..

وكلمة (القرافة)، بمعنى المقابر.. ليست من (القرف) والحزن.. وإنما كانت قبيلة يمنية هاجرت إلى مصر وأقامت فيها بالقرب من مقبرة الإمام الشافعي. اندثرت هذه القبيلة وبقيت مقابرها. وأطلق الناس عليها القرافة. ثم أطلقوا الاسم على كل المقابر.

وقصص أخرى لتاريخ الألفاظ والأسماء في اللغات القديمة والحديثة.. إنها رحلة لغوية ممتعة!

تعويــم سفينـــة

يقول الشاعر عصام الغزالي إن أصدقاءه نصحوه بأن يحذف 80٪ من القصائد وأن يعيد صياغة بعضها ثم ينشرها بعد ذلك. وقد فعل. وهو راض تمامًا. وقد يفعل مرة أخرى.. ويرى أن إعادة صياغة قصيدة مثل (تعويم سفينة) تم بناؤها في حوض جاف ـ فهناك فجوة في الزمان بين البناء والتعويم..

وسوف أنقل لك أبياتًا جميلة قوية غنية من ديوانه (لو تقرأ أحداق الناس):

بلفظ جديد.. ومعنى أجد

وبحر على موجه لا أحد

جمعت المتاعا وقلت الوداعا

انتقاد وأخذ ورد

حروفي عيون سطوري جفون

وفيها جمال المها يستمر

ويقول عصام الغزالي:

يا بلادي ضاق ذرعي

واشتكي عمري حياتي

خففي إن شئت دمعي

واسمعي مني شكاتي

يا بلاد تطبخ المأساة في دمع النكات

يا بلاد الخطف والتبرير والظرف المواتي

لا تذيقيني فتات العز أو ذل الفتات

ويقول:

لا أعرفها ضاعت أين

لا أعرف لون العينين

لا أعرف ماذا يخفيها

لكني أعرفني فيها

لكن هل ينتصر اليأس؟

هل تصرفني عنها الكأس؟

هل أفرط جزء العنقود

بحثًا عن جزء مفقود؟

وفي قصيدة عنوانها «حياتنا من الورق»:

ثيابنا معطرة.. جلودنا مملحة.. وبالنفاق مشهرة.. جفوننا المسلحة

قلوبنا مجففة.. وجوهنا ملصقة.. عيوننا مجوفة.. حروفنا منمقة

تحية على الشفة.. روابط ممزقة

ودمعة مزيفة.. وكذبة مزوقة

حياتنا مغلفة.. حياتنا مغلفة

وفي قصيدة (انتظار) يقول:

بغير اكتراث يمر النهار

فلا الأرض مادت ولا الأفق دار

ولا الناس هموا بأي انفجار

ومأساتنا أننا في انتظار

ومأساتنا تحت مر القطار

ومأساتنا لم تعد في اعتبار

أراها –فقط– في عيون الصغار

بريق انطلاق رحب أنار

فبكى لأن البريق احتضار

ومستقبل إرثه الانفجار

سيختاره دون أدنى اختيار

فقال وردد دون انبهار:

أنا في انتظار خيول التتار!

وكما ترى –فإنني لم أجد أفضل مما نظم الشاعر عصام الغزالي من تنويعات على معاني الجمال والقوة والثورة واليأس والأمل فكان أقوى وأبدع.

برلين:

مرات في شهر واحد يحدث نفس الشيء ومع أشخاص لم تخطر لي على بال. كنت أمشي أمام مجلس الدولة عندما فكرت فجأة في أحد زملاء الدراسة كان يحلم بأن يكون قاضيًا، ووجدته أمامي.. وليلتها مددت يدي إلى التليفون أروي هذه الواقعة لصديق لنا، فوجدته هو الذي يطلبني –أنا في القاهرة وهو في بيروت!

وحدث شيء يبعث على الضحك قررت أن أرويه لبلدياتي وصديقي الوزير طلعت حماد، فوجدته هو الذي طلبني لكي نلتقي في نادي اليخت..

وجاءتني مكالمة من أحد الوزراء في السعودية.. وجدته يقول: فكرت في أن أكتب لك خطابًا.. ثم فضلت أن أتصل بك.. فبادرته قائلاً: لعلك تقصد وفاة صديقنا المرحوم إسلام شلبي فقال: بالضبط وكيف عرفت؟ فقلت: لم أعرف ولكني فكرت فيك وفيه!

وكنا نتناول طعامنا في أكبر محلات برلين (كا –دي– في) وفجأة قال أحدنا: إننى معجب بهذا الشاب محمود صلاح رئيس تحرير (آخر ساعة) ففيه حيوية وصحفي عفريت.. فسألته إن كان يعرفه شخصيًا. فأجاب: كقارئ فقط.. ووعدته بأن أجمع بينهما إذا التقينا في القاهرة.. وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون في جيبي.

وكان المتحدث محمود صلاح فصرخت: هل تعرف أننا كنا نفكر فيك الآن؟.. أين أنت؟ فأجاب: أتحدث إليك من مسقط بسلطنة عمان، وسألته: وهل تعرف أين أنا؟ إنني في برلين!

وفي سنة 1959 أثناء جولتي حول العالم التي استغرقت 228 يومًا تلقيت خطابًا من المرحوم علي أمين يطلب مني أن أكمل رحلتي إلى أمريكا لكي ألتقي بالملكة نازلي ملكة مصر السابقة.. وقال إنه أرسل أحمد يوسف كبير مصوري (أخبار اليوم) وسوف نلتقي في طوكيو في يوم عيد ميلادي 18 أغسطس، وكنت في أستراليا، وقررت أن أتوقف يومين في هونج كونج.. وكان أحمد يوسف مارًا بهونج كونج فقرر هو الآخر أن يمضي ليلة في هونج كونج.. لا هو يعرف قراري ولا أنا أعرف قراره. وذهبت إلى إحدى الصيدليات وخرجت مسرعًا لكي أحزم أمتعتي، واعتذرت لواحد اصطدمت به -وكان أحمد يوسف!

إنني -بكل تواضع- أضيف هذا اللغز القديم في العلاقات الإنسانية إلى كثير من معضلاتنا التي لم يفلح القرن العشرون في حلها.. فلعل الحادي أو الثاني والعشرين أن يجد لها حلاً!

وهذه أديبة لا يمكن أن تكون مبتدئة فنحن لا نعرفها لأن د. سمير سرحان لا يعرفنا بها ولا بغيرها ولا يقدمها مكتفيًا بأن تقدم هي أوراق اعتمادها بقصصها القصيرة والطويلة الجميلة. فالأديبة نضال الصالح بن عبد القادر واضحة النضوج في اختيارها لموضوعاتها ورسمها لشخصياتها.. ففي مجموعة (مكايدات يقظان البوصيري) تحكي حكاية أديب غرقان في الكتب وكأنه سقراط وزوجته تلعنه كأنها زوجة سقراط.. وتصحو الزوجة على دخان وحريق وتحمل ابنتها وتخرج إلى الشارع تولول. ويجيء الناس. ويسألون فيعرفون أن الزوج الأديب المفكر هو الذي أحرق كتبه. إنه لا يعرف إلا القراءة ولا يعرف كيف يكسب مليمًا. والزوجة تعيسة بذلك.. وهو غرقان في الذي يقرأ والذي يكتب..

وقد أنقذوا صفحات كتبها لعلها تفيد في معرفة أسباب الحريق - أي الأسباب التي دفعته إلى هذا الانتحار. وفي الصفحات حوار بينه وبين أبي ذر.. قال ورد عليه وقال له: وكان من رأيه أن العدالة تأتي إلى الناس. ومن رأي أبي ذر أن يذهب الناس إلى العدالة.. لا بالكلام.

وفسر الكاتب (يقظان البوصيري) أن العدالة لا تجيء بالكلام وإنما بالفعل. فقطع صلته بالكلام أي بالكتب.. فأحرقها. هذه هي الحدوتة.. إن كانت حدوتة.. ولكن الأديبة نضال وصلت إلى هذه

المعاني بطرق فلسفية أدبية شاعرية رمزية.. ولم تتعسف في هذا الأداء من البداية إلى النهاية..

وقصتها (أحلام من زجاج) هي نوع من الحوار الداخلي أو المونولوج الذي برعت فيه أديبة فرنسا ناتالي ساروت وغيرها.. فالأديبة نضال الصالح قد اتخذت هذا الحضن الزجاجي لكل معانيها.. ولم يستغرق حضنها في الزمان والمكان إلا مساحة صغيرة بين وضع خاتم في يد المخطوبة وسحبه بعد ذلك.. ولكن المسافة بين الخاتم موضوعًا ومسحوبًا مليئة بالرموز السهلة المفهومة.. والواقعية أيضًا..

وقصة (أربعة فصول ووجهان للمدينة) وقصة (حالات متعددة لزمن واحد).. وغيرهما، تؤكد نضج الأديبة تمامًا وتمكنها من فن الرواية والكتابة والحوار والتصوير والرؤية لما تريد أن تقول بمنتهى الوضوح والجمال!

نسي أنه مصري

يسألني د. عبد الرحمن فؤاد شاذلي المهاجر إلى البرازيل من عشر سنوات: أليس في صحف مصر وتليفزيونها شيء غير الأكل والشرب والصرف الصحي.. فلا كلام في الأدب والفن والعلم والفلك وهموم القرن القادم.. إلخ؟!

والله أدهشتني يا دكتور.. كأنك نسيت أنك مصري لمجرد مرورك فوق المحيط الأطلسي من شماله إلى جنوبه.. أو كأنك غبت عن مصر قرنًا أو قرنين.. مع الأسف يا دكتور لم تستفد من غيابك عن دولة مصر فتقفز من دولة إفريقية إلى دولة أمريكية ألمانية يابانية لتكون مشكلتنا هي حركة المرور بين كوكبي المريخ والزهرة!!

ولا أعرف ما هي القنوات التليفزيونية التي تشاهدها فلا تخلو قناة واحد من فن وأدب أو شكوى من عيوب وأمل في الإصلاح.. ولا حتى صحيفة واحدة.

ولو كنت سيادتك في بلد آخر غير البرازيل لوجدت لك عذرًا أنك نسيت شكل الفقر والجوع وقتل الأطفال والسطو والنهب.. ولكنك في البرازيل. اخطف رجلك إلى العاصمة وامش في الشوارع بشرط أن تشمر ذراعك اليسرى لتبدو ساعتك.. وأن تضع محفظتك في جيب بنطلونك.. وأرجو أن تكون أمينًا معنا وتقول لنا ما الذي حدث لك في المائة خطوة التي قطعتها من بيتك إلى أي كشك للسجائر!

ولن أسألك لماذا هاجرت لأنني أتمنى أن يفعل ذلك مئات الألوف.. لا من الكبار مثلك، ولكن من الشباب.. فلا توجد دولة واحدة مكتظة بالسكان لا يهاجر شبابها إلى القارات الخمس يبحثون عن فرص أحسن ومجالات أوسع ورزق أكثر.. ثم يبعثون إلى بلادهم ببعض ما جمعت أيديهم..

ونحن مشغولون بالضروريات يا دكتور فشعبنا كثير ورزقنا قليل.. والأميون أكثر من السفهاء والسفهاء أكثر من اللصوص والكسل على رقاب العباد واللامبالاة هواء يتنسمه الجميع -إن كنت قد نسيت يا دكتور!

ويقول د. شاذلي حديث الهجرة إلى البرازيل إنه على استعداد لتقديم أي شيء تطلبه مصر.

شكرًا يا دكتور على لطفك وكرمك.. ومن حقي أن أسألك ما الذي استطعت أن تحققه في عشر سنوات في البرازيل ويجعلك قادرًا على هذا العطاء؟ ثم ما الذي تستطيعه إن كان هذا رأيك في بلادك؟ ولن أقول لك «نقطنا بسكوتك»، فمن يدري ربما تكون قد حدثت معجزة، فأعطاك الحظ ما كان يجب أن يعطيه للشعب المصري كله؟!

إنني أدعو لك بالنجاح والتوفيق وأن تنصرف عن تليفزيون مصر وصحفها، فليس ينقصنا أن ينكد علينا حياتنا واحد مصري كل مؤهلاته أنه سافر ونسي من كان هو ومن نحن!

أكثرنا لا يرى القناة الفضائية المصرية ويجد أنه لا داعي لذلك، فعندنا قنوات مصرية وأجنبية كثيرة. ولكن ليس هذا حال المصري الذي يريد أن يسمع أخبار مصر التي يحبها على البعد أكثر وأعمق.. ولا يطيق أن تصيبها غمزة أو لمزة..

وإن كان هو عندما يكون في مصر فهو يلعن كل الناس، وفي مقدمتهم مصطفى كامل الذي قال: لو لم أكن مصريًّا لوددت أن أكون مصريًّا..

ويتهم مصطفى كامل بالجهل لأنه لن يعرف معنى أن يكون الإنسان أمريكيًّا أو ألمانيًّا أو يابانيًّا!

ورأيت القناة الفضائية المصرية وأنا في السعودية وقطر ودبي وأسعدني ذلك، وحرصت أن أشاهد (صباح الخير يا مصر)، ووجدت المصريين يناقشون ما رأوا.. فكل مصري، على البعد، يخيل إليه أنه سوف يرى أباه وأمه وإخوته وأصدقاءه في هذه القناة.. وإن لم يكن يراهم فهو يرى الذي يرونه. إنها مشاركة من بعيد..

سألني أحد المصريين: هل ترى القنوات الأجنبية؟ قلت: رأيتها.. وعاد وقال: وكيف أننا لا نملك قنوات مثلها؟ قلت: ولكنها قنوات مستأجرة.. تمامًا كما أننا نستأجر الـ «سي. إن. إن» وغيرها من القنوات، فالمشاهد المصري يرى الآن قنوات كثيرة بالأجر؟ ولم يكن

يعرف ذلك. وينس المصريون أن بلادهم صغيرة وفقيرة، وأن عددنا تجاوز الستين مليونًا، وإنتاجنا دون ذلك كثيرًا.. وأننا قد بدأنا.. وأن انتعاشنا على الأبواب.. وأن إصلاحًا هنا وهناك.. وإن كان هناك فساد، فهناك غضب عليه.. وإن كان هناك تخريب، فهناك حراس الأمن والسلام..

ونحن نغضب من مصر، نغضب منها من أجلها. نريدها أجمل وأغنى.. ووجدت أن الكثير من النقد العنيف الذي نوجهه للدولة وللوزراء قد شغلهم أيضًا.. ووجدتني أخفف حدة الذي قلته في القاهرة؛ فالمصريون في الخارج أكثر حساسية لأي كلام يقال عن مصر وعن شعبها أمام الأجانب.. ويجدون في نقدنا لبلادنا نوعًا من الفضيحة لها ولهم.. وينسون أن هذه هي الحرية: أن نقول دون خوف.. وليست الحرية أن نتستر على العيوب.. وإنما الطبيعي هو أن تكون لنا عيوب وأمراض وسلبيات، والطبيعي أن نرى ذلك بوضوح وألا نخجل منه.. ولكن الشيء الوحيد الذي يخجلنا هو أن نرى ونسكت.. ثم لا نذهب إلى أبعد من ذلك في المواجهة والإصلاح والحرص على أن ننمو ونتطور.. فكثير من دول العالم الثالث قد قفزت إلى دول العالم الأول.. ولم تكتف بذلك بل نافستها وتفوقت عليها.. كيف؟ فلتقرأ حكايات النمور الآسيوية!

شكرًا للأستاذ أبو همام (د. عبد اللطيف عبد الحليم) فقد أعطاني ساعات من المتعة والتأمل العميق في قراءة شعر لجماعة (الديوان) وما بعد الديوان في أجزائه الأول والثاني والرابع -ولا أعرف إن كان هناك ثالث.. ثم ديوانه هو (أغاني العاشق الأندلسي) وهو العاشق للأندلس. وعلى الغلاف جاءت بهذه الأبيات:

وجهك هذا أم أنا حالم	طالت بأحلامي الليالي الطوال
وكلما أرحل في موجة	تدفعني أخرى لعشق الجمال
من زوجة (المنصور) أشواق	عينيك ومنها تيهها والدلال
أورد في (قرطبة) سرك الخاشع	ما بين طيوف الجلال

وقد قدم أبو همام دراسات ومختارات من شعر سيد قطب والجبلاوي والحسائي عبد الله وحمزة شحاتة وعلي شوقي ومحمود عماد وعبد الرحمن صدقي والتونسي، ودراسات مستفيضة عن الشاعر أبو همام بأقلام الشعراء المعاصرين..

وكانت دراسة أبو همام لسيد قطب بديعة فقد أعاد معظم ما قاله سيد قطب إلى أصوله من شعر أستاذه العقاد.. ولم يستطع أحد من تلامذة العقاد أن يتجاوزه.

ولابد أن يقف القارئ طويلاً عند قصيدة عبد الرحمن صدقي في رثاء زوجته، فلم تغب عن لسانه ودموعه.. وقد حدثني عبد الرحمن

صدقي كثيرًا عن زوجته الأولى.. على مسامع زوجته الثانية الإيطالية.. يقول عبد الرحمن صدقي:

كان لي في أخريات العمر بيت فعدمته

سنوات أربع أم كان ذا حلم حلمته؟

ليته طال ولو طال لما كنت سئمته

زوجتي لم تنقم على نقص ولا شيء نقمته

همها همي فلا تعزم إلا ما عزمته

همنا الدرس وما تفهمه منه فهمته

أحرام أن سعدنا أم خيال ما زعمته؟

كل ما أعرف أني كان لي بيت عدمته!

ويقول عبد الرحمن صدقي أيضًا:

ربي أراني شقيًّا ... مشردًا في فضاك

أكاد من فرط يأسي ... أشكو إليك قضاك

عدمت بالأمس زوجي ... فلا عرفت رضاك

ولابد أن أعود مرة أخرى، لأجدد متعتي..

شكري الجزيل لأبي همام.

إلا فلسطين!

ليست لهذه الدول مشاكل وطنية مع إسرائيل: مصر والأردن وتونس والمغرب وقطر وسلطنة عمان وليبيا والجزائر.

أما فلسطين فمشاكلها أمامها ابتداء من اسم «فلسطين» ـ الإدارة تريد أن تصبح دولة عاصمتها القدس. أما سوريا فهي المشكلة التي لم يقترب منها أحد لإنقاذ الجولان ولبنان.. أو لبنان ثمنًا للجولان.. أو الجولان ثمنًا للبنان؟ هذه هي القضية التي وراء كل هذه اللقاءات وهي فعلاً قضية، ولابد لها من حل كريم يسانده كل العرب، وإذا كان العرب جميعًا فيما عدا قابوس قد اتهموا مصر بأنها هرولت نحو السلام متجاهلة الأمة العربية، فإن أحدًا من العرب لن يتهم سوريا بأنها عرقلت السلام متجاهلة الأمة العربية..

وسوف تغيب عن قمة القاهرة العراق، وهي الدولة التي استضافت قمم العرب؛ حيث اجتمع الغضب والحقد والتجريم لمصر.. الدولة التي استخدمها الأمريكان لضرب السعودية والكويت وإغراق الخليج في الديون واستقرار القوات الأمريكية في المنطقة وتجويع الشعب العراقي. ولن يمس الأمريكان شعرة من شارب صدام حسين لأنه من الضروري أن يظل «بعبع» إيران والخليج وسوريا.. تمامًا كما أن منجستو في إثيوبيا.

وأنا أتمنى أن يحل مؤتمر قمة القاهرة المشاكل بين الدول العربية نفسها.. ومشكلة العمالة المصرية في الكويت وليبيا.. والتعويضات

التي لم يحصل عليها ألوف المصريين.. ومشاكل الإرهاب وتمويل الجماعات المدمرة المخربة والوافدة إلينا من الجنوب ومن الشرق..

يجب أن يبحث العرب عن حل للمشاكل الممكنة. وليست المشاكل المستحيلة التي إذا لم يجدوا لها حلاً فالغضب والسخط والسلاح.. والغلط هو أن نختار المستحيل هدفًا. والمستحيل هو أن نتصور لحظة أننا قادرون على إفساد ما بين إسرائيل وأمريكا.. لقد قالها الرئيس تيتو من عشرات السنين: من يريد أن يلقي بإسرائيل في البحر فليبدأ بأمريكا!

ولكن من المؤكد أن إسرائيل أحوج إلى السلام من أي بلد في العالم.. إنها تمزقت.. تعبت.. مرضت من حالة الحرب التي لا تنتهي.. والكراهية التي تحيطها من كل جوانبها.. والعالم كله قد زهق من المشكلة اليهودية.. العالم كله يقول: واحنا مالنا؟!

والعالم كله ينصح الخمسة ملايين يهودي في إسرائيل بأن يجدوا حلاً لهم.. وإلا فالحرب.. والحرب أكلت منهم أضعاف ما أكلته من مائتي مليون عربي؛ فالسلام هو الحل.. هو الحياة.. هو راحة العالم كله من صداع اسمه: إسرائيل والعرب!

ما الذي ينقص العامل المصري؟

الجواب: أن يعمل.

ما الذي ينقصه لكي يعمل؟

الجواب: أن يعلم.

وما الذي يمنعه أن يعلم؟

الجواب: أن يتعلم كيف يعمل، فتحريك اليدين ليس عملاً، كما أن تحريك الشفتين ليس شعرًا؛ فالعمل كاللعب له قواعد وله حدود وقيود ومثل كرة القدم ليس من الطبيعي أن يكسب دائمًا. بل يكسب ونشجعه، ويخسر ونشجعه لكي يكسب. ونحن لا نقيم حفلات لمن يعمل، ولا لمن يأكل وإنما لمن يتفوق ويبلغ القمة. والقمة فيها متسع للجميع. ولا توجد بها مقاعد ولا غرف للنوم. وإنما مزيد من العمل الشاق حتى الموت!

وكيف يكون لدينا عباقرة؟

والجواب: أحكي لك حكاية قرأناها لأستاذنا الفيلسوف أفلاطون قال إن الأرواح عادت للدنيا، وكل روح دخلت جسمًا واستأنفت حياتها.. احتلت الأرواح أجساد الشعراء والمهندسين والساسة والمغنين. ولما جاء دور البطل عوليس قال: لقد استأنفوا كل الأعمال المهمة.. فسمع صوتًا يقول له: بل واجبك هو الأصعب والأكثر أهمية،

وهو أن تحتل جسم إنسان عادي، فمن غير هذا العمل العادي لن يكون هناك شاعر ولا فيلسوف.. فعملك هو الأصعب.. فالفلاسفة عشرات والشعراء مئات والمهندسون ألوف.. ولكن العمال والفلاحين ملايين..

فما الهدف من كل هذا العناء؟

الجواب: أن يحقق الإنسان السعادة لنفسه والرخاء لبلاده والمستقبل لأولاده. وليست السعادة أن تحصل على ما تشتهي، وإنما أن تشتهي ما تحصل عليه. فنحن نعمل في الريف لكي ننتقل إلى العمل في المدن، ونعمل في المدن لكي نجد مكانًا للراحة في الريف. وهكذا لا نعرف الملل. وإنما يعرف الملل من كانت أيامه مثل لياليه: شقاء بلا لذة، وإرهاقًا بلا راحة، وطريقًا بلا هدف.. وهناك فارق بين الانشغال والاشتغال.. فالذي ينشغل هو الذي يتحرك بلا هدف، والمشتغل هو الذي يتحرك مع الآخرين وبهم وضدهم من أجل هدف.

وكيف نبلغ الهدف ونتجاوزه إلى هدف آخر؟

والجواب: أن أحد العلماء الألمان سألوه: كيف تفسر عبقرية الشعب الألماني؟ فأجاب: قبل أن ندخل الجامعة أمضينا بعض الوقت في الجيش.. أي أننا تعلمنا الضبط والربط والعمل الجماعي ووضوح الهدف والصبر.. وفي الجامعة نفس الأسلوب ونفس الهدف؛ ففي الحرب نريد أن نعيش بأن نحارب من يهدد حياتنا.. وفي الجامعة نريد أن نتفوق على الذي يريد لنا الفشل.. والفشل كالهزيمة: موت!

قلبـــي معـــك!

قلبي مع الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، فأنا أعرفه من أيام الرئيس بومدين.. ولا أعرف كيف أعد نفسه لرئاسة الدولة في صمت.. أو بعيدًا عن الأضواء، والآن لم يعد بعيدًا.. فهو على رأس الدولة ثقيل الرأس بهمومها، مفطور القلب على سلامتها. يريد شيئًا حقيقيًا، هو أن يوجد للجزائر مستقبلاً ويبني لها مكانًا بين الأمم العربية وبين الدول الأوروبية. ومن السهل أن يتخذ لها مكانًا في الغرب، ولكن من الصعب أن يجعل لها مكانًا في الشرق، ففي الجزائر من يرفض العرب والعروبة، ومن يرفض الغرب أيضًا.. ومن يرفض القذافي ويقبل الخوميني، ومن يرفض بوتفليقة ومن يسعده شيراك..

وأصعب ما يواجه الرئيس بوتفليقة هو كيف يقوم «بتخليق» المستقبل من هذا الحاضر الدموي الممزق؟ كيف لا يطيل النظر إلى ماضي الجزائر أملاً في أن يعرف كيف يكون لها حاضر، ومن هذا الحاضر يخرج المستقبل العسير الولادة.. الغامض الملامح، الهلامي الإرادة؟ إن الرئيس بوتفليقة إذا كان قد برز على المسرح السياسي فجأة، فهو مثل زلزال اهتز فجأة. وعلم الجيولوجيا يقول لنا إن الزلازل لا يظهر أثرها فجأة وإنما الأرض قد تقلبت وحاولت أن تتوازن عامًا بعد عام، فلما استقرت أحجارها على أحجارها، كان لهذا الاستقرار في جوف الأرض هزة على سطحها، وكذلك حدث

لبوتفليقة.. فهو يريد أن يكرر ذلك على سطح الجزائر وفي شعبها ومنظماتها السياسية والدينية والعسكرية..

فما أنبل الذي تحاوله يا سيدي وما أصعبه.. إننا نتمنى لك النجاح، فأنت تحاول أن تغسل بقعًا من جلد النمر العنيف يفزع منه العالم الإسلامي.. أنت تحاول أن تعيد للملايين عقولهم وقلوبهم.. أنت تحاول أن تضع أيديهم على آيات من القرآن الكريم، ترفض العنف والتعصب وتنادي بالتسامح والرحمة.. قلبي عليك، وعقلي معك، والله وحده على كل شيء قدير.

المواطن الذي اعتدى على الرئيس حسني مبارك في بورسعيد قتلناه. لا لأنه قال: لا.. ولكن لأنه قالها بالسكين. ولو قالها بالميكروفون ومعه الألوف فلن يعترض عليه أحد، فالرئيس مبارك لا يرضى عنه كل الإرهابيين والقتلة واللصوص وأنصار الموت والمتعصبين ودعاة القلاقل وأبواق الفتن.. والذين يخفون السكاكين في جيوبهم وفي قلوبهم وفي الكتب المقدسة وفي أقلامهم..

يكفي أن تنظر إلى تجربتنا الطويلة مع حسني مبارك قائدًا عسكريًّا ونائبًا للرئيس ورئيسًا قد وعد بالكثير في كل خطاباته للأمة، فوفى بكل ما وعد وزاد عليه.. إننا نقول له: نعم بسبب ما فعل وبسبب ما حقق لمصر في داخلها وخارجها مع أصدقائها ومع أعدائها.. وكيف أنه يمسك سيفًا ولكن لم يضرب مظلومًا ولا حطم قلمًا، ولا كسر قلبًا؛ فهو من أعماق الريف، ورجل شعبي ابن بلد، عرف معنى المعاناة من أجل الحياة، والإرهاق من أجل العلم، والعرق من أجل النصر، والتحدي من أجل السلام..

ولو عدنا إلى كل خطاباته إلى الشعب لوجدنا خريطة الأمل في حياة أفضل، ومستقبل أجمل.. ولرأينا النيل يتجه يمينًا وشمالاً في الأرض البور فتنبت زرعًا، وعلى الصحراء فتصبح كنزًا للعمل ولملايين السواعد الشابة.. ويكون الرئيس مبارك في قمة السعادة والصدق عندما يتحدث إلى شباب الجامعات؛ لأنه يرى فيهم مستقبل

مصر.. ويرى بهم كيف يكون الخير عامًا والسلام شاملاً.. إن أروع لقاءات الرئيس مبارك هي عندما يجلس إلى الشباب.. يتذكر شبابه ويستحضر شباب ولديه.. وشباب أسرته.. ومصر كلها أسرته.. إن فرحته بهم لا يمكن أن توصف. أرجوك أن تستعيد النظر إلى حوارات الرئيس مع شباب الجامعات.. سوف تجد أعمق صورة للأب؛ أي الستين مليونًا وقد لمعت عيونهم، وهفت قلوبهم، وتعالت بهجتهم.. ومن وميض العيون ودقات القلوب ينسج حسني مبارك كل عام أجمل لوحاته وموسيقاه التي يدخل بها التاريخ المجيد لمصر: حاكمًا عادلاً، ومصلحًا جادًا، ومحبًا للحياة والسلام والرفاهية لأبناء أسرته المصرية والعربية.

وطبيعي ألا يحصل حسني مبارك على 100٪ من الأصوات.. ولا نحب له ذلك.. فهناك من يحبون شخص الرئيس ولكن تغضبهم سياسة السلام والاستقرار ورفع العناء عن كاهل الناس، وتقريب المسافات بينهم؛ لأنهم لا يريدون خيرًا لمصر وأمل مصر ومستقبلها.. والحكمة القديمة تقول:

نصف الناس أعداء لمن حكم.. هذا إن عدل!

ونحن نكره العدل ظالمين، ونحبه مظلومين!

فأنت الكسبان إذا قلت نعم للرئيس حسني مبارك.. ماضيه وحاضره ومستقبلنا..

البحرين:

هذه شكوى منا.. إلينا. فقد كان الناس سعداء بالحديث الطويل عن نجوم مصر في السينما، والمسرح، والفكر، والسياسة.. وكنت أنا أيضًا.. وكانوا يتبارون في إعادة ما قرأوه عن النجوم، وما شاهدوا وما سمعوا.. ثم تجيء النكت المصرية الكاسحة لكل نكت أخرى..

ولابد أن نندهش ونفزع لسلوك بعض المصريين في هذه الظروف فجأة يلتقط سلاسل الكلام واحد منا، وهات يا كلام عن زوجة النجم وأمه وأبيه.. وكيف أنه وأنها وأنه من أسوأ البشر.. ويطيل في ذلك.. فما السبب؟! إنه يريد أن يظهر في ملابس الإنسان الأكثر علمًا، فهو يعرف ما وراء الحكايات وأسرار الزوجات والأمهات.. ويكون الكلام سخيفًا فاضحًا. إنه يضحي بكل هذه الصفات الجميلة من أجل أن يبدو هو الأكثر علمًا ومعرفة.. وأن هؤلاء الناس السعداء بنا مخدوعون فينا!

ولكن لماذا؟ لأن لدينا نزعة عميقة هي لذة التخريب.. تخريب صور الناس وتاريخهم. إننا لا نطيق أن نرى شيئًا جميلاً دون أن نشوهه.. لا نطيق أن نرى زهرة دون أن نقطفها، ثم نلقي بأشلائها في الشارع.. لماذا قطفنا؟ لماذا قتلنا؟ لماذا لوثنا الأرض؟

ما معنى أن يحتفظ إنسان بمسمار في جيبه، ثم يمر به على الجدران، أو على كل السيارات في الشارع؟ لماذا يحتفظ بعض الناس

بمظروف صغير في جيبه.. وفي المظروف (موس حلاقة).. فلا يكاد ينتهي العرض السينمائي أو المسرحي حتى يستخرج الموسى ويمزق به المقعد الجلدي الذي أراحه طوال العرض.. والذي يساوي ألوف الجنيهات؟!

لا أنسى أنني مشيت وراء شاب ليلاً في شوارع الإسماعيلية الهادئة النظيفة، ووجدت مع الشاب بطارية تضيء له فروع الأشجار.. ثم يطلق حجرًا على عش عصافير نائمة.. ويسقط منها واحد ميتًا.. ولا ينظر إليه. لقد استراح إلى أنه قتل كائنًا جميلاً بريئًا ومضى يبحث عن ضحايا جديدة في أشجار أخرى. سألته فهز كتفيه قائلاً: كده.

فقلت: كده يعني إيه؟

قال: إنني أتسلى!!

إنه يتسلى بقتل الطيور.. والآخر يتسلى بخربشة السيارات والجدران، وتمزيق المقاعد.. وتشويه مصر كلها.. إنها عاهة صميمة!

الفهرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستـاذ
أنيـس منصـور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 ـ في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.

2 ـ عاشوا في حياتي.

3 ـ إلا قليلاً.

4 ـ طلع البدر علينا.

5 ـ البقية في حياتي.

6 ـ نحن أولاد الغجر.

7 ـ من نفسي.

8 ـ حتى أنت يا أنا.

9 ـ أضواء وضوضاء.

10ـ كل شيء نسبي.

11ـ لأول مرة.

12ـ شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13ـ الحائط والدموع.

14ـ وجع في قلب إسرائيل.

15ـ الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).

16ـ عبد الناصر ـ المفترى عليه والمفتري علينا.

17ـ في السياسة (3 أجزاء).

18ـ الدين والديناميت.

19ـ لا حرب في أكتوبر ولا سلام.

20ـ السيدة الأولى.

21ـ التاريخ أنياب وأظافر.

22ـ الخالدون مائة ـ أعظمهم محمد (ﷺ).

23ـ على رقاب العباد.

24ـ ديانات أخرى.

25ـ وكانت الصحة هي الثمن.

26ـ الغرباء.

27ـ الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28ـ عزيزي فلان.

29ـ هي وغيرها.

30ـ بقايا كل شيء.

31ـ يا من كنت حبيبي.

32ـ قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:

33ـ رومولوس العظيم.

34ـ زيارة السيدة العجوز.

35ـ زواج السيد مسيسبي.

36ـ الشهاب.

37ـ هي وعشاقها.

** للأديب السويسري ماكس فريش:

38ـ أمير الأراضي البور.

39ـ مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسي جان جيرودو:

40ـ من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

41ـ بعد السقوط.

** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42ـ فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43ـ الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين ليونسكو:

44ـ تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45ـ الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46ـ ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47ـ الحنان أقوى.

48ـ من أول نظرة.

49ـ طريق العذاب.

50ـ ألوان من الحب.

51ـ شباب.. شباب.

52ـ مذكرات شاب غاضب.

53ـ مذكرات شابة غاضبة.

54ـ جسمك لا يكذب.

55ـ الذين هاجروا.

56ـ غرباء في كل عصر.

57ـ أظافرها الطويلة.

58ـ هموم هذا الزمان.

59ـ زمن الهموم الكبيرة.

60ـ الحب الذي بيننا.

61ـ عذاب كل يوم.

62ـ كيمياء الفضيحة.

63ـ كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64ـ الذين هبطوا من السماء.

65ـ الذين عادوا إلى السماء.

66ـ القوى الخفية.

67ـ أرواح وأشباح.

68ـ لعنة الفراعنة.

69ـ وكانت الصحة هي الثمن.

(ز) نقد أدبي:

70ـ يسقط الحائط الرابع.

71ـ وداعًا أيها الملل.

72ـ كرسي على الشمال.

73ـ ساعات بلا عقارب.

74ـ مع الآخرين.

75ـ شيء من الفكر.

76ـ لو كنت أيوب.

77ـ يعيش.. يعيش.

78ـ الوجودية.

79ـ طريق العذاب.

80ـ وحدي.. مع الآخرين.

81ـ ما لا تعلمون.

82ـ لحظات مسروقة.

83ـ كتّاب عن كتب.

84ـ أنتم الناس أيها الشعراء.

85ـ أيها الموت.. لحظة من فضلك.

86ـ أوراق على شجر.

87ـ في تلك السنة.

88ـ دراسات في الأدب الأمريكي.

89ـ دراسات في الأدب الألماني.

90ـ دراسات في الأدب الإيطالي.

91ـ فلاسفة وجوديون.

92ـ فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

93ـ حول العالم في 200 يوم.

94ـ بلاد الله خلق الله.

95ـ غريب في بلاد غريبة.

96ـ اليمن ذلك المجهول.

97ـ أنت في اليابان وبلاد أخرى.

98ـ أطيب تحياتي من موسكو.

99ـ أعجب الرحلات في التاريخ.

100ـ ماذا يريد الشباب؟

101ـ الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

102ـ مدرسة الحب.

103ـ حلمك يا شيخ علام.

104ـ مين قتل مين؟

105ـ جمعية كل واشكر.

106ـ الأحياء المجاورة.

107ـ سلطان زمانه.

108ـ العبقري.

109ـ كلام لك يا جارة.

110ـ فوق الركبة.

111ـ هذه الصغيرة (وقصص أخرى).

112ـ يوم بيوم.

113ـ إنها الأشياء الصغيرة.

114ـ إلا فاطمة.

115ـ القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

116ـ حقنة بينج.

117ـ اتنين.. اتنين.

118ـ عريس فاطمة.

119ـ من الذي لا يحب فاطمة؟

120ـ غاضبون وغاضبات.

121ـ هي وغيرها.

122ـ هي وعشاقها.

123ـ العبقري.

124ـ القلب أبدًا يدق.

125ـ يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

126ـ ثم ضاع الطريق.

127ـ النجوم تولد وتموت.

128ـ هناك أمل.

129ـ أحب وأكره.

130ـ الحيوانات ألطف كثيرًا.

131ـ مصباح لكل إنسان.

132ـ أتمنى لك.

133ـ لعل الموت ينسانا.

134ـ اقرأ أي شيء.

135ـ ولكني أتأمل.

136ـ حتى تعرف نفسك.

137ـ الحب والفلوس والموت.. وأنا.

138ـ نحن كذلك !!

139ـ اللهم إني سائح.

140ـ كائنات فوق.

141ـ تعال نفكر معًا.

142ـ آه لو رأيت !

143ـ النار على الحدود: لعبة كل العصور.

144ـ انتهى زمن الفرص الضائعة !

145ـ هناك فرق.

146ـ الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا ـ الجزءان الأول والثاني.

147ـ يا نور النبي.

148ـ وأنت ما رأيك؟

149ـ حضارة الإوز والبقر.

150ـ حلمنا الجميل.

151ـ ضاع الجيل ضاع.

152ـ قالوا (الجزءان الأول والثاني).

153ـ وآخرتها.

154ـ من أول السطر.

155ـ أظافرها الطويلة.

156ـ القلب لا يمتلئ بالذهب.

157ـ تكلم حتى أراك.

158ـ الذي خرج ولم يعد.

159ـ ليلة في بطن الحوت.

160ـ والله زمان يا حب.

161ـ أجيال من بعدنا.

162ـ قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

163ـ رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.

164ـ (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.

165ـ (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.

166ـ (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

167ـ (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو مليارته.

168ـ (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

169ـ الفلسفة الوجودية الألمانية ـ لإميل تسلر.

170ـ الفلسفة الوجودية الفرنسية ـ لجان جاك رسو.

171ـ معنى العدم عند هيدجر وسارتر ـ لجانيت أردمان.

172ـ مسرح العبث الفرنسي ـ لإتيان ماريبو.

173ـ الفيلسوف الروسي برديائف ـ لفيكتور لوزتسيف.

174ـ من كيركجور إلى مارسيل ـ لأنطوان بابيف.

175ـ سيمون دبوفوار تلميذة رصينة ـ لفرنسواز روسلان.

176 ـ رسائلها إليه ـ لفرنسواز روسلان.

177ـ فاشلون لكن نبلاء ـ لجان ماري رواز.

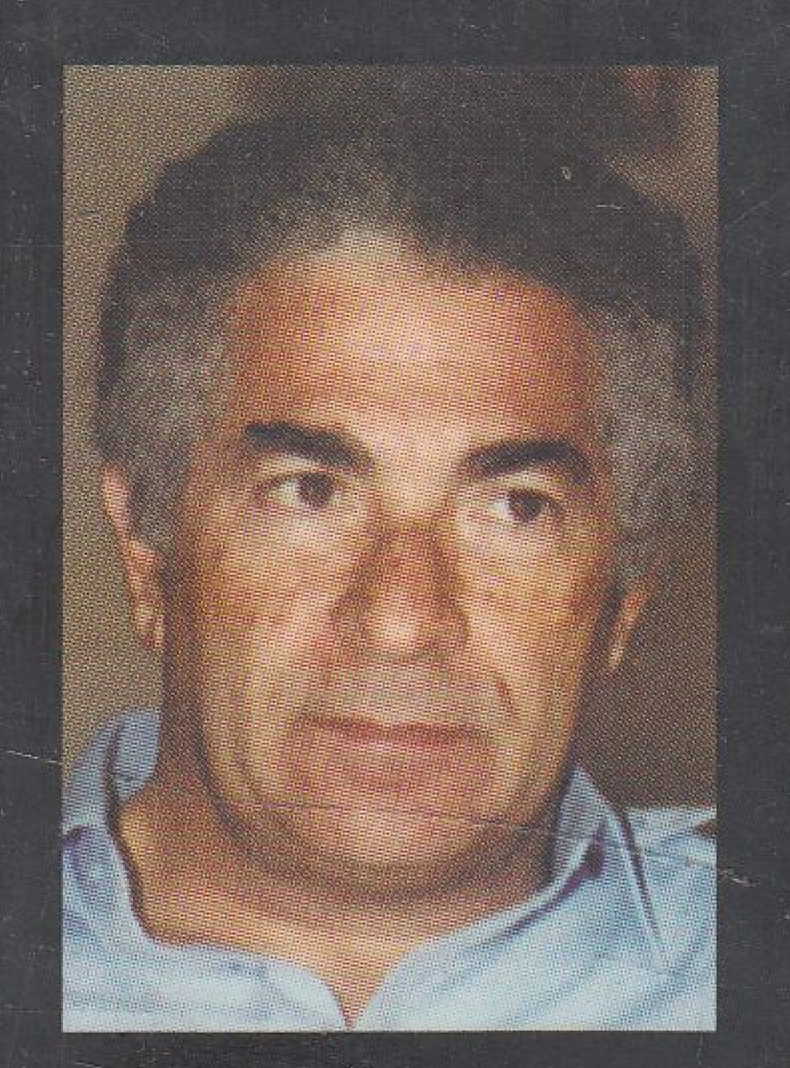
178ـ ما الميتافيزيقا؟ ـ لمارتن هيدجر.

179ـ الوجودية فلسفة إنسانية ـ لجان بول سارتر.

180ـ فلسفة حنا أرنت ـ تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر ـ لآدم برجشتاين.

181ـ كروتشه فيلسوف الحرية ـ لإيرابيلا دلورنتس.







ليس رأيًا أن تصفق في كل زفة، وترقص على أي موسيقى.. وأن تكون أعلى الناس صوتًا.. والزمارون الطبالون لا يخدمون نظامًا ولا يرشدون شعبًا.. وربما كان من يعارض ويقول رأيًا أفضل كثيرًا؛ ولذلك استفدنا من الذين قالوا لا ولم نستفد كثيرًا من الذين قالوا نعم يا حبيبي نعم..

ولولا النقد في كل لون ما تقدمت الإنسانية، لولا الأعداء ما كان للحب أي معنى، وما كان للحب قيمة.. فرفقًا ببلادنا و[illegible] إنني أخشى علينا منا، وأخاف على بلادنا من [illegible] من دراويش (نعم) ولا أخاف من متظاهري (لا).

[illegible]







www.nahdetmisr.com